

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



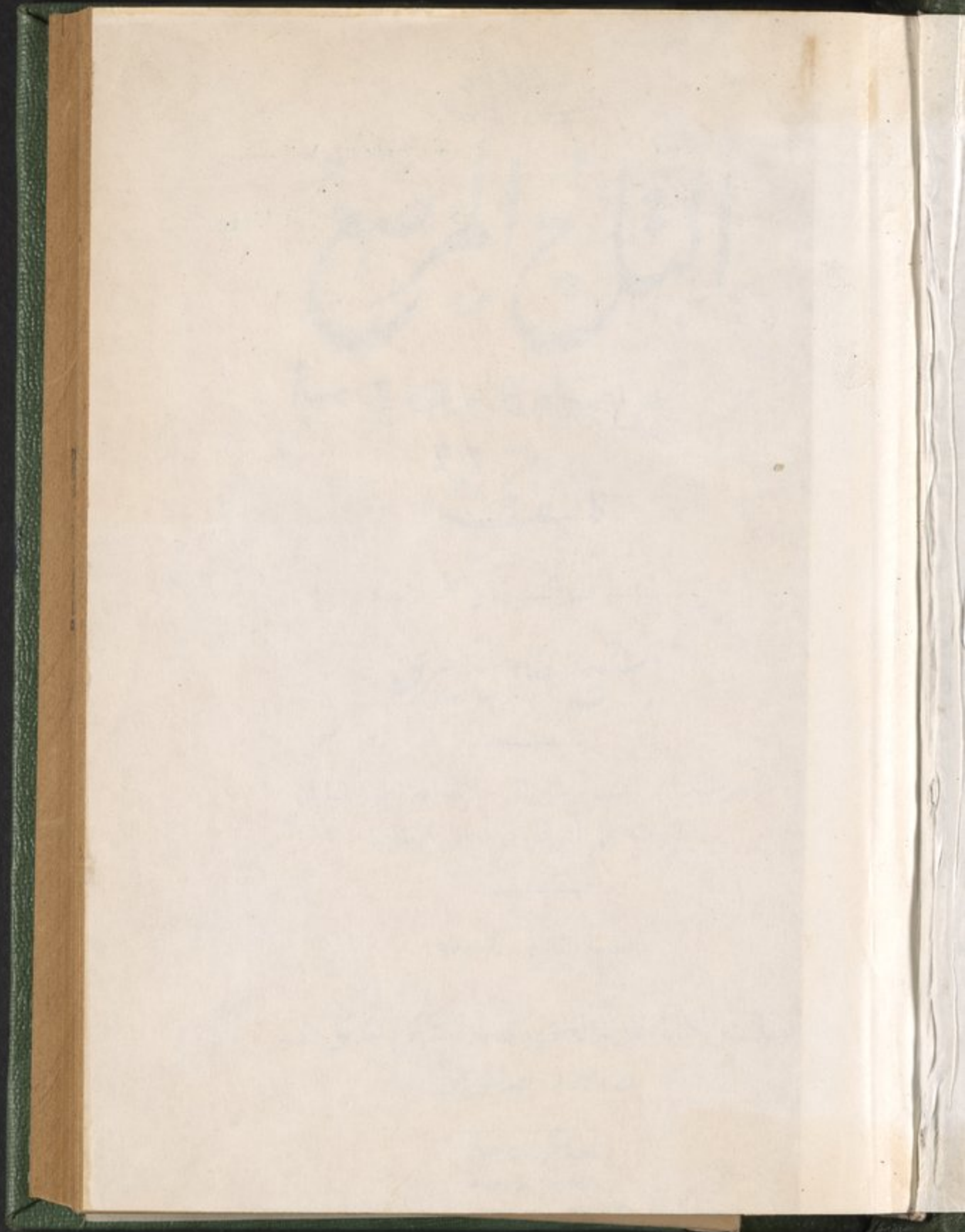
3 8534 00977 0557

BR
1
S
J
1



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



1099-B 4153, int
13/9

ITY

الج

كِتَابُ
الْبَلَاغُ الْمَرْصَعُ

بجواهر القرآن والعالم

تَأْلِيفُ

فيلسوف الشرق والاسلام

الشيخ طنطاوي جوهري

وهو الكتاب الذي أرسل إلى جلالة امبراطور اليابان
لعرضه على المؤتمر في أوائل انعقاده

الطبعة الثانية سنة ١٩٣٣

يُطْلَبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْبَحَارِيَّةِ الْكُبْرَى بِأَوَّلِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ عَلَى بُمْبَي
رِصًا مِمَّا : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
بمصر نشأت في ٢٥ مايو ١٩٢٢

BP

190.5

S3

J382X

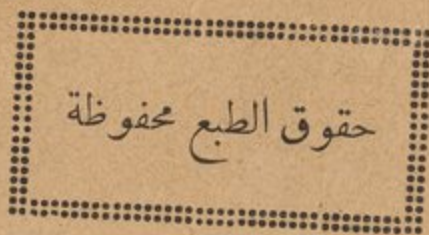
1933

297-p1
T15d

C11, 9
ح. ط. ت

ITY

الج



17175

مقدمة كتاب التاج المرصع - للطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَكَ الْحَمْدُ اللَّهُمَّ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ الْعِلْمِ وَمَا أَفْضَتْ
مِنْ الْحِكْمَةِ وَمَا أَوْلَيْتَ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ .

مَا كَانَ لِيُخْطَرُ لِي أَيَّامَ تَأْلِيْفِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْذُ نِيفَ
وَعَشْرِينَ سَنَةً أَنَّهُ سَيُعَمُّ نَشْرَهُ أَطْرَافَ الْمَعْمُورَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَأَنَّهُ
يُتَرْجَمُ إِلَى اللِّسَانِ التُّرْكِيِّ الْقَازَانِيِّ بِلَادِ الرُّوسِيَا وَإِلَى اللِّسَانِ
لَا أُرْدَى بِلَادِ الْهِنْدِ وَلَا أَنَّهُ سَيُقَرَّؤُهُ إِخْوَانُنَا سُكَّانُ بِلَادِ الْمَلَايُو
جَزَائِرِ الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَإِخْوَانُنَا الْإِيرَانِيِّونَ وَالتُّرُكُ وَسُكَّانُ شِمَالِ
فَرِيقِيَا وَجَمِيعِ الْمَسَامِينِ فَخَقَّ لِي أَنْ أَقُولَ نَصْرَ مَنْ اللَّهُ وَفَتْحَ قَرِيبِ
لَكَ الْحَمْدُ اللَّهُمَّ نَصْرْتَ وَأَيَّدْتَ وَفَتْحْتَ وَخَلَقْتَ جِيلًا جَدِيدًا

لِالْأُمَّمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

وَهَلْ كَانَ يَخِيلُ لِي أَثْنَاءَ تَأْلِيْفِهِ أَنَّ الْمَسَامِينَ فِي الصِّينِ وَالْيَابَانَ
الْأَفْغَانَ سَيُقَرَّؤُهُ وَيُفَرِّحُونَهُ بِأُمِّ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ التُّرُكُسْتَانَ

الصينية (كما سيأتى) يستقبلون حالا جديدة بعد قراءة هذا الكتاب
وأمثاله ويشيدون مدارس على مقتضى ما يبنوا فيه ويدرون تلك
التقاليد العتيقة التى ورثوها عن الآباء قرونا وقرونا اذ كانوا يحرمون
النظر فى هذه العوالم فرحين بما لديهم من ظواهر القشور العلمية
فى التوحيد وغيره زاعمين ان النظر فى هذه العوالم كالكفر الصراح
أشرفت الأرض بنورك وازينت بآياتك ، ما أسرع التطور
الآن وما أقرب التقدم والفلاح فى بلاد الاسلام ، نور على نور
يهدى الله لنوره من يشاء

ومن أبهج ذلك النور الالهى المشرق على الأقطار الاسلامية
فى زماننا ما قصه فى مجلس حافل وفى حفلات عامة يبلادنا ذلك
الشاب التركستانى منصور خان امين (الآتى ذكره) ان مبدأ
حياته فى ابان صغره كان على نهج ما قصصناه فى هذا الكتاب ، حيرة
وتردد وشك وارتباب فى أمر الحياة والدنيا والدين ، حتى إذا أتيح
له قراءته انفتح ما كان مغلقا وأسرع هو وآلاف أمثاله إلى السير
فى سعادة الحياة وهو الآن يدرس فى جامعتنا المصرية وهاك
ما جاء فى جريدة المقطم بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣١

تحت عنوان معلومات جديدة عن بلاد تركستان الصينية (كشغر)
نصف ساعة مع السيد منصور خان . وصدرها كاتبها الشيخ
سعيد درويش من سوريا الباب بمقدمة ذكر فيها أنه لما انصرف
من المؤتمر الاسلامي بالقدس الذي كان هو أحد أعضائه قابل
الشاب التركستاني المذكور وبعد أن وصفه بأنه يعرف خمس
لغات التركية والفارسية والعربية والفرنسية والانكليزية قال سألته:
من : ما السبب الذي حملك على مغادرة الوطن وهل زرت
غير مصر من البلاد الاسلامية ؟

ج : كنت تلميذا في المدرسة الثانوية في (كشغر) والعلوم
العصرية قليلة في بلادنا جدا بالرغم من رقي العلوم الاسلامية
والآداب العربية والفارسية

فمنذ عصور قديمة كانت بلادى واخوانى المسلمون غرقى في
لجة الجهالة بحيث لا يمكننى تفصيل أحوالهم الاجتماعية في هذه
المدة القصيرة، فها أنذا أريد الآن أن أرفع من شأن بلادى وشعبى
— وهم مسلمو تركستان الصينية — بالعلوم العصرية تلك العلوم
التي كانت منذ أزمنة متطاولة حتى زماننا هذا معدودة من أسباب

الزندقة والاحاد في البلاد بل الكفر ، وان كل من يتعلم علما عصريا
يعده قومي مارقا من الدين ، الى ان بزغ في آفاق عالم الاسلام شمس
أحرقت بأنوارها حجب الجهالة فتجلى جمال الحقيقة وأزيل الغطاء
عن عيون شباب بلادى جميعا في بضع سنين الأمر الذي عجزت
عنه القرون المتطاولة والمؤلفات التي كانت تصدر آنا فنا لفلاسفة
الاسلام ، وما هذه الشمس التي مزقت تلك الحجب وأحرقتها إلا
مؤلفات حضرة فيلسوف الاسلام الأ و حد فضيلة الاستاذ الشيخ
طنطاوى جوهرى المصرى الذى سحر عقول بلادنا في مدة وجيزة
وأبدع قرنا جديدا في الحياة الاجتماعية الاسلامية ووفق بين
القرآن والعلوم العصرية مما لا يدع مجالا للشك والريب في أن تلك
العلوم هي نفس الدين وأخص بالذكر من المؤلفات التاج المرصع
الذى أهدها ليكادو اليابان ونظام العالم والأمم وتفسير الجواهر
وكتاب القرآن والعلوم العصرية

ومن العجب أنى في أى بلاد مررت بها في سفرى إلى تركيا
كنت أقابل من يعرف فيلسوف الشرق الشيخ طنطاوى جوهرى
وفى يده أثر من آثاره القيمة يريد أن يتثقف به أو يتثقف به غيره

والحق يقال أن آثار الفيلسوف على ما أعتقد ستؤثر في عقلية الشعوب تأثيراً يشبه تأثير المصلح في الدين المسيحي (لوثر) ولما كنت في بلادى كان شباب تركستان الصينية يتشاورون فيما بينهم أن يشيدوا باسم الفيلسوف الجوهري جامعة تكون تذكاراً لاسمه وتقديراً لأعماله

إن تلك الآثار القيّمة أثرت في عقلية شبان تركستان الصينية الذين كانوا يتيهون في بيداء آسيا الوسطى حيارى لا مرشد لهم ولا دليل في عزلة عن الأمم المتقدمة، فلما رأوها أقبلوا عليها وحل في قلوبهم شوق إلى العلوم العصرية فسعوا إلى منابعها في جامعاتها في الممالك المتقدمة الأوربية والإسلامية وإن هذه الكتب الطنطاوية هي التي بعثتنا في أقطار الشرق والغرب لدراسة علوم الأمم مما حرم منه جميع أجدادنا وآبائنا، وأنا واحد من أول وفد قام من البلاد وعددنا ثلاثون شاباً وقام بعدنا وفد آخر كل ذلك بتأثير حضرة الفيلسوف فها أنا ذا غادرت بلادى إلى تركيا لاقتباس العلوم العصرية وللارتشاف من مناهل حياضها

- ذكرتم أن في بلادكم مسامين فكم عددهم ومن يحكمهم

— عندنا أكثر من عشرة ملايين من الأتراك المسلمين
الذين يتكلمون بلهجة قديمة من اللغة التركية

أما المسلمون في بلاد الصين فانهم أكثر من سبعين مليون
مسلم يتكلمون باللغة الصينية ويعتادون العادات والتقاليد الصينية
ويدينون بالديانة الإسلامية المحمدية وأن الذي يحكمهم هي
الحكومة الصينية الامبراطورية

— هل تضيق الحكومة عليكم في دينكم أم هل تقيمون
الشعائر بكل حرية

نحن أحرار بكل معنى الكلمة

— هل زرت مصر وتركيا

— الأفغان وإيران في طريقى إلى تركيا

— هل مكثتم طويلا في بلاد الأفغان

— جلت في الأفغان ستة أشهر وأن رفيقى أمين أفندى

الكاشغرى دخل فى إحدى المدارس الأفغانية مجانا تحت حماية
أمان الله خان الملك السابق فحينما ذهبت إلى وزارة المعارف الأفغانية
أخبرنى معاون الوزير أنه فى صدد ترجمة كتاب نظام العالم والأمم

لخضرة الاستاذ طنطاوى جوهرى إلى اللغة الفارسية لشبان الافغان
قلم أن كتاب التاج المرصع لهذا الفيلسوف أهدها صاحبه
ليكادو اليابان فهل لذلك الكتاب أثر في تلك البلاد اليابانية

— إن التاج المرصع لما وصل اليابان أكتب المسلمون اليابانيون
الذين أسلموا منذ ربع قرن بارشاد المشهور عبد الرشيد ابراهيم
السياح والآن في اليابان على ما سمعت من بعض الثقات أكثر من
عشرين ألف مسلم يابانى فصار هذا الأثر النفيس (دولة)
أى تتداوله الأيادى وأثر في زيادة محبتهم لدينهم والآن ينتشر
الدين الاسلامى بتأثير ترجمة هذا الأثر انتشارا واسع النطاق
اه ماجاء في المقطم .

ثم هاك ما كتبه الفاضل التركستانى المذكور في تاريخه
أدناه يصف به هذا الكتاب ويحرض شباب الشرق الأقصى
على قراءته قال :

حينما بدأت في أن أكتب تقریظا لهذا الأثر الجليل حول
فكرى قلمى شطر هذا الشرق . هذا الشرق المسكين الاسير ،
هذا الشرق الضعيف القوى . هذا الشرق العزيز الذليل ،

هذا الشرق النجيب ، الذى كان منبع الحضارة البشرية ومهد العلوم والحكمة . هذا الشرق الذى ربى فى حجره قادة للفكر الانسانى ، هذا الشرق الذى علم الانسان ما لم يعلم . هذا وما أدراك ما هذا الآن ؟ إنه الآن عبارة عن مستعمرات الغرب أهلها أسارى أوروبا . وما كانوا بأسارى ولكن عفريت ذكاء الإنسان المدنى المتقدم أفسد هذه النفوس الذكية الابتدائية الجاهلة الطاهرة فأيقظ مطامعها فسهل أسر هذا الشرق المسكين . فهو يبكى الآن متألماً مما ألم به ويدعو أبناءه المخلصين لتحريره بقدر الأمكان واعادة مجده التليد الذى زال .

وأنا أخطبك دائماً كما خاطبتك من قبل أيضاً أيها الشباب الشرقى ! إنك أيها الشباب الشرقى النبیه ، إنك أنت مفتاح مستقبل الشرق . أخطبك ، إذ أنك فقط مخاطبى . قلبك الصافى وعقلك الحاد المتوقد ووجدانك الحساس الشاعر يصرف خطابى وقلبى دائماً اليك عن أولئك الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأفسدهم المجتمع . وأنت لم تخرج بعد إلى ساحة الحياة الاجتماعية ولم تختلط كثيراً بالمجتمع فلم يفسدك بعد . فقلبك صاف كياه

الأمطار حينما فارقت قطراته السحاب وحينما هي ساقطة في الهواء
فأنت لم تتلوث بعد بالادران الدنسة القذرة . فلا أرى في مرآة
نفسك إلا الأمانة والصدقة . فأنت لا تعرف الكذب والرياء
والخيانة والغدر . والمجتمع الغدار لم يلوثك بعد بهذه الأخلاق .
لهذا أردت أن أخاطبك بشيء مما يجيش في قلبي . وإن كنت
قد أقسمت ألا أخاطب أحدا من بني الانسان وألا أكلم
إلا تلك الطيور حينما تجمع واحدة منها أوراقا من الأشجار لتبني
وكرها تحت افريز سقف . وألا أعاشر إلا جماعة هذا النمل
الذي تمشي أفرادها في طريق مستقيم ويحملون حبات من الحنطة
إلى بيوتهم . ولا يتجادلون ولا يتحاربون فيما بينهم كما يتقاتل
مجتمعات الانسان . فان هذه الأم التي أحبتها أنا لا يتصف أحد
منهم بتلك الأخلاق الذميمة التي تأتي وتذبعث عن العقل الانساني .
فهم برآء من العقل .

فأنت كذلك أيها العقل الشاب مخاطبي . ولعلك أيها الشاب
الشرقي الذي سيقراً لاشك هذا الكتاب حينما أكتب هذا
الخطاب تعيش في بلادك بين عائلتك ولست غريبا مثلي أو انك

غريب مثلي أيضاً . ولكنك حاضر عندي . وبلادك أيضاً حاضرة
عندي . فحينما أنا أخطبكم ، أيها الشبان المعصومون الذين يحولون
على أفراسهم على سفوح جبال التاي وتيانشان ! ويا اخواني النجباء
الذين يروحون ويغدون بين كابل ومدارس دار الامان ! ويا أيها
الشبان الذين يتفسحون في أيام مساحتهم على سواحل نهر
« ركناباد » وحديقة السعدى ! ويا أصدقائي الذين يتفرجون كل
جمعة ويبحرون في البوغازين ! ويا شبان الهند والجاوا والصين والعالم
العربي ! حينما تجتهدون لتأمين مستقبلكم لا تنسوا وطنكم
العزیز الشرق واسعوا لرقية ونهضته وتقدمه . ولا يمكنكم أن
تنهضوا أمتكم إلا عن طريق الإصلاح الديني . فكلكم تعرفون
أن الشرقيين إلى هذا الآن يعتقدون بالتدافع والتضاد بين الدين
والعلوم الحاضرة . وهذا الاعتقاد هو أساس كل مصيبة أتت
وتأتى على رأس الشرق . وهو الذي أخر الشرق وعوق رقيه .
وهذا الاعتقاد هو الذي يستعمله المستعمرون ويستفيدون منه في
جميع أغراضهم السياسية فيضربون المتنورين بالمتعصبين . فعليكم
أيها الشبان الشرقيون أن تسقوا أمتكم العطشى بزلال المدنية والعلوم

الحاضرة من حوض كوثر القرآن الحكيم . فان الحقائق العلمية
التي آتى بها القرآن ، وان بقيت مخبأة عدة من القرون ، قد كشف
عن غطائها فيلسوف شرق حبه علماء الغرب كما حبه المحققون
المخلصون من فلاسفة الشرق ، فكتب هذا الفيلسوف النابغ
ستكفل بانقاذ الشرق من هذه المصائب الحاضرة . ولا شك
أن الشباب التركستاني الصيني والشباب الصيني أول من سيهتم
بها كما اهتم من قبل .

فهذا الفيلسوف الشرقى الأ كبر الذى قد عرف عقلية الامم
الشرقية قد أهدى اليهم ما كانوا يتمنون ولكن لا يجدون .
ألا أيها الشباب الشرقى ! أن للنهضة الفكرية بين الأمم طريقتين
الثورة الدامية المخربة . والاصلاح الهادى المعمر . واعتقد أن
الطريقة الثانية هى التى تنمو الآن فى الشرق . وأهم هذه الاصلاحات
هو الاصلاح الدينى وهى الطريقة التى آتى بها الفيلسوف المصرى
طنطاوى جوهرى فاقراً آثاره وطبق مايقول فيها على بلادك .
وارشد شعبك إلى الحياة السعيدة العصرية عن طريق القرآن .
وتفسير الطنطاوى ، واذهب إلى أنحاء وطنك ماشياً وعلم أبناء

بلادك بالخطب والمواعظ والجرائد ، أن القرآن يدعوهم إلى العلوم
الحاضرة والحضارة المعاصرة فان أعرضوا عنه فما عليك إلا البلاغ
المبين فلا يبالى ربهم فى أى واد هلكوا . وما ربك بظلام للعبيد
وأنا موقن بما سيتم من الرقى القويم . ولتعلمن نبأه بعد حين
منصور جنكيز خان التركستانى

القاهرة فى ٣ / ٧ / ٣٢

وهاك الصورة الشمسية للمقدمة التي صدر بها الكتاب الأستاذ ذاكر
القادرى في ترجمته إلى اللغة القازانية

مترجم طرفندن بر قاچ سوز

امت اسلاميه نك افرادندن اولان هر مسلمه حقيقت اسلاميه به
و جامعه محمد به به كندى اقتدارى درجه سنده قوتنى صرف ايدوب
فائده كتور مك فرضدر. حر كات وسكنانندن و جميع اعمالندن الله
وامتى عندنك مسؤولدر « كلکم راع و كلکم مسئول عن رعيته »
حديث شريفى، دين اسلامك سياسى و ادبى اولان قواعد جليله
لر نندن بر يدر. اشته بنده بو امتنك بر فردى اولديغمندن امتمه
بيوك فائده كتورميه مقتدر اولما ديغمه تأسف ايدوب امتمه جزئى
اولسه ده فائده اولسون ديهرك مصر القاهره نك اك مننور
و ملتپرور علماسندن و استاذنا الامام و فقيه الاسلام الشيخ محمد
عبدہ حضرتلرينك نائب حقيقيسى اولان استاذمز فيلسوف
طنطاوى جوهرى حضرتلرينك تاليف عديده سندن برى اولان
« التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم » نام كتاب جليلنى ترجمه به
شروع ايتدم.

مؤلف حضرتلرى بو كتابنده قرآن شريفنى علوم ادبيه كه
تطبيق ايدهر ك تفسير ايدوب جزء جزء اولارق تاليف ايد چكدر
مؤلفى حضرتلرينك اشار سنده بناء عربجه سى طبع اولماز دن اول
ترجمه سنده استمرار ايد چكم. كتابده مذكور آية قرآنيه فى
مجله اولارق تاتارچه تفسير ايدوب خط مستقيم التنده يازاجم
عربجه انشاء و تحرير ايلان هر كون اوغراشمقده ايسه مده تاتارچه
يازى يازمق اچون اول مرتبه اولارق المه فلم آلديغمندن
قارئلريمز تحرير مزده اولان قصور لر مرنى عفو ايدوب مدرسه
لر مرنك انتظام سز لقمه حمل ايد چكلرنندن امينم. لنتمز ناقص و اكثر
مصطلحات ادبيه فى ترجمه اچون لنتمز ده هيچ بر ماده، و مراجعت
اچون قاموسمز اولما ديغمندن ادبى كتابلرنى ترجمه نه قدر مشكل
اولديفى اديبلر مزه معلومدر. ذا القادرى. « مصر القاهره »

ثم هاء الصورة الشمسية التي صدر بها ترجمته الى
اللغة الأوردية الاستاذ محمد حلیم أنصاری بلاهور بالهند

گزارش تبرجم

جاپان میں تحقیق مذاہب کا جلد ہونے کی خبر سنکر دنیا کے ہر گوشہ سے ہر ایک مذہب کے علماء نے شرکت کا ارادہ کیا۔ اور مسلمانوں میں بھی طبعاً اس امر سے ایک تحریک اپنے مذہب کی تبلیغ کی پیدا ہوئی۔ کافر نس مذاہب کا تو نام ہی نام ہوا۔ مگر اس سلسلہ میں بعض مسلمانوں کو تبلیغ اسلام پر مناسب اور حسب ضرورت وقت مفید رسائل تالیف کر دینے کا خیال سوچھ گیا۔ ہندوستان میں زبانی غل و شور ہوتا رہا۔ اور مقررین جہاں کے مسلمان عربی مادری زبان رکھتے ہیں۔ اور علوم مغربیہ سے بھی خاصے باخبر ہیں۔ چند رسائل اس موضوع پر بہت اچھے نکل گئے۔ ان میں سے ایک رسالہ "سفر اسلام" مولفہ محمد فرید و جدی کا ترجمہ خاک اترجم نے پہلے ہی کر کے بطور خود شائع کر دیا۔ جو کہ نہایت مختصر تھا۔ اور الحمد للہ کہ وہ مقبول ہوا۔ اور اُسی کے ساتھ کا دوسرا رسالہ شیخ طنطاوی جوہری کی تالیف موسوم بہ "الانجاء للشیعہ بجواب القرآن والعُلوم" بھی ترجمہ کے لئے زیر تجویز تھا کہ اتفاق سے جناب فضائل مآب مولوی محمد انشا اللہ خاں صاحب مالک و ایڈیٹر اخبار وطن لاہور کے کارخانہ سے میرا تعلق ہو گیا اور اب میں نے اپنا سبقت کو زیادہ عرصہ تک اس قابل قدر رسالہ کے مطالعہ سے محروم نہ رکھنے کا فیصلہ کر کے اُسے "جواہر قرآنی" کا نام دے کر سلیس اردو میں ترجمہ کر دیا۔ اور اپنے غیور و باحیثیت ہمدرد قوم مخدوم کی عنایت سے یہ عمدہ قومی اور اسلامی خدمت بجا لاسکا۔ اب اس کام کی قدر دانی قوم کے ہاتھوں میں ہے۔ واللہ الموفق۔

۲۶ فروری ۱۹۰۸ء

محمد حلیم انصاری

روولوی نربیل - لاہور

مقدمة الطبعة الأولى

طالما خطر لي أن أضع نموذجاً لعلوم الدين الاسلامي يتضمن ما يطلبه من الحقائق وما يألوه من الحكم حتى قام قائم الحركة الفكرية في دولة أبناء الشمس المشرقة باليابان ، فرأيت أن أبرز الفكر إلى العمل ، فوضعت كتاباً سميت به التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ، وذلك في شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥ ثم اتفق أن رأته لجنة يرأسها صديقي العلامة الفاضل محمود بك سالم فاهتم بترجمته إلى لغات أوروبا ونشره في أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً فعسى الله أن يكمل عمله بالنجاح ، وها هو ذا يترجمه الآن شاب قازاني إلى اللغة التركية كي يعم نشره في بلاد العجم والترك والروس ثم بعد ذلك عقد مؤتمر اليابان في سنة ١٩٠٦ أي في هذا العام فصرت أقدم رجلاً وآخر أخرى أرسله إليه وهو باللغة العربية أم أتربص انجاز وعد صديقي محمود بك سالم بالترجمة وبيننا أنا كذلك إذ اقترح على أخ لي صديق أن أهديه إلى أمبراطور اليابان ليعرضه على

هيئة المؤتمر فانشرح صدرى لذلك فأرسلته بخطاب إلى جلالة
الميكادو وهذا نصه :

جلالة الأمبراطور العظيم ملك اليابان

أرفع لجلالتكم التبجيل والتعظيم وأقدم لكم كتاباً ضمته
إجمال ما زاولته من حقيقة الدين الاسلامي في الجامع الأزهر
الشريف وما طالعته من أسفار الأوائل حكماء العرب وفلاسفة
اليونان وما لاحظته من العلوم المصرية ومقارنتها بالقرآن الشريف
في المدارس المصرية ولذلك سميته التاج المرصع بجواهر القرآن
والعلوم وأنى من مبدأ حياتي مغرم بالبحث عن الحقائق العلمية
ومقارنتها بالأديان ببحرية الفكر

وأن أعجب شيء في حياتي وأجمله أن أرى ملكاً عظيم الشأن
مثل جلالتكم يوجه النفوس إلى ما اشتاقت إليه نفسى وهام به
فؤادى من هذا المقصد الشريف العالى ، فلم أؤبدأ من جمع حقائق
وعاها الصدر واشتغل بها الفكر وإهدائها لجنابكم أعظاماً واجلالاً
وقياماً بشكر الله على أن قيض للعالم فيكم ملكاً ناصرًا للعلم والحكمة
أهديه لجلالتكم باللغة العربية لغة الدين الاسلامي وعجلت به

إليكم قبل أن يترجم إلى لغة أخرى من لغات التخاطب في المؤتمر
خيفة فوات الفرصة ، فاني أرجو أن يعرض على هيئة المؤتمر ،
وعسى أن يقرأه من أعضائه من جمع بين اللغتين باتقان ، فان وصل
الكتاب متأخراً بعد انقضاء المؤتمر فاني أرجو عرضه على حكام
دولة اليابان العظيمة مترجماً بأمركم ، فلعل في شبان اليابان من
يرى في سلسلة هذا الكتاب ما يوافق مشربه من البحث وإن
عامت نتيجة ذلك من بعد فاني لجالاتكم من الشاكرين

وقد كان ارسال الخطاب والكتاب في أوائل انعقاد المؤتمر
ولما كان نشره في وطني وأبناء جنسي أوجب والزم وأحرى وأحق
أردت طبعه ليعم نفعه أبناء البلاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وأصلى وأسلم على نبيك وأتقرب لجناحك الرفيع
 زلني بابرار ما أكنه الفؤاد من علوم الدين الاسلامي إلى مشارق
 الأرض ومغاربها . فسأوفي الشرقيين والغربيين بما اقتبسته
 من فرائده وما نظمته من قلائده واستمنحك اللهم روحاً عالية
 وقوة قدسية تمدني بها حتى يبلغ الكتاب أجله ، وينال عبدك أمله
 ويصبح هذا الكتاب منهلاً عذباً للواردين ومتبواً صدق
 للمتفكرين ولاذكر نموذج وقائعي المتابعة موسومة بالجواهر
 فأقول : —

﴿ الجوهرة الأولى — مبدأ نظري في العالم ﴾

خلقت بطبعي أميل إلى النظر والتأمل في العالم فكانت
 السنة عندي نصفين نصف أقضيه في الدرس والطرس في الجامع
 الأزهر الشريف في القواعد العربية والمسائل الفقهية كالمعاملات

والعبادات العملية، فاذا عدت إلى الحقول والمزارع في النصف الآخر
أجلت فيها النظر وسرحت فيها الفكر، فأرى جمالا باهرا ومنظرا
زاهرا وحسنا ناضرا وسلطانا قاهرا، فتركت فاكهة ولا أبا
ولا نجما ولا شجرا إلا تأملت أشكالها الظاهرة ومحاسنها الناضرة
وروائحها الذكية وألوانها الزاهية الباهية، فأقول ياليت شعري
ألم يك هذا النظر أولى بمدارسنا الإسلامية، أو ليس الذي خلق
السماء فسواها. والأرض فدحاها. والأنهار فأجراها. والنبات
فأنماها. والأشجار فأثمرها. والأثمار فكورها. والأزهار فنورها
والروائح فأحسنها وصورها فزينها، هو الذي خلق الأجرومية
والنحو وفرض الصلاة والزكاة وأجرى القرض والبيوع ورتب
الميراث والحدود، ولماذا لم يفرض علينا أن نلم بأطراف ما ذرا في
الكائنات وما أبدع في المخلوقات، ثم أظل نهاري مفكرا في ذلك
فاذا جن الليل وأرخت سدوله على أخذت أفكر في النجوم وجمالها.
والسماء وبهائها والأرض وجلالها وأحضر القرون الخالية والوحوش
السائحة، ثم أرجع إلى من ذراها وبرأها فأجد أساتذتي لا يحومون
حول ذلك إلا عرضا وينبذونه نبذاً وغاية ما يقولون ان هذا العالم

حادث والحادث لا بد له من محدث ، أما التعويل على حكمه وآياته
والاعتراف من ينابيعه وأنهاره فذلك منبوذ نبذ النواة . فاذا رأوا
مسائل طبيعية في كتاب قالوا فليقف هذا الباب . فظلمت حائرا
بين نظري والدين والتقليد واليقين . ومن العجب انى رأيت
العلماء يقولون لا يصح الايمان إلا بالعقل والبرهان . لا بالتسليم
والاذعان فان نظرت الى تعاليمنا أجدها تقليدية وان نظرت ورجعت
إلى فطرتى ألفيتها تسعى إلى اليقين

✽ الجوهرة الثانية — مقارنة الأديان ✽

ومما زادنى شغفاً وأضناني حزناً وأشعل فى فؤادى نار الطلب
انى قرأت يوماً فى قانون القرعة العسكرية ان للدين النصرانى
لاهوته وانهم يظلمون يبحثون عن الخالق بعقولهم فكاد يغشى على
إذ ذاك وقلت إذن هم يبحثون كما نحن باحثون ويعلمون كما نحن
عالمون ، فأى الفريقين أحق وأى الحزبين أصدق ، وما زلت أروح
وأغدو فى تيهاء تلك الحيرة وبيداء تلك الفكرة حتى اهتديت إلى
تاريخ حياة الامام الغزالى رحمه الله تعالى المتوفى فى أوائل القرن
السادس فرأيت فى درج على ما درجت عليه حتى اهتدى وذكر السر
فى حيرته والهدى فى أوبته ففهمت رمزه وعرفت خبره

﴿ الجوهرة الثالثة — العالم والصانع ﴾

ثم كررت أبحث ركاب الطلب في البحث عما شغل الفؤاد
من العالم والصانع فوجدت فؤادي يتقد حرارة وشوقاً وولوعاً
لادراك سر هذا الوجود ومعرفة صانعه ، ولكم حاولت تحويل
القلب وارجاع الفكر واتخاذ الجذوة فلم يرعو الفؤاد ولم يزدجر
العقل ، بل لاحظت اني كلما لويت عنانه جد في الطلب وحث
ركاب التسيار ، وكان أمامي خلة من خلتين أما ان أعلم ان هذا العالم
موزون بميزان سائر على نواميس متقنة محددة ، فأقر بصانع قادر
عالم مدبر له . واما ان أعلم انه مبعض غير محكم فأقف موقف الكليل
الطرف الحسير وأياس من كل ما أسمع من الموجودات العالية

﴿ الجوهرة الرابعة — تعلم التوحيد ﴾

طلبت هذه الحقيقة من علم التوحيد فقرأت فيه براهين
أشبه براهين الهندسة في شكلها فينظمون المقدمات ويستنتجون
النتائج لا يلوون على العالم ونظامه وما حواه من حكم وغرائب
وأحكام وبدائع بل يفرضون الفروض ويبرهنون على وجود
الصانع مثلاً بأن العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث والاله

واحد، ولو كان إثنان لحصل خلل، وهو قادر ويبحثون عن القدرة هل هي صفة زائدة على الذات أو عين الذات وهو موجود والوجود هل هو عين الموجود أو غيره، ولا يزال البحث هكذا، فبهذا ترى خواص المسلمين صرفت عقولهم عن العالم وما أودع فيه من الجمال والترتيب والنظام، بل نكتفى بأن نعرف الله بتلك البراهين ومتى حصلناها تنقع النفوس بأنها عالمة وأن فحوى العالم وما فيه أن نعرف الله ونقول هي مصنوعاته ولا عبرة بالصنعة من حيث اتقانها وابداعها، وربما يذكرون الاتقان عرضاً واجمالاً لا قصداً وتفصيلاً، فلما قرأت علم التوحيد أورثني بعض الاقناع ولكن ألحت على النفس في مطلبها واسترسلت في مشربها وجددت في سبيلها وزادت في غلوها وأصرت على مقصودها فكررت راجعاً إلى القرآن العزيز وهو لا يقرأ إلا للبركة لا ليفهم معناه عادة ﴿الجوهرة الخامسة — النظر في القرآن الشريف﴾

ولا ذكر لك قبل الكلام على القرآن مقدمة توضح المقصود فأقول . جاء القرآن والامة العربية في بداوتها فشغلتهم الفتوحات في القرن الأول وما زالت دولة الأمويين وخلفتها دولة العباسيين

حتى استتببت الفتوحات ووقفت الحركات وأخذوا يجنون ثمار
 ما غرسوا في الدولة السالفة فدوا أيديهم إلى كتب اليونان فترجموها
 واستعانوا بعلماء فارس إذ دخلوا في دين الله أفواجاً فاستمدوا
 من اليونان كتبهم ومن الفر من رجالهم فشغل الناس بتلك الفلسفة
 وهي كما في اخوان الصفا غامضة صعبة المراس ترجمها قوم ترجمة
 لغوية لا معنوية فاعتاصت على قارئها وأخذت بالناس إلى مهاوى
 وفيافي، وأضلت أهل العلم في الأرض حيارى وأصحابهم يدعونهم
 إلى الهدى فلا يهتدون، فترى أمثال ابن سينا والفارابي زعماءهم
 وابن رشد والغزالي خصمان فاحتدم بينهم الجدل والنضال في
 ميدان المناقشات ولم يك للناس شغل شاغل إلا أن هذه العلوم
 تنافي الدين وتناضله وتناوى القرآن، وأضحى عامة المسلمين
 من الأدباء والفقهاء يقولون هذه كفر هذه فلسفة تنافي الدين .
 هذا كله في العقائد الإسلامية والعلوم السكونية، وترى أمثال
 الشافعي رضي الله عنه وسفيان الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه
 ومالك وابن حنبل دونوا الفقه للعبادات والمعاملات والحدود
 والجنايات وتقسيم الموارث . فانقسمت الأمة إذ ذاك فريقين

فريق يبحث عن الفلسفة وآخر في الفقه ، فالفلاسفة هجروا القرآن
 بما استغرقوا أوقاتهم من شغل شاغل ، والفقهاء اذ اكتفوا بما
 استنبطه المجتهدون قبلهم حرموا الاجتهاد ورجعوا الى ما صنف
 شيوخهم حتى انك لترى الأحكام في هذه العصور مبنية على
 عرف الأعصر الأولى . وبالأجمال ان خاصة المسامين وعامتهم
 بما شغلهم من الحروب الفادحة وظلم الملوك واستبدادهم نبذوا
 القرآن والنظر فيه ظهريا ، واكتفوا من العلوم الكونية برشحات
 الفلسفة اليونانية ، ومن الفقه بمصنفات شيوخهم الغابرين وعلمائهم
 السالفين ، وما جاء الزمان الذي تعامت فيه إلا والقرآن لا ينظر فيه
 إلا تبركا ولا يجوز لأحد الاجتهاد فيه ، وطالما سمعت من شيوخى
 أن طلاب العلم يحرم عليهم التفسير إلا بالتلقى من الشيوخ والشيوخ
 لا يفسرون إلا بما دونته صحف الأوائل ، ويعتقدون أن لن يفتح
 على أحد بمثل ما عرف الأولون ، بل إن كتب الشافعى ومالك
 أصبحت لدينا الآن بمثابة القرآن في أن فهمها اعتاص على الناس
 فكل طبقة تنزلت في أفكارها عن قبلها . وهناك طائفة ثالثة
 نظروا فوجدوا الناس انبهروا من هاتين الطائفتين حيرى بين

الفريقين سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الجدل والخلاف
على العقول شديد ، فاجتهدوا أن اخترعوا أحاديث لفقوها
وأكاذيب ابتدعوها ونسبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ترد
في الصحيح خصوصا بفضائل سور القرآن كما في الاتقان في
علوم القرآن للسيوطي ولما سئل بعضهم قال قصدت بهذه
الأحاديث واقترائها أن أصرف وجوه الناس عن أمثال أبي حنيفة
وفقهه إلى القرآن فكان ما أراد وكثر قراء القرآن لمجرد التبرك
وترك الناس المعنى ونبذوه نبذا ظهريا حتى زماننا هذا

❖ الجوهرة السادسة — حالى عند النظر في القرآن ❖

لا عجب بعد أن سمعت هذه المقدمة إذا تلوت عليك من آيات
العبر والمدنية والرقى والحضارة في القرآن وقد غفل عنه المسلمون .
نعم لا عجب إذ قام عالم أمريكى يباحث العالم الخراسانى في الدين
الاسلامى في هذه الأيام ويقر العالم الأمريكى بحقيقته ويكتب في
الجرائد بذلك في هذا العام فتزد تلك الجرائد عليه بأن هذا دين
المتوحشين والبرابرة ولو كان كما تقول لرقاهم وأزال عن أعينهم
الغشاوة . وأنبت فيهم نباتا حسنا ، أين آثاره . أقوام لا خلاق لهم

جهلاء جامدون هذا كله قرأناه في هذا الأسبوع في جرنال العالم
الاسلامى فلا يعجب الغريون بعد هذا البيان الذى رسمناه إذا
رأوا فينا إغوجاً وجهاً، فقد ظهر الحق لذى عينين. إذا كان هذا
حال الأمة من أمد بعيد فكيف تكون حالى وأنا بين أقوام
حرموا على الناس ورود مناهل الكتاب الحكيم، فلما حاولت
الاهتداء بالقرآن رأيت من بين يدي سداً ومن خلفي سداً وانبعثت
أبالسة الوهم وشياطين الجهالة تحوم حول العقل وتمنعه من الاقتباس
وتحرمه من الاستضاءة بمشكاة نور القرآن فكسرت تلك الأغلال
وفتحت تلك السدود. وجاوزتها إلى المعانى ولكن لا ألبس الأمر
على القارىء، إني ما كسرت تلك الأغلال، ولا نبذت تلك القشور
إلا تدريجاً شيئاً فشيئاً قليلاً قليلاً ثم تلقيته عن الأشياخ وبعد ذلك
نظرت في علوم الغزالي فرأيت الرجل بحراً خضماً ومصالحاً عظيماً
وطريقته في تعليم الشريعة والتوحيد الجمع بين مصالح الدنيا والدين.
وأول ما اتفق لى من القرآن إني كنت أقرأ في أثر (تفكر ساعة
خير من عبادة سنة) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: لقد أنزلت
على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ويل له ويل له ثم قرأ

قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ
دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فقرأت هذه الآية وعرضتها على عقلي ثم
طفقت أنظر بنفسي في السماء والأرض والسحاب والماء والهواء
وأوازن القول بالعمل وأتأمل تلك العجائب المدهشة، وأقول إن
الناس يعيشون ويموتون وهم غافلون لا يفكرون. ثم أخذت أبحث
في آيات أخرى فرأيتها كثيرة جداً كقوله تعالى (قُلْ انظُرُوا مَاذَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقوله (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
قَدْ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) وقوله (إِنَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ
دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ
الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق

فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) كنت أقرأ هذه الآيات
وأنظر معانيها وأتأمل في الحقول والمزارع والأعشاب والأشجار
والأثمار والحيوان

﴿ الجوهرة السابعة — الشوق إلى العلوم ﴾

لما قرأت هذه الآيات وعرضتها على العقل وأخذت أنظر في
الكائنات فرحت بها في بادئ الأمر ثم ظهر لي أن لها مقادير
وحسابا منظما فكنت أرى الأشكال مستديرة وبيضاوية والأثمار
ذات مقادير وطعوم وروائح وألوان مختلفة ولا أدري ما الأسباب
المؤدية لذلك ولم اختلفت المقادير والأشكال والألوان فازداد شوقي
للعلوم والحكمة والطبيعة والفلسفة والكيمياء وعلم الحيوان
والإنسان والتشريح والنفس والرياضة من الحساب والهندسة
والجبر والفلك، فأخذت أقرأ بقايا الفلسفة القديمة بالأزهر الشريف
إذ كنت أقرأ مباحث الأفلاك اليونانية والطبيعية والأرضية
والمعدن والنبات والحيوان والإنسان ومعرفة الإله وصفاته واليوم
الآخر، ورأيتهم يقولون يلزم معرفة العالم أجمع حتى يكون الإنسان
حكيمًا، ولكنني رأيت المباحث مبعثرة ناقصة فبحثت عن منبع غير

هذا، فأذن الله فدخلت مدرسة دار العلوم، فلعمرك ما كنت لا أعلم
أن في العالم كله فلسفة سوى ما درسنا ولا طبيعة غير ما قرأنا
وكنت أظن كما أخبر ناشيوخنا ورسخ في نفوسنا أننا أرق العالمين
ولا يعرف أحد سوانا شيئاً، فلما دخلت المدرسة وسمعت أن لديهم
الطبيعة والكيمياء أخذت أدرسها هي والحساب والهندسة والجبر
والفلك وكنيت أرى أن ديني يطالبني بذلك إذ رأيت القرآن ذكر
هذه الأشياء في نحو ٧٠٠ آية فتقرر في عقلي أن من أمكنه معرفة
هذه العلوم وجبت عليه ومن ظهرت له الحكمة فأعرض عنها
واتبع هواه زلت قدمه وساء مثواه

✽ الجوهرة الثامنة — هل العالم منظم (إيضاح لما مضى) ✽
كنت أرى في النفس شوقاً أن أقف على حقيقة نظام العالم
فكان يظهر لي بادئ بدء أنه غير منظم ولا محكم بل هو مبعض
مشوش غير محكم الترتيب كما أشرت إليه فيما مضى وطفقت أكل
أمر التصديق بمبدع هذا العالم إلى الوقوف على حقيقته ونظامه
وطالما قلت في نفسي إذا علمت أن العالم منظم وأيقنت به فأني
لا أرى بداً من الجِد والتشمير في مرصاة صانعه وصرف الوكد إليه

والعمل الخالص لوجهه ما دمت حيا، فأما إذا لم تظهر لى بارقة علم
سألت الحياة وضلت الوجهة وكان الخسران . طالما برزت إلى الحقول
والنسمات تغنى على أعواد الأغصان بنغمات طبيعية والأثمار تنهادى
طربا والأزهار باسمه عجبوا وأفئدة المغرمين بالمعارف تصبوشغفاً
وتتبه عجباً وعجباً ولسان حال البرق ينطق بمحاسن الجمال ويعبر
عن مكنون الكمال، والرعد يقود جيوش العلم ويهزم جحافل الجهل
ويزار ويصول ويحول في الجوى نادى ذوى النفوس الخامدة والعقول
الخامدة ويزجر الجاهلين يحشرهم فى محشر وصعيد واحد ليسمعوا
آيات العبر، وصنوف الحكمة ليحكم بينهم بالحق وينقسمون
فريقين، فريق إلى سعادة العلم والنعم، وآخر إلى شقاء جهنم الجهل
والسعي . هذه المحاسن والبدائع لا تتجلى إلا لذوى النفوس والفطن
الصافية والعقول المنيرة . نفوس استعدت للحكمة فصفت وراقت
فقبلت نقوش الحكيم وصور الجمال فى ألواحها . فما من هبة نسيم
فى نافذة أو غصن إلا ولها معنى يبرزه صوت الحكمة أرسل
من المصادر العالية إلى تلك النفوس فتوحى إليها بأسرار يعجز عن
إدراكها أولئك الغافلون . فاذا أصغى حكيم إلى تلك الكلم

الهوائية سمعها تطالبه بالتحقق من سر هذا العالم وهل هو منظم
أم هو مبعثر وهل نحن نعيش عيشة مهملة أم هناك نظام شملنا بباطنة .
تلك الحقيقة كم قطعت دونها الاعناق وضل في طريقها أقوام برعوا
في النحو والفقه والعربية وما شاكلها . لم يكن الوجدان وحده
مطالباً بذلك العلم بل الكتاب الحكيم يقول : (١) (وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (٢) (وَالْأَرْضُ
مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)
(٣) (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ
الْمُتَعَالِ) . (٤) (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي
الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) قد فسر
الميزان بأنه نظام كل شيء في العالم بحيث يكون كالموزون لا يزيد
ولا ينقص وقوله ألا تطغوا في الميزان يلزمنا أن نقلده وننحو
نحوه فيما نزاوله من الأعمال وما نحاوله في معاشنا فلا نطغى في
ميزاننا ولا نبجاوز الحد فيه فنزيد إذا وزنا على غيرنا ولا نخسره
ونبخسه وننقصه إذا وزنا لغيرنا وبعنا شيئاً واننا بذلك تقرب منه

ونصنع كما يصنع في العالم ويهندس له لنا ويحكمه لعباده (٥) (إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٦) (وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) (٧) (وَعِنْدَهُ
مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ولا معنى لعلم ما في البر
والبحر وعلم ما تحت الثرى والرطب واليابس ووضع هذا في كتاب
إلا مع ترتيب وإحكام ونظام وأسباب ومسببات وإلا كان العالم
مشوشاً فالعلم به على مقتضاه لا يكون علماً (٨) (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) والقدر
وضع الأشياء بمقادير محددة معينة وأوضاع معلومة وأحوال
متناسقة ثم يقول إن أمره سريع كلمحة واحدة بالبصر ونظرة بالعين
كما في البرق والكهرباء وأحوال القلوب وأعمال الغيوب وهذه
مرتبة كسابقتها منظمة متقنة كاخواتها (٩) لَتَرَكِبْنِ طَبَقًا عَنْ
طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي أحوال العالم متناسقة درجات
بعضها فوق بعض مرتبة ليست مبعثرة بل هي منظمة (١٠) (وَالْوِزَنُ
يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) يقول ان الوزن يوم القيامة حق وهل يكون حقاً الا اذا كان الموزون وهى أعمال الدنيا موزونة صدقا بميزان عدل

﴿ الجوهرة التاسعة - المباحث المناسبة لنظام العالم ﴾

كنت اذا سمعت تلك الآيات أجدنى لا أزداد الا طلبا فأقول
يا ليت شعرى من لى بأن أقف على هذا النظام ومن أين يصل الى
أن كل شىء عنده بمقدار وبأى سبيل ينال قلبى التصديق بذلك
والوقوف على حقيقة هذا، ووددت لو أكون فى سرب مختفيا مجهولا
لا يؤبه بى وأصل الى الوقوف على تلك الحقائق وأنال أمنيته
وكنت أطوف على شواطئ البحار وحافات الأنهار وصفات
الخلجان ألتبس حجرا مرسوماً جديداً وخطوطاً منتظمة أو أرى
حيواناً فيه آثار منتظمة ومتقنة لعلى أشم لهذا النظام رائحة، وتارة
كنت أعثر على حشرات صغيرة بين الأعشاب ذات خطوط
منتظمة مختلفة الألوان باهية زاهرة فكنت أتشم منها نسيم
الحكمة ومبادئ العلم . وما كان أشد شوقى إذ ذاك وولوعى وجدى
فى الطلب وتشميرى واسراعى الحثيث وصرف جهدى إلى ما كنت
ألتسمه بين الاكام والطلول والطرق والمسالك والنباتات ، أنظر

الطيور الطائرات وكيف تناسب أجنحتها جسمها وكيف لطفت
من الأمام وتأمل ألوانها الزاهية الزاهرة وجمالها البهي . وأنا في
كل ذلك كأني في عالم غريب وكما عرفت شيئاً زاد العالم غرابة
وحسن طلبة . عشقت العلوم أجمعها فكنت أهفو للرياضيات
وأميل للوقوف على أسرار الطبيعة ، ولم أنس ليلة وقد زرت
حميماً لي إذ وقفت مساءً عند سياج حديقة الغناء وهي تشرف على
نهر جار يسمى أبا الأخضر بجانب قريتنا والنسيم يهب ومعى
صاحب يحدثني وقد أطلعتني على ماشاق نفسي وما يكنه الضمير
من الولوع والشوق . وأنا أقول له كأني بهذه الأوراق تتحلل إلى
العناصر أمامي . وكأني أطلع ماضئته من الأغذية المتحابة والمتجانسة
ولقد زاد شوقي لذلك وعسى أن أدخل مدرسة دار العلوم هذه
السنة ، نعم ، كان ذلك وأخذنا ندرس فنون الطبيعة وأنا لا أذكر
أننا في بعض السنين إذ قضينا السنة وقلنا إلى قرانا بالسواد وبلاد
الفلاحين ، أخذت أقرأ في كتاب إحياء العلوم للشيخ الغزالي فرأيت
جمع مدارسنا أثناء تلك السنة من الطبيعة في باب من كتاب الإحياء
تحت عنوان الشكر وجعل مدارسنا عنوان شكر الله ولقد قرأت

فيه الكلام على بيوت النحل وأن تسديسها وتنظيم بيوتها مختار
لمناسبة ذلك التسديس لجسم النحل إذ الأشكال المربعة والمثلثة
ونحوها تترك فيها زوايا ضائعة وكذا المسبعة والمثمنة تتخللها أمكنة
وفرغ بين تلك البيوت كالدوائر لقربها منها ، فأما المسدسات
فأجلها احكاماً وأبدعها إتقاناً وأنسبها للنحل وأجمعها للعسل ولقد
كنا درسناه تلك السنة على أستاذنا بهذه الطريقة وكان رحمه الله
يعرف الفرنسية فلما رجعنا إلى المدرسة قلت له يظهر لي أنك
أخذت هذه من اللغة الفرنسية فقال نعم قلت له ولعلمهم نقلوها
من كتب العرب وحكيت له بعض ما اتفق لي فقال لعله يكون
ذلك فوقر في نفسى من ذلك كله اننا مخطئون في الجهل بهذه
العلوم وان ديننا يأمرنا بها أشد من الأمر بالصلاة والعبادات
الظاهرة وطالما ذكر الغزالي في الاحياء النحل والعنكبوت ويذكر
من هندسة الثانى واتقانه خيوطه واحكامه لنسجه ماشاقى للوقوف
على الهندسة حتى أعرف تلك الصنعة الدقيقة ولقد سمي كتابه
احياء علوم الدين وجعل العلوم كلها علوم الدين الاسلامى وسمى
ما شغف به علماء الاسلام فى جميع العصور بالقشور فكان ذلك

يبعثني على الطلب دواماً . وكيف تقنعني فلسفة اليونان التي ترجع
إلى الأمور العامة أو أقنع بما يلقيه الدين وأكون مقلداً له في أن
العالم منظم ونفس الدين والوجدان يطالباني بالتحقق من نفسي
وطالما بحثت عن شكل للعنكبوت غير مشوش يظهر لي فيه جلياً
حسن نسجه وان فيه نسباً هندسية فلم تكد نفسي تقنع بما ترى
حتى كدت أياأس إلى أن اتفق ذات يوم وأنا في رياضة ان شابا معه
كتاب باللغة الانكليزية مرسوم في أوله صورة نسج العنكبوت
يسمى القراءة الملكية وكنت إذ ذاك أعرف حروفاً من اللغة
وبعض كلمات فأخذت الكتاب وتأملت الشكل وقلت للفتي
ترجم فترجم فانبهرت من القول وعجبت من الشرقي وجهله والغربي
وعلمه وقلت أرني بقية الأبواب في الكتاب فاسمعني جملاً منها حتى
عرفت مقصود الكتاب فزاد استغرابي وقلت من يسمع عني من
يفقه مني منهج الانجليز في تعليمهم على نهج كتابنا الكريم ونهجنا
نهج أجهل الأمم في تعليمنا . هذا القرآن يأمرنا بالنظر في الأشياء
جميعها وهذا الغزالي انذر وحذر ونظر وقال معنى دين الاسلام
أرقى مما عليه الناس . وها أنا ذا أبحث عن شكل من الأشكال التي

يعملها الحيوان فلم أعثر عليه الا في كتاب انكليزي . فأخذت
أدرس تلك اللغة لاستطلع آراء القوم وعلومهم وأقارنها بما عندنا
واتفق ذات يوم أني أحدث أحد المدرسين الانجليز ومعه كتاب
من كتب الدراسة وأنا لم أزل في تهجئة الحروف والنطق بالكلمات
فرايت شكلا في الكتاب ذا خطوط سود وبيض مقوسة ومستقيمة
فقلت ماهذه ، فقال طرق الشهب والنيازك أثناء تساقطها من السماء
فقلت أكل تعليمكم للناس على هذا النمط ، فقال نعم ان الطفل يأخذه
أبواه للحقول والرياض ويربانه الأشكال والأزهار والألوان
ويفهمانه مقصودها ، فقلت ان هذه تعاليمنا باعتبار ديننا فرايت
الرجل ظهرت عليه هيئة الانكار وكان يعرف بعض العربية فقلت
له لا تعجب وان شئت فاسمع هذه الآية ومتى لم تفهم شيئا
فاستفهم ثم قرأت له (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)
ثم قلت إن الله يقول في كتابنا ان من يعرف هذه الغرائب

ويتأمل الثمرات والألوان والجبال واختلاف أشكال خطوطها
ويعرف غرائب النبات والحيوان والانسان فهو العالم الذي يخشى
الله وهم هم الخواص ومن عداهم فعامة جهلاء وذلك لا يكون إلا
بقراءة هذه العلوم فقال لى لماذا لم تسيروا على هذا النهج فقلت
دولة شيخة لدينا بقايا العلوم لضعف الأمة وانحطاطها وها هي ذه
الآن أخذت ترجع شابة فقال اذن نحن المسلمون لا أنتم وكان
الرجل يصدق ما أقول لثقتة بى فى المحاورات التى دارت بيننا ولقد
عرفنى أدور مع الحق كيفما دار فلما سمعت منه ذلك لزممت الصمت
وبهت وزادت حيرتى وأخذت أنشر المقالات وأصنف الكتب
وهذا دأبى وديدى .

ثم ان ذلك الانجليزى عرض على ذات يوم حديثا فى ورقة
وهو (علو الهمة من الايمان) وسألنى ايضاح معناه وتفسير مغزاه
فقلت فسرته أنت فقال إن علو الهمة من الدين الاسلامى فقلت
هذا تفسير أكثر أهل العلم عندنا فقال وهل عندكم غيره فقلت
نعم ان الايمان هو التصديق ومعرفة الشئ بالتحقق مع الاطمئنان
فى المعرفة فمن عرف التجارة مثلا واطمأن لها وصدق بشرايتها

شاقته ومتى شاقته علت همته فيها وهكذا الحياة والفلاحة والسياسة والدين فمن وقف على حقيقة شيء من ذلك علت همته فيه حتى يجد ثمرته فالمعرفة أولاً والعمل ثانياً فقال هذا معنى عجيب ومن أين أخذت هذه المعاني فقلت من كتب الأوائل في شباب الدولة العباسية إذ كانت دولتنا شابة كدولتكم وعلمنا فتي كعلمكم فقال وهل في البلد الآن من يعرف فقلت نعم ولكنهم قليل فقال عجباً كأن نبيكم لما رأى العرب على الفطرة يرعون الغنم أخذ يلوى عنان رغبتهم إلى العقول والتفكير ثم أشار إلى رأسه وقال فهو يقول لهم رؤوسكم رؤوسكم عقولكم عقولكم ثم اعملوا فأمرهم بالتعقل ثم العمل فأيقظهم بذلك اه

﴿ الجوهرة العاشرة - النظر في كتب علماء الانجليز ﴾

رأيت النظر في علوم القوم وأرائهم وكتبهم صار واجباً على حتى يتسنى لي أن أدرس آراء الشرقيين والغربيين وانظر هذا الدين واني ليجد ربى أن أقص عليك نبأً بسيطاً اتفق لي أيام مجاورتي بالجامع الأزهر الشريف، ذلك انى كنت اذا قفلت الى الريف أشغل أيامى بالنظر فى العالم فكان هو درسى وشغلى كما قدمت

وأذكر أنى وقفت ذات يوم مساء على الجسر ذى القضبان المدة
لمرور القطرات فقلت أنا أقرأ فى الازهر العلوم وأبحث عن العالم
وهذا الطريق والقطار وضعهما قوم من الأوربيين فياليت
شعرى ما يقولون عن العالم وصانعه ولعل عندهم ما لا نعرفه ولقد
شغلتنى تلك الفكرة أمداً طويلاً وهأنذا الآن أقول قد عثرت على
كتبهم وقرأت الكتب المتداولة بين التلاميذ فى الابتدائى
والتجهيزى فرأيت ميل القوم إلى معرفة العالم سارياً الى هذه الكتب
وهذا النسق هو المطلوب فى تعاليمنا الاسلامية على شريطة أن
يتخلل تلك العلوم ذكر الله معها حتى يكون القارىء مستحضراً
له فى فؤاده . ولم تكن تلك الكتب غاية مطلبى

ولما عثرت على مؤلفات العلامة جون لباك الانجليزى
المسمى اللورد أفبرى ألفت ضالتى المنشودة وبغيتى المقصودة
وشمرت عن ساعد الجد لقراءة كتبه وقلما قرأت باباً من
أبوابه أو كتاباً من كتبه إلا وجدت عجباً عجيباً وأسلوباً
غريباً، فياليت شعرى كيف أجد قوماً فى العالم يميلون إلى ما أميل
إليه ويجدون فيما سعيت إليه . وكيف بحثت فى الحقول وفتشت
فى الازهار ونظرت فى الانهار ولم أترك شاردة ولا واردة إلا اتبعتها

ولا غريبة نادرة إلا اقتفيتها ، ثم أجد ذلك مشروحا في كتب القوم
وانى لأعجب إذ قرأت في كتاب مسرات الحياة له في الفصل
الأول يقول ان علماء الدين قلما وجهوا أنظارنا الى ما نراه بأعيننا
ونسמעه بآذاننا كل يوم وما نمر عليه من الآيات ونحن عنه غافلون
نعم يوقظوننا ويلفتون عقولنا ولكن لما نلبسه من المآكل
والملبس والصحة وما أشبه ذلك مما تشاركنا فيه أخس الديدان
واتعس الحيوان وأدنى الحشرات ، ولعمرك لم يشاءوا أن يحركوا
من وجداننا ويوقظوا من غفلتنا وينبهوا من شعورنا الى ما حولنا
من جمال وبهاء وحسن وكمال في بدائع المخلوقات ومحاسن الموجودات
في الحقول والحدائق والجنات فذلك الجلال والمجد لا ينال إدراكه
إلا الانسان خاصة وبه وحده يعرف حب إلهه وعنايته ويعشقه
قلبه ويميل اليه بعقله .

يأمرونا بعبادته ولكن في حجة ضيقة ولم يشاءوا أن يرسلونا
إلى الحقول والمناظر الطبيعية لننظر ذلك الصنع البهيح والعمل
الجميل وقصروا هممنا على النظر في عيوب النفوس الخاها . ولما وقفت
على هذا قلت ياليت شعري من لى بأن يقف الكاتب على ما تضمنه

القرآن الشريف ويتأمل قوله تعالى (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
 السموات والأرض وما خلق الله من شيءٍ وَأَنَّى يُكُونُ
 قَدْ أَقْرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) وهذه الآية
 أعظم ما أنذربه البشر يوبخ الإنسان على عدم النظر في بواطن علوم
 السموات والأرض وهو المعبر عنه بالملكوت وقوانين الأشياء التي
 ذراها الله وأنذرهم بقصر الآجال وذهاب الأمم من الوجود فكأنه يقول
 من لم يفتن لهذه ساءت حياته فقصرت زماناً إذ لا قوام لها الذهاب
 العلوم فيعم الخراب وإذا كانت المادة ولا علوم تفيد العقول عاشوا
 عيشة الجاهل لا يفقهون للحياة معنى ولا للعقول ثمر فحياتهم أقصر من
 يوم. فيوم من عليم أفضل من آلاف السنين من الرجل الجهول. والأمم
 كالأفراد في ذلك، فإن لم تعرف الأمة علوم العمران وتنظر في الخليفة
 ساءت حالها وذل رجالها وقصرت آجالها وخذت أنفاسها وساء
 مصيرها. ذلك مغزى الآية وتفسيرها ومقصودها وممرورها
 فقال: أي قول أجمل من هذا وأبين وأحسن وأصدق فيؤمنون
 به ويصدقون بمضمونه ويقول الله في آية أخرى (قل أنظروا
 ماذا في السموات والأرض) ويقول (وفي الأرض آياتٌ

للموقنين وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا
تَوَعَّدُونَ) ويقول (وَكَأَيُّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) إلى غير ذلك من الآيات والحكم
وأنا الآن أكتب هذا وأعجب كل العجب من الشرق والغرب
وكيف غفل أهل أوروبا عن الدين الذي يناسب مشارب عقولهم
ويلائم أفكارهم ويوافق آراءهم . دين من قرأه لا يرى فيه إلا العلوم
والمعارف كما سأوضحه لك بأجلى بيان إن شاء الله تعالى في هذا
الكتاب ^(١) وأذكر ما ورد فيه من الحث على العلوم ومكارم الأخلاق
وأن قصصه ومواعظه كلها ترجع إلى دينك الأمرين وكذا عبادة
الله من الزكاة والصيام والحج فانتظروا البيان في الكتاب . أنا
أعجب كيف أغفله الشرق وكفره الغرب هذا . وقد كنت حين
قراءة كتب العلامة جون لباك أولف في كتاب نظام العالم والأمم
فنقلت منه ما سرني ولخصت الكتاب في كتيب اسميته الزهرة

(١) لقد اتضحت خلاصات هذه العلوم في كتاب الجواهر في تفسير
القرآن الذي شرعت في تأليفه بعد هذا الكتاب بنحو ١٧ سنة وأمضيت
في نشره نحو ١٠ سنين وقد نشر منه الآن ٢٤ مجلدا مزينة بمئات الصور
وسيكون ٢٥ مجلدا هـ

ووضعت فيها جملاً من كلامه وكلام الشيخ الغزالي وأهديتها
 له وأرسلت له خطاباً هذا نصه « تحية وسلاماً من شرقي مشوق
 إلى عالم عظيم غربي جمعتني وإياه روابط الحكمة والشوق إلى الحقائق
 والبحث عما في هذا العالم من الجمال والبهاء وأنني وأنا أكتب هذا مشرف
 على ما في خزانة الخيال من جمال غابر ومستقبل جميل زاهر فأما
 الأول فهي تلك الحكمة الزاهرة العربية والكتب الفلسفية
 ككتب ابن رشد والغزالي وابن سينا والفارابي وما لخصته من
 آرائهم ومزجه بما عن لنا من علوم الغربيين الأوربيين ، وأما
 الثاني فاطلاعي على بعض كتبكم ككتاب جمال الطبيعة ومسرات الحياة
 ولقد عجبت من تطابق الشرقي والغربي وزاد تعجبي إذ رأيت
 شوقكم وفرحكم بما جبلت نفسي عليه في حداثة سني من التأمل في
 العالم وجماله وحب البحث عن العلماء السابقين واللاحقين حتى
 أنني ما درست ذلك القليل من اللغة الانجليزية إلا حباً في مطالعة
 كتبكم . ومن العجيب أنني أراني مشوقاً اليكم وأرى عقلاء بلادى
 مشوقين لما أكتب ، وهذه قد أحدثت عندي أمل أن أكون وسطاً
 متناسباً بين الطرفين ، فأصل ما بين علماء المشرق والمغرب وأطلع

كل فريق على مالى الآخر . وأرجو أن أقف حياتى على ذلك
حتى يتسنى للشرقى أن يعرف الغربى وللغربى أن يعرف الشرقى وإنى
الآن أجد نفسى أشرفت على عالم الجمال واستولت فى مقعد الجلال
ورأيتها تطالبنى أن أثبت لآخوانى الشرقيين ما أحبه وأميل إليه
ولقد كنت أرى كثيراً من النفوس فى الأقطار الاسلامية
تصبو إلى ما أكتب فى ذلك ولما وقفت على قليل مما كتبت
أخذت الدواة والقرطاس ونقلت ملحا ولطائف من كتاب جمال
الطبيعة وقارنتها بمقالات بعض العلماء فى الاسلام فى القرون الأولى
وأتبعها بآيات من كتابنا المقدس وعجبت كيف كنت أجد هذا
الوجدان فى نفسى ثم أقرؤه فى كتب العرب ثم فى القرآن ورأيت
أن هذه هى مناهجكم بنصها وفصها وإن أكثر أهل بلادى غافلون عن
ذلك فنشرت هذه الرسالة المهداة إليكم بينهم بعبارة ألفونها وهما هى ذه
مرسلة اليكم اعترافا بفضلكم وابتداء لصلة التعارف وهذه تجعل
عندى أمل أن أستمد من آرائكم ما به أوالى هذه المباحث
لأرى أمتى وأبناء بلادى ما اندرس من علوم آبائهم وأقارنه بما جمل
من آثاركم وأقبل التحية من المخلص ، فأجابنى بما يعرب عن شكره

وسروره وازتياحه وأهداني كتابه جمال الطبيعة وأذن لي بترجمته
وقد ترجمت أحسن ما في ذلك الكتاب بعد ذلك ووضعته في الجزء
الأول من كتاب نظام العالم والأمم وقد طبع وانتشر ودارت
بيننا المكاتبات أنا فأنا وهالك بعض ما كتبناه في الزهرة

﴿ الجوهرة الخادية عشرة مقارنة بين علماء المشرق والمغرب ﴾

ومن العجيب أن يتحد على هذا المبدأ الشرقي والغربي فهل
لك أن تعيرني التفاتة وتصغي إلى ما أثقله لك عن العالم الشرقي
المتوفي في أوائل القرن السادس من الهجرة حجة الاسلام الغزالي
وعن العالم الغربي السياسي الكبير جون لوك الذي يشاركنا في
الحياة ويتمتع معنا بضوء الشمس وهبوب النسيم وتتأمل سيدي
كيف اتفق الرجلان واصطحب العالمان واتحد الرأيان ، أو ليس
من العجب بل من أهنا السعادة في الحياة أن يبحث كاتب هذه
الرسالة عن الاتحاد بين الشرقي والغربي فيعثر عليه

وها أنا ذا أملى عليك أولا كلام حجة الاسلام الغزالي ثم
نطابقه بكلام العالم العصري .

قال الغزالي رحمه الله في باب الحب إن المدركات كلها التي هي

شاهدة على الله إنما يدركها الانسان في الصبي عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجبيا انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً وأعضاءه فقال (سبحان الله) وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة ، وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الأنس بها ولو فرض أنه بلغ عاقلاً ثم إنقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة خيف على عقله أن ينهر لعظم تعجبه من مشاهدة هذه العجائب خالقها . فهذا وأمثاله من الأسباب مع الإيهام في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة . فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكباً الحمار وهو يطلب حماره والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة .
فهذا سر هذا الأمر فليتحقق ولذا قيل

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
إلا على أمه لا يعرف القمر
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا
فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

وقال العلامة جون لبك . ما أسعد الناظر في جمال الخليقة
إذ تزين له العوالم وتسفر عن أبهى جمالها وزينتها . وما فصول
السنة إلا أحباؤه القدماء وأصدقائه الندماء يحددون له اللذات
ويعيدون له السعادات ، وإذا مشى منفردا تجلى له من الطبيعة ما تقربه
عينه ويشعر منه باللذة والسعادة فتطل له الأزهار من سياجها أو
تخرج باسمه من أرضها وتغنى له الطيور على أشجارها محوطة
بأوراقها الناضرات وأزهارها الباسمات ، فإذا انقضت تلك السنون
أعقبها الذكري السارة وخلدت في صحائف مخيلته وذاكرته
ما يرتاح له ضميره . فهو إذن ما بين حاضر جميل وغابر لئيد : الناس
في هذه الدنيا في غمرة ساهون منغمسون في تيارها تحت رحمة
أمواجها فلا مناص لهم منها ولا قوة لهم على دفع حوادثها إلا في
أوقات قليلة . أقول فكأنه اقتبس من مشكاة قوله تعالى (مَثَلُهُمْ

كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
 بنورهم وتر كهم في ظلمات لا يبصرون) ثم قال وليس حب
 الطبيعة ما يعتاده كثير ممن لا يعلمون فيجمعون ما جمل من الأزهار
 وينثرونه على الأرض. ولعمري كيف يهان هذا الجمال الباسم والحسن
 الباهر؟ أهذا حب الطبيعة وجمالها. ساء ما يحكمون. اضاعة الجمال
 وإهاتته أشنع اضاعة وأخسها. لو تصورنا أن هذه الدنيا طالت
 أيامها وقلت حوادث الشروق والغروب فلم يكديسمع الرجل
 بالصباح والمساء إلا مرة واحدة لاشتاق إلى ذلك أشد الاشتياق
 وفرح بما يبدو له من ذهب أصفر فاقع. جمال الشمس في شروقها
 وغروبها سعادة في نفسه يتفرق حسنه على بساط البسيطة في
 الصباح والمساء. لكننا لانعير جمال الطبيعة التفاتاً لأنها حاضرة
 لدينا مشاهدة أمامنا صباحاً ومساءً فهانت على النفس بتكرار
 المشاهدة قال سبكي عن ارسطاطاليس إذا تصورنا قوما عاشوا
 تحت طباق الثرى في منازل جميلة مزدانة بالتماثيل والصور قد
 أوتيت من كل شيء حتى يحسبهم كل من أطلع عليهم أنهم أسعد
 الناس حظاً في الحياة وأرقاهم منزلة. فإذا فرض إن الأرض انشقت

فخرجوا من تحتها ونظروا هذا العالم فلا جرم أنهم ينسون نعيم
بيوتهم الأرضية ويهجرونها ويخرجون سراعا . فيالت شعري
كيف يكون سرورهم وفرحهم وتأملهم إذا نظروا هذه الأرض
وجمالها والبحار واتساعها والأنهار وجريانها والرياح وهبوب
عواصفها والسحاب الملحقات والشمس ونورها وإشراقها وجمالها
وعظمة الخالق في إبداعها وتأملوا القمر وهو يبدو دقيقا ثم يتسق
كما قيل

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو دقيقا ضئيلا ثم يتسق
يزداد حتى إذا ماتم أعقبه كمر الجديد ينقصا ثم ينمحق
ثم تأملوا النجوم وهي تتلأأ في السماء مشرقة بهجة وعرفوا
حسابها ونظامها في شروقها وغروبها ، فإذا تأملوا ذلك كله ولا حظوه
فلا جرم يستنتجون منه أن لهذه الكائنات صانعا مديرا قادرا مهيمنا
عليها وإن هذه العوالم مصنوعات له . اه . أقول أليس هذا قبسة
من مشكاة قوله تعالى (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا ، كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ،
وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ
مَا تَرَى كَبُونَ ، لَتَسْتَوتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا
اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) . وقوله عز وجل (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) أى الى أى مكان
يصرفون إذ لا محيص لهم عما أجمع عليه خواص نوع البشر وقوله
تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير
أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
شَجَرَهَا ءِإِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًا ءِإِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلٌ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ثم بعد أن ذكر
هذه العجائب التى شغف بها الغريون أفاد ان الامم المتدينة
المسيطرة على العالم هى التى عرفت هذه العلوم وأن أى أمة خلت

منها فانها تقع تحت سيطرة غيرها لا محالة فاشار لهذا كله بقوله
 تعالى عقبها (أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
 وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)
 فانظر كيف ذكر خلافة الأرض بعد ذكر هذه العجائب
 الجميلة ولقد ذكرت لك أيها الأخ مقارنة بين علمائنا السابقين
 وعلمائهم العصريين وآيات من القرآن فانظر كيف دلت على حكمة
 بالغة وعظمة تامة. وتأمل الآن في آباء الأروبيين وما كانوا يدرسون
 أيام شباب الدولة الإسلامية وكيف كانت تعاليمهم وخرافاتهم . فاذا
 قارنت بين الآباء فارجع البصر وقارن بين الأبناء لتقف على مراكز
 الأولين والآخرين . ثم قلت بعد كلام طويل ما نصه فهل لك
 يا سيدي بعد ذلك أن تقرأ الآيات القرآنية . وتتخيل الأمة
 العربية إذ ذاك وهي تترنم بقوله تعالى (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
 مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ
 إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ

والخيل والبغال والحمير لَتَرُّ كَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ شَآئِبًا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ
وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ. أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.
فهذه وأمثالها معارف عند عامة العرب الاسلاميين فأدناهم من
يقرأ هذه الآيات ويعلم أن الله عز وجل أظهر قدرته وامتن على

عباده بخلق السموات والارض لأنها أعظم مشاهد للانسان ، ولما كان الانسان أعظم نتيجة لهما أردفها بذكره . وفي عجائب خلقه أبهر دليل حيث خلقه من نقطة قدرة ثم صار أكثر شيء جدلاً ، مع أن الأليق به أن ينظر إلى مبدئه ويتفكر في ملكوت السموات والارض ثم عدد عليه صنوفاً من نعمه وضروباً من آلائه ، فذكر ما ينتفع به من الحيوان والنبات والماء النازل من السماء النافع لهما وذكر كثيراً من أنواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب السموات ومنافع الكواكب والليل والنهار لتوقف هذه الأنواع عليها وذكر الجبال ومنافعها وما يهتدى به من علامات الطرق وبعبارة أوضح أقول أن الله ذكر في هذه الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات وان منها الماء كل والملابس فاتخذوا منها ملابس الشتاء وملابس الصيف ويتخذ منه الأعراب خيامهم ثم منها ما يحملنا وأمتعتنا إلى الامكنة البعيدة ، ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها فيتسم أربابها بالابهة والجاه ، لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز وجل . وكم له من مخلوق في الارض وفي السماء لا نعلمه . فعلومنا قاصرة على ما نتفع به ، فلو بحثنا عما

لا نعرف لكان ذلك ظلماً وجوراً وعبثاً ثم ذكر أنه أنزل
الماء من السماء فهو لشرابنا وطهورنا وسقينا زرعنا وأنعامنا
وأن ينبت به الزرع وهو الحب الذي نقتات به كالحنطة والشعير
وما أشبههما وقدمه في الذكر لأن به قوام أبداننا وثنى بذكر
الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل
لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة
في المنفعة من التفكه والتغذية، ثم ذكر بقية الثمار اجمالاً، ولما كانت
الاجرام العلوية لا بد منها لنمو هذه المخلوقات ولنهتدى بضوئها
أعقب ما ذكر بذكر تسخير الليل . والشمس والقمر والنجوم،
فلعمر الحق أن من لم تدهشه هذه العجائب فيوقن برب البريات
لابعد عن العقل والفهم بعد ما بين المشرقين . فان في بعض
هذه فضلاً عن جميعها دلالات واضحات على كمال بارئها وجمال
مبدعها الحكيم وقدرته . وانظر رعاك الله إلى ألوان الزرع كيف
اختلفت مع اتحاد الأضواء السماوية والماء والعناصر والهواء
والأرض وما أغفلنا عما بين أيدينا فكيف جعل هذا أحمر
قانياً وهذا أصفر فاقعاً وهذا أزرق زاهراً وهذا أخضر ناضراً

وهذا أبيض ناصعاً وهذا أسود قاتماً وكل منها يتلون ألواناً شتى
وأشكالاً متخالفة، فسبحانه وتعالى، ثم هذه البحار من أدل الدلائل
وأعجب العجائب فقد جعل جل جلاله في الماء جزءاً عظيماً من
الملح لولاه لآنتن بطول المسكت ففسد الهواء ولا نطيل بشرح
ما احتوته هذه الآيات من العجائب الخلقية والحكم الغريبة وإنما
شرحها وما مائلها من آيات تبلغ نحو سدس القرآن جميع العلوم التي
يفنى الزمان وهي تتجدد وتزداد وضوحاً مصداقاً لقوله تعالى
(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) وقوله (سَأُرِيكُمْ آيَاتِي
فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ)

هل لك أن تنظر في هذه الآيات كيف ابتداء فيها بالكلام
على السموات ثم خلق الإنسان فالحيوان فالنبات وأخذ يشرح العوالم
كلها واحداً واحداً وانتهى بنتيجة استخلصها منها وهي إن لها صانعاً
ثم انظر حكاية الالهة المتشاكسين وكيف احتال بعضهم
أن قتل إله الرحمة فانتزعت من بينهم ^(١) فانظر يارعاك الله كيف
خلف من بعدهم خلف قبضوا على زمام الأمم بالعلم ودرس الفنون

التي يشير لها القرآن ويتفكرون ويعقلون وينظرون. أما نحن فما بقي
لدينا منها الاحاثالات فكأننا ورثنا آباءهم وورثوا آباءنا فقلدنا قدماءهم
وقلدوا قدماءنا ولم يبق لنا سوى الدعوى العمياء والتبجح بقولنا
أتبعنا القرآن

﴿ الجوهرة الثانية عشرة — القرآن والمسلمون

ومتأخرو الأفرنج ﴾

ثم تعجب يا أخى من هؤلاء الأقوام في ديارهم فانك تراهم
يعظمون الحكيم سنيكا الرومانى حتى إنهم ليضعون حكمه في
أوائل كتبهم ويقدسونها ويقتدون بأقواله ويعولون على آرائه
ثم ترى آيات القرآن بين ظهرانينا أبدع وأكمل من
حكمه وأبهى وأبين وآنف في النفوس وأروح للعقول. ولأذكر
لك طرفا من كلامه ثم اتبعه ببعض آيات من القرآن ثم أكل
الأمر لك في حال قوم أضاعوا أجهل نفيس لديهم وآخرين
خاضوا البحار وقطعوا الفيافي والقفار وركبوا المهارى واجتأبوا
الصحارى وأخذوا يستمدون من آيات البشر. قال سنيكا: إذا

وهبك إنسان ضيعة واسعة ذات أشجار وبساتين وحقول وأنعام،
أفلا تعد ذلك منة جزيلة، ومن ذا ينكر أن الأرض وسعتها وجبالها
وأنهارها أعظم عطية وأجمل هبة من مدبر الكائنات. ولو أن
رجلا حباك دراهم ودنانير لعدتها هبة ومنة عظيمة. أوليس
الذي دفن المعادن تحت أطباق الصخور وكون في ظلمات الأرض
الذهب والفضة وغيرهما من المعادن أكبر اعطاء وأجمل هبات.
ولو أن رجلا بنى لك منزلا من المرمر الجميل وزين سقفه بالألوان
البديعة البهجة وزخرفه بالذهب والاماس وأسداكه، أفلا تعدها
لديك تحفة جميلة. أليس الله بنى لك قصرًا مشيدًا متين البناء ثابت
الدعائم قوى الأركان آمنًا من البوار بالنار والخراب بالامطار.
سقفه مزين بأجمل الألوان وأبهاها. مرصع بالدراري اللامعة.
والاقمار الساطعة. والشموس المشرقة. فأضاء بالليل والنهار وازدان
بالأنوار. فيه ما يحتاجه الانسان والحيوان. منه يخرج الهواء
لأنفاس نرددها والضياء لأعمال نزاولها ونهتدى سواء السبيل.
ويتوله الدم الذي عليه مدار حياتنا والغذاء المقيم لأجسادنا. الله عز
وجل بث في الأرض من كل دابة وفرقها في أنحائها وأنبث فيها

من كل زوج بهيج من أنواع النبات متعالنا ولا نعامنا . سخر الرياح
تجرى متصرفة بأمره مختلفات في الصيف والشتاء . الله عز وجل
كرم بني آدم وألهمهم الصنائع والعلوم . وركب فيهم النعمات
وجبلهم على الاصوات المختلفة ليستقوا منها نعمات الموسيقى ويزنوا
الآلحان . وهل نحن غرسنا في نفوسنا أصول العلوم والصنائع أم الله
هو الذي ركب فينا تلك القوى الشريفة والملكات الفاضلة . الله
سيدنا أخرج من ظلمات الطين نور العقل وأبرز هذه الصنائع
والعلوم وجمال الموسيقى من ماء مهين . اشتق من سلالة من طين
(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) اه ما قاله الحكيم سنكا

وقال آخر من فحول كتابهم أكثر الناس في هذه الدنيا لهم عيون
ولكن لا يبصرون بها وآذان ولكن لا يسمعون بها وأعظم منة من
الله أن يفاض على المرء منحة الفهم والاعتبار وأن يعبر عما شاهده
بعبارات تعقل عنه اه اليس صدر هذا القول قبسة من قوله تعالى
(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا الْجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) وعجزه

قبسة من قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ) ولو علمت مقدار أعظامهم واجلالهم لمقام هؤلاء الحكماء
لعجبت من أمة الاسلام كيف غفلت عما أبدع في القرآن من
نفائس الدرر وبدائع الحكم في نفس هذه المناهج التي ينتهجها أكابر
كتابهم . وإذا كان علماء وأكابر أوروبا وقادتهم يعظمون هؤلاء
الكتاب فكيف بهم إذا تلوا من هذا المنهج قوله تعالى (إن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها وبت فيها من كل دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) أو
ما يقرب منه فقال في موضع آخر (الله الذي خلق السموات والأرض
 وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر
 لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الليل والنهار
 وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
 وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن
 الإنسان لظلوم كفار) أو بما هو أوجز للخاصة فقال (هو)

الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن
 سبع سموات وهو بكل شئ عليم) وخاطب ذوى الالباب بما
 هو أوجز فجمعه فى ثلاث كلمات فقال (بديع السموات والأرض)
 ثم فى كلمة وهي اسمه (البديع) وهكذا مما فاض به القرآن وهجره
 المسلمون لما ظن أهل العلم أن الفقه وحده كاف فى السعادة والحياة
 والدين حتى قام الافرنج فسبقونا شوطاً بعيداً فى الماديات والادبيات
 على نحو ما ذكرنا فى تلك الآيات . أو لسنا نحن أولى بما حث
 عليه القرآن ان ندرسه ونسارع فيه ولذلك وضعت كتاب نظام
 العالم والامم اه^(١)

﴿ الجوهرة الثالثة عشرة ﴾

(نتيجة المباحث السابقة)

كانت نتيجة مباحثى السابقة وما رأيت فى الكتب الحديثة
 والعلوم المصنفة أن العالم منظم ورسخ ذلك عندى كما أنبأ

(١) هذا قلته منذ ٢٧ سنة ولكن الآن أقول قد جاء بعد نظام العالم
 والامم الجواهر فى تفسير القرآن المتقدم ذكره وكتاب الأرواح وكتاب
 النظام والاسلام وكتاب جمال العالم وكتاب نهضة الأمة وحياتها وكتاب
 القرآن والعلوم العصرية وكتاب الموسيقى وكتاب الحكمة والحكماء وكتاب
 الهلال وكتاب سوانح الجوهري وغيرها .

الكتاب المقدس وهو القرآن وقررت المباحث اليونانية المنقولة
 عنهم بمؤلفات ابن سينا والفارابي وكتاب اخوان الصفاء وابن رشد
 والغزالي. وكنت مقتنعاً بأن العالم النباتي والحيواني لهما قوى من الغذائية
 والنامية والمولدة والمصورة وهكذا وان القوة النامية تنمي الجسم
 بانتظام واشكال متسقة وهذا كما أسلفت إنما كان اجمالاً وقولا
 غامضاً حتى اتضح في أقوال علماء العصر الحاضر وتحليلهم وردهم
 النبات والحيوان الى عناصر مركبة بذرات معلومة متلائمة الوضع
 ووضعها الجداول والحساب ورقموا لها الارقام من مائة كما أوضحناه
 في كتبنا لاسيما الزهرة ونظام العالم. وقلنا هناك أن الذرة والقمح
 والقطن موادها واحدة كالبوتاسا والصودا وكان هذا قتنا وهذا
 قحاً لاختلاف المقادير في المواد. فظهر هناك بأجلى بيان قوله تعالى
 (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)
 عجباً كيف وصلت الى هذه الحقيقة التي كنت يائساً منها أشد
 اليأس وكنت أظن أن بيني وبينها بعد ما بين المشرقين وهكذا
 معادلات الكيمياء كتحويل الماء إلى عنصره الأوكسوجين
 والايديوجين وظهور قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)

وقوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) وقوله (وهو
 الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ
 أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ) فهذه العلوم المشاهدة الآن هي عين ما يطلبه هذا
 الكتاب أنا أكتب هذا وأنا أعجب من كتاب بين ظهري هذه
 الأمة ويطلب ما عرفه الغريون وكأني في وسط غريب . فمن لي
 بأن يقف علماء الملل على ما أقول ومن لي بأن يصل كتابي الى
 علماء اليابان ومن نحا نحوهم ممن يطلبون ديننا حقاً ، ليس المقام مقام
 شرح العلوم وبيان القضايا إذ كتابنا هذا انما وضعناه لعلماء درسوا
 تلك العلوم فالإشارة لهذه القضايا تكفيهم والشرح والتطويل
 عليهم أما الشروح فقد استوفيناها في تصانيف مختلفة

﴿ الجوهرة الرابعة عشرة ﴾

(تربية الوجدان في الاسلام)

لقد ترك الشرقيون الطريقة التي أشار اليها القرآن الشريف
واتبعها الافرنج كما درستهم في كتب الغربيين وكلاهما ناقص بتر
والطريقة المثلى أن يؤخذ النشء بدرس الأشياء في صغرهم على
شريطة أن يذكروا ربهم عند درسها وفهمها ليكون ذلك داعياً
لتربية حبه في القلوب وخشيته في النفوس فلا تمر قاعدة أو عجيبة
أو قانون طبيعي أو نظرية فلسفية إلا ويقرن بجلالة من سنها
ويذكر من رسمها فيشب الفتى دارساً للعلوم محباً لمبدع الكائنات
كما طلب نبينا صلى الله عليه وسلم فقال كل شيء لا يبدأ فيه باسم
الله فهو أبتى أو أجزم أو أقطع ولا معنى لذلك ألا تذكر أن هذا
المخاوق الذي أزاوله أو آكله أو أدرسه أو أفكر فيه إنما هو
أثر من آثار جلاله مذكور لنعمائه. ولذلك ترى كل سورة في القرآن
الشريف بدئت باسم الله الرحمن الرحيم تدريجاً على ذلك وتعلماً
وتنويهاً بانتهاج هذه الخطة. ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول
« اذكروا الله عند كل حجر وشجر » ومعناه ملاحظة مبدع

الشجر والحجر عند رؤيته أو درسه وتذكر أنه خلقه وعلى هذا
تنمو في المرء قوة الدين والوجدان وحب صانع العالم فيها به ،
ويعمل له ويراعى عبادته وهذا بعينه هو ما قرره العلامة سبنسر
الانجليزى إذ أبان أن التعليم لا يجدى بمجرد البرهان بل بتربية
الوجدان بالمحادثة والتذكير وترى هذه طريقة القرآن والاسلام
لا المسلمين إذ يذكروا محاسن العالم وجماله ويذكروا بالشمس وغروبها
وشروقها والكواكب وغرائبها الى غير ذلك . أما تعليم الشرقيين
المسلمين فانما يأخذون الناشئة بالكلام العرضى والتطوح بهم فيما
يرجع الى القضايا التى تحوم حول فلسفة اليونان رداً على قوم وارايم
التراب وانقرضوا فى الغابرين وذهبوا مع أمس الدابر وتراهم
يناقشونهم فى قبورهم وينازعونهم فى برازخهم ويذرون ما خلق
لهم ربهم مما أبدع وأحكم ولم يعلموا أن علماء الغرب برعوا حتى
قاربوا دينهم القويم وصرطهم المستقيم فأحاطوا بنا الفقر والصغار
والذل والشنار واحتلتنا الأعداء وأحاطوا بنا من كل جانب ، أما
الغريون فقد ورثوا الأرض بما أوتوا من العلم الناقص ولكن
مدنيتهم ذاهبة الى الزوال بما عصوا ربهم ولم يبنوا العلم على أساس

متين أما وربك لو انهم اعتقدوا أن هذه العلوم عبادات وانها
كالصلوات والقربات وانها نفسها الدين حقيقة كما سأذكر لك
بمئات من الأدلة كانت مدينتهم أثبت المدينيات فكانت المعاصي
تروى والشروع تقل وخوف الله يلازم النفوس ملازمة الخيال
للذهن والتصور للعقل (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

﴿ الجوهرة الخامسة عشرة ﴾

(الاحزاب في أوروبا ومسألة الانسان والحيوان)

أذكر أنى مرة بدت لى سائحة من الفكر فى ترتيب
الحيوانات وصفاتها وغرائزها فرجعت الى ما درسته فى المنطق
والحكمة وما سطره اليونان ونقله علماء العرب من أنها أنواع
لكل نوع تعريف خاص فيقولون الانسان حيوان ناطق والفرس
حيوان صاهل والكلب حيوان نباح وهكذا ورأيت نفسى تطالبنى
بأجلى من هذا وكان ذلك والليل قد أرخى سدوله وكنت فارغا
من الشغل أيام البطالة وأنا تلميذ بدار العلوم وقد شاهدت ثعلبا
يجرى بالحقول خارج قرينتنا فأخذت أجيل الفكر فى ذلك وقلت

ان لها غرائز وصفات وأحوال هذا ما كر وهذا بليد وهذا جبان
وهذا جميل وهذا جبار جرىء وكل منها أعطى من القوة والجسم
والأعضاء ما يناسب استعدادة كما أوضحناه في غير هذا المقام
بأجلى بيان ويفقهه من زاول العلم . ليس المقام مقام بيان بل انما
نكتبه لعلماء الأمم الدارسين وأن لها عقولا ومدارك وغرائز كل
بمقدار ما يحتاجه والانسان منها أعطى عقلا وأعضاء تناسب حاجاته
وما يلزم له في الحياة ثم قلت كيف يحاسب الإنسان وهى
لا تحاسب أم كيف يعذب وهى لا تعذب وهذا السؤال أبنته
في كتاب ميزان الجواهر وأجبت عنه هناك بما يطول شرحه هنا
ولا يهم ذكره ثم اطلعت على أحوال الأوربيين كبعض النهليست
والفوضيين الذين انتشروا في أنحاء لاسيا روسيا وهم هم الذين
ماجت بهم فرنسا وألمانيا وانكلترا ولهم البطش والقوة فوجدت
ان هذه الشبهة هى العامل الأول في مناوراتهم حكوماتهم وتقانيهم
في دعوتهم وتماديهم في قتل الملوك والأمراء والعظماء وهم فرق
وأصناف متشاكسون ، قهروا الأمم وأبادوا الأغنياء قالوا ما أرباب
الديانات المسيطرون بلا حجة ولا برهان ولا هدى ولا سلطان

يقولون العذاب العذاب الحساب الحساب هذه الحيوانات أمم
أمثالنا لها نظم وقوانين وسياسات كما ترى في حكومات
النمل والنحل ونسج العنكبوت وحيل الطيور والجوارح وبنائها
والأسود والنور وما شا كل ذلك وما نحن الا أمة منها فكيف
نحشروهم لا يحشرون أم كيف نعذب وهم لا يعذبون هذه شبههم
وهذه نحلهم وهذه آراؤهم ويستترون بقولهم أمام العالم . الانسانية
المساواة . والحقوق . الناس اخوان ولا معنى لهذا عندهم الا عدم
الثقة بالأديان يريدون أن تمحى ويمحى ذلك التمييز بين الأفراد
لما شاهدوه أن ديناً نشأوا فيه عودهم على مثل ذلك التمييز والظلم .
وقد اطلعت على كتاب الأسفار للشيرازى فذكر الحيوان
والانسان وأبان أن كل ذى روح من حيوان وانسان بل وكل
ماله نفس نباتية بل كل ماله صورة معدنية ستحشر ولا معنى لذلك
الابقاء أرواح ذوات الأرواح لتحشر في عالم يناسبها وصور ذوات
الصور وكأن هذا العالم المشاهد يذهب شخصه ويبقى رسمه كل
بحسبه فالحيوان والانسان بروحه فالراقى برقيه والأخس بخسته
والشرير بشره والبعوض بغطرسته والأسد بجراته تبقى غرائزها

وآراؤها وصفاتها في أرواحها كما تبقى أرواح الانسان منعمة أو
معذبة بصفاتها التي كُنت فيها ، هذا ما أبانه الشيرازي في الأسفار
مصدقاً لقوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) من لي بأن يقف أولئك الأمم الفوضويون
والفرق المتشاكسون على ما أجاب به القرآن وما سطره الوحي
قبل خلقهم بألف وثلثمائة سنة رداً على شبههم وإقناعهم ثم يقول
لهم (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ) الذي كتبناه عندنا وهو اللوح
المحفوظ الذي أودعنا فيه ما كان وما يكون (مِنْ شَيْءٍ) فلا نترك
حيواناً لنقصه ولا انساناً لفضله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

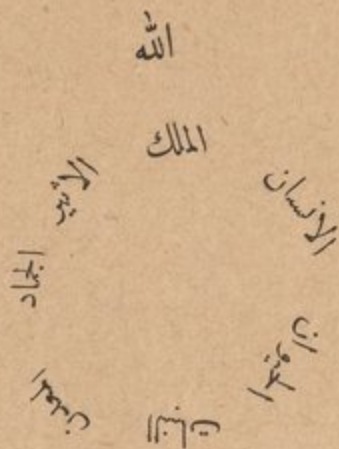
✽ الجوهرة السادسة عشرة ✽

(فصل)

(ليس مذهب داروين جديداً)

لا عجب إذا تفكرت في سلسلة الحيوان أولاً ولم أكتف
بما سمعت من التعاريف المنطقية ثم وجدت القوم في أوربا يبحثوا
فيها ودونوها وجعلوها سلسلة واحدة وكان ما كان بل العجب

كل العجب أن أقرأ هذا الموضوع بنفسه في الكتب العربية
 كابن خلدون وتهذيب الأخلاق لابن مكسويه والرازي وغيرها
 من كتب مشاهير العلماء فلقد رأيتهم جعلوا العالم دائرة سموها
 دائرة الوجود فقالوا الله أبداع الملك فالمادة الأثرية . فالجماد . فالمعدن
 فالنبات . فالحيوان . فالإنسان فالملك هكذا



وقالوا أن الجماد أدنى مرتبة من المعدن والمعدن درجات بعضها
 فوق بعض أعلاها الذهب فالفضة وهكذا إلى تمام المعادن السبعة
 ويلى الذهب أدنى النبات ويرتقى درجة فدرجة وأعلاه النخل
 لاستيفائه مكملات النبات العشرة المعلومه عندهم كالجار والليف
 ولا بد بين كل نوعين من مخلوق يأخذ شبيهاً منهما ، وبعد هذا

الحيوان ويرتقى شيئاً فشيئاً حتى يصل الى الحيوان المفترس ثم ما يقبل التعليم عن الانسان كالكلب وآخره مرتبة القرد ويليه الانسان . قالوا ضعف القرد عن ربط الحيوان بالانسان لمشاكلته في الصورة والتقليد فقط وكان الفيل رابطة في الذكاء والفرس في الأدب والطاووس في الجمال الصوري والبلبل في جمال الصوت ثم قالوا ان سكان أطراف المعمورة أقرب الى القرد كقوم من الزوج ومن في شمال روسيا ، ولا يزال الانسان يترقى كلما قرب من المناطق المعتدلة حتى يصل الى الجهات التي أنجبت الأنبياء والحكماء والعلماء وهؤلاء أقرب الى الملك فلما وقفت على ما كتبوه وأوضحوه في محله

لم أجد فرقاً بين هذا وبين ما ذهب اليه دارون الا انهم نظموا العالم قلادة منتظمة كأنها دائرة أولها آخرها وأرجعوها الى جمال الأحكام وحسن النظام وبهجة الاتقان وقد أشار الرازي الى خلاف حصل بين قدماء الحكماء . هل تولدت هذه الأنواع بعضها عن بعض أم هي منفصلة ؟ ولقد عجبت كيف سبق الافرنج بعلماء العرب في اتصال هذه السلسلة ، ولما خاطبت بذلك أحد

حكماء الانجليز تعجب جداً وقال ليس تحت الشمس من جديد
وهذا مثل مشهور

✽ الجوهرة السابعة عشرة ✽

(فصل)

علم الله قبل أن تخلق أوروبا أنهم سيخوضون في شأن الخلائق
واشتراك الحيوان والإنسان في الصفات والعوائد والسياسات
وكان أرباب الدين السابقون وحكائهم السالفون إذا سألهم السائلون
عن الحيوان وحياته والإنسان وحده قالوا لهم الفرق شاسع
ولا مناسبة بين الطرفين فالأول كالمعدوم والثاني يقرب من
من الملائكة الكرام بل بعضهم شرفه بل فضله فعبودوه واتخذوهم
آلهة كالفرعنة المصريين كما ذكر عن فرعون (أليس لي ملك
مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وقوله
(ما علمت لكم من إله غيري) فبذلك الفرق الشاسع والبون
البعيد بين الإنسان والحيوان كان الجواب للأمم السالفة والفلاسفة
الغابرة حتى إذا قرب زمن رقي العلم والفلسفة وضع للعالم دين
جديد حتى يرجعوا إليه إذا كشفوا نظام الحيوان وسياسته

وحيله وعلومه ومعارفه بالتفصيل أصبحوا يرون فيه كل يوم
آية وأصبحت تلك الأحزاب إذا رأت تلك العجائب تحسد
الحيوان على هنائه وراحته وسعده في الفلوات وعزه في الغابات
فلا هو بالعبادات والتكاليف ملزم ولا عليه مسلط قاهر ولا تمييز
بين طبقاته ثم حكم عليه أرباب الدين بالتلاشى مع أنه لا فرق بيننا
و بينها إلا في الحكم فلا بد أن نتلاشى مثله وتلك التكاليف والعبادات
والأحكام مخترعة مفتراة .

ولما أسسوا هذا الأساس بنوا عليه قصرين مشيدين أولهما
ألا حَجَرَ على الشهوات ولا إثم في المحرمات ولا ذنب على أحد
في عمل ولا دين ولا يقين والثاني فك الأغلال والحكومات
والتمييز بين النوع البشري إذ يدعى بعضهم التآله والكبرياء
والعظمة ويتيه ويتجبر بنسبته إلى الاله وإن البقية عامة جهلاء
لا يدخلون حماه إلا باذن أولئك السدنة والتقرب إلى أولئك
الكهنة .

جاء القرآن فهدم ذلك الأساس وقصريه والأصل وفرعيه ،
أما الأصل الذي أفسده فانك تراه يذكّر في الحيوان انه ذو نطق
كالإنسان في مساق قصة سليمان (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ
 جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا
 عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ
 لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ
 ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
 بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى
 الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا
 لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (السخ) نبه بما ذكر على
 ان للحيوان منطقاً كمنطق الانسان يذكرونا ان نهتم به حتى تقف
 عليه وأعقبه بأنهم أعطوا كل شيء كما أنه يشير إلى أن الأمم متى
 علمت علوم الحيوان ارتقت إذ هو المعلم الأول ثم ذكر حديث
 النملة والهدهد وانذار الأولى لآخوتها واحتراسها من سليمان
 وهذا ليس القصد منه حكاية بل مجرد التنبيه والايقاظ ويقظة

الأفكار إلى العلوم من باب الكناية لم يقصد به الوقوف على
الظواهر فحسب .

وانظر كيف جعل الهدهد يعرف ما لم يعرفه سليمان ، وهو
ماقاله الفوضويون والاشتراكيون والنهليست وكل من قرأ
أو علم مذهب داروين إذ رأوا من أعاجيب تلك الحيوانات
ما أدهشهم حتى اصغروا الصنائع للإنسان في جانب صنائعه ،
ولقد قرأت في كتاب انكليزي ان صنع النمل والعنكبوت
في نسجها لأجل وابهى من صنع الإنسان وترتيبه فلا نساج في
الدنيا ولا بناء يساوي العنكبوت في نسجه ولم نر عنكبوتاً غاطت
يوماً في نسجها وبنائها ولا نحلة ضلت طريقها في غدوها ورواحها
ولا امالت حائطاً في بنائها والإنسان غلط ساه يدمر الهندسة
ويزاول اعمالها فاذا بنى او حفر تراه يخطئ ايماً واياماً ويسهو
حيناً وحيناً ، فكان ما جاء في القرآن مناسباً من حيث فحواه
لما اظهره الاكتشاف ، وإياك ان يحمد طبعك على ظاهر القول
فتعده حديثاً من الأحاديث ، بل هذه رموز أريد مغازيها
لا ظواهرها .

فظواهرها إقناع للجهلاء وبواطنها علوم للحكماء ، واحذر
 أن تكون في منزلة بين المنزلتين : فلا أنت من العوام
 المقلدين ، ولا من الحكماء المحققين ، فان الذكاء المحدود هذا حده
 فيضيع صاحبه ولتعلم أن البلادة خير من الذكاء المحدود هذا
 وفي القرآن آيات غير ما ذكر كقوله تعالى . (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا
 يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةً أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى
 أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةً أَخِي
 فَأُصْبِحَ مِنَ النَّادِمِينَ) فهذه الأخرى أقعدت الانسان عن طغيانه
 وأرته مركزه وأنه أحق أن يتعلم من الحيوان الاعجم ولا نطيل
 بمثل هذا ونقول ان الأصل الأول وهو أس الفوضويين
 والاشتراكين والنهليست قد انهارت دعائمه وخر بناؤه وتهدمت
 أركانه ، نخر عليهم السقف من فوقهم وبان أن الانسان والحيوان
 في الدين الجديد بينهما نسبة ومجاورة في الدنيا بما قدمناه من الآيات
 وفي الآخرة بما ذكرناه من قوله تعالى : (وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ
 وَلَاطَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
 مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) فهل بعد هذا بيان وبهذه الأدلة

العقلية انهد شامخ واندك جبل وخر سقف عليهم من فوقهم فانهر
عليهم . فلنبحث الآن عن أول الفرعين

﴿ الجوهرة الثامنة عشرة ﴾

أولهما انتهاك الحرمات وخرق سياج الأدب بلا رادع
يردعهم ولا زاجر يزرعهم مشابهة للحيوان ومطاوعة للشيطان
وانه لا حشر لنا كما لا حشر لها وانا سنكون تراباً (إِنَّ هِيَ إِلَّا
حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) ونحن إذا هدمنا الأصل
انهدم ما فوقه ونزيد ايضاحاً لما أسلفنا أنه يحشر كل بأخلاقه
وأرائه شرفاً وضعاً وبعبارة أجلى سيمر المخلوقات في العالم من
مدرسة الى مدرسة مدرسة الحياة ومدرسة البرزخ والحيوان جاهل
لم يمكنه التعلم في الابتدائية فقير لم يصل لدرجة الأغنياء وأخوه
الانسان أمكنه بما أوتي من المواهب أن يلحق بالتلاميذ ويرقق
وجدانه ويلحظ جمال العالم ويشاهد حكمه ويتنحى عن المعاصي
فلا يدنس روحه فاذا انتظم في سلك الجند المسافر إلى الميدان
واصطف في صف من حازوا درجة في الامتحان جاز المدرسة

الثانية البرزخية . شرف لا يحلم به الحيوان . فروحه خالصة وأرواحها شهوانية ما بين سبعية وبهيمية .

وهذا القول وأن يكن في العقليات أشبه بالفرض فهو أقرب حل يركن إليه نوع بنى آدم في حياتهم كما قبلوا فرض (لا بلاس) في منشأ العالم وخلقهم وأنه كان كرة غازية فتكورت وتدورت وكان منها شمس وأقمار وأرض الخ وبنوا عليه كثيرا من الآراء في العلوم والأعمال وكان مبناه التوراة في سفر التكوين فليكن هذا الذي ذكرناه ملجأ العقلاء في مصير العالم بعد الموت ليكون لهم اطمئنانا وراحة ومستندهم هذا الدين والآية المتقدمة . على أن هذا في الحقيقة ليس أمراً فرضياً وهمياً بل قامت عليه البراهين العقلية وأيده الفلسفة والحكمة ، وليس المقام مقام ابراز البراهين عليه لئلا يخرج بنا القول عن الخطة التي رسمناها في هذا الكتاب ، والجادة التي انتهجناها ، فانما نريد الفرض من أقرب الطرق واسهلها على نفوس العقلاء . ومن لم تقنعه البراهين العقلية ووقف في مواطن الشكوك والخيرة والأوهام فلم لا ينظر الى التاجر والصانع والزارع والجندي فأولئك يعملون طمعاً في نيل

ما يبتغون ويصبرون يومهم ويسرون ليلهم ويجدون السير
لا يقين الثمرات بل لظنهم انها تثمر وكم من مسافر أخذه اليم
بسفينة وكم من مزارع اجتاحت ثمراته البوائق وأهلكتها الصواعق
فبارت وأصبحت أرضها صعيداً زلقاً وأصبح مأوها غوراً فلن
يستطاع له طلب ، وذلك دليل على ان الثمرات ليست من اليقين
في شيء وترى العقلاء قاطبة يهرعون اليها ويصبرون قليلا ليربحوا
كثيراً ، فليس الشك بمانع من العمل فللظن درجة عظيمة في أعمال
الانسان فلم لا تكون تلك النشأة التي وعد بها الناس داعية للعمل
في الحياة بالاحتياط مرغبة في الحزم عند الذين يظنون ظناً ولا
يوقنون ، فلم لا يفكر في هذا بعض الذين ينكرون من
السوسياء ليست (هم الاجتماعيون) والنهليست (هم العدميون)
(والكمونيست) هم الاشتراكيون في هذه النظريات ولا يحتجون
بالحيوان فهو انما خلق للرقى كجميع المواليد والى هنا وقف بنا
الجواد في ميدان البحث في الأصل الثاني

﴿ الجوهرة التاسعة عشرة ﴾
(الاصل الثالث وهو الفرع الثاني)

قال بعض الطوائف الثلاث : الاجتماعيين والعدميين
والاشتراكيين كما قدمنا لا بعث ولا حشر كما تكون البهائم فلم
نرى رجالا نعدم عظماء علينا يهيمنون على أرواحنا ويسيطرون
على أجسامنا يحكموننا ويقهروننا ويستحلون ما حرم فلم لانشارك
الحيوانات في ملاذها وتصرفاتها. ولم يتميز بعضنا عن بعض ونحن
شركاء في الحيوانية والناطقة وهذه الطبيعة والشمس والقمر والهواء
والماء والأرض محيطات بنا من كل جانب . فما الذي ميزهم بالرفع
ووسمنا بالخفض ، وظنوا هذا من لوازم الديانات فنبذوها لما شاهدوا
دين المسيح اذ لم يروا سواه. تقول لهم هذا القرآن أثبت ما ذكرتموه
وجاء اشتراكيا اجتماعيا اذ جاء فيه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) فلم يكن لأحد فضل على أحد
الا بالتقوى وعمل البر وصلة الرحم والنفع العام حتى ورد في السنة
(لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) وورد يا فاطمة بنت محمد

لا أغنى عنك من الله شيئاً. عجباً لك أيها الانسان تعاليت وتشاخنت
وتعاضمت في ملكوتك وتكبرت في عظمتك وترفعت الى
الجوزاء بل وسمت نفسك بالالوهية فقال فرعون اذ جمع الجموع
وحشر الرجال . أنا ربكم الأعلى . فجاء في الكتاب الحكيم على
لسان سليمان عليه السلام (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) فجمع الأول جمعه لاعلان الالوهية فطأطأ الثاني
وخفض من حدته وكسر من شرته فهد ذلك الصرح الذي شيده
الانسان من قبل نخر كثيباً مهيلاً وتنازل الى الحيوان وجمع الجموع
وناداهم بالبشرى ها أناذا نبي ولقد أوتيت علماً عظيماً أعطيت علوم
الطيور ففهمتها فأوتيت كل فضل وهذا فضل مبين . عرف
الانسان قدره ولزم حده وزال التباين واتخذ الانسان الغراب
أستاذاً في قصة ابني آدم بل دعا على نفسه بالويل وتحسر أن لا يلحق
شأوه في العمل فقال (يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارَى سَوَآةَ أَخِي فَأُصْبِحَ مِنَ النََّادِمِينَ) أبان لنوع
الانسان القرآن تقارب بني آدم اذا علموا تواضع أنبيائهم ،
فوجب تواضعهم ونبذ الكبرياء والعظمة هذا وترى ابن العربي

في الفتوحات يتجاوز في ذلك حتى عد الحيوان أعلى درجة وأسمى منزلة مستنداً على علومها ومعارفها ونظامها وأحكامها وما أوتيت من خدمة الانسان وكنسه لروثها واحتياجه لها بل استدل بفداء اسماعيل بكبش فكان الفداء لنبي من الأنبياء عنواناً على فضل الفدية وهكذا تعالى تبعاً للخيال بل اتخذ الانسان منه الأساتذة والمرشدين ولسنا نقصد الا أن شريعتنا أعطت الانسان درجته الخاصة به فلم ترفعه الى درجة يتميز بها البعض ولا أنزلته عن درجته بل رفعته عن الحيوان وأنزلته عن الألوهية (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)

فانظر كيف استوى الناس في مقام الوسط فصاروا إخواناً أخذاناً وتراه تعالى يقول : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

أمر أن تخص العبادة والخضوع بالله وحده لا شريك له ،

وَأَنْ لَا يَكُونَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ بَلْ يَكُونَ النَّاسُ سَوَاءً أَمْرَهُمْ
شُورَى بَيْنَهُمْ ، جَاءَ فِي الْكِتَابِ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ)

وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقِيلَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ الْأَحْبَارَ
وَالرُّهْبَانَ فَقَالَ أَلَيْسُوا يَسْنُونَ لَهُمُ السَّنَنَ وَيُشْرِعُونَ لَهُمُ الشَّرَائِعَ
أَلَا فَلْيَتَفَطَّنِ الْعَقْلَاءُ وَلْيَنْظُرِ الْبُلَغَاءُ وَالْحُكَمَاءُ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمْرَ
بِالتَّوْحِيدِ وَكَسْرِ الْأَصْنَامِ وَنَبْذِ التَّثْلِيثِ ، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا
لِتَكْسِيرِ قِيُودِ الرِّقِّ وَالِاسْتِعْبَادِ وَتَقَارُبِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، أَتَدْرِي
مَا أَثَرُ هَذِهِ الْآيَاتِ أَثَرَهَا أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ
إِلَى مَلُوكِ الْعَالَمِ قَاطِبَةً أُرْسِلَ إِلَى قَيْصَرَ وَكُسْرَى وَمَلُوكِ الْعَرَبِ ،
وَهَذَا خُطَابُهُ إِلَى قَيْصَرَ :

(مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قَيْصَرَ عَظِيمِ الرُّومِ السَّلَامِ عَلَيْكَ .
أَمَّا بَعْدُ فَأَسْلِمَ تَسْلِمَ يَوْتَكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنْ عَلِمْتَ
أَنْتَ الْأَرِيسِيِّينَ (الْفَلَاحِينَ) وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

يبتنا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

هذا هو نص الخطاب المرسل إلى قيصر

تأمل كيف كانت التوحيد هو السياسة وهذا هو مقصد الاشتراكين والعدميين والاجتماعيين في السياسة فعلى هذا ترى دين الاسلام دين عمران وسياسة إذ ترى توحيد الخالق نزع السلطان من نوع الانسان وحصر الكبرياء والعظمة في مدبر العالم ويقول (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَلَئِنْ كَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِّيقَةٌ كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ، انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ) نبذ التثليث ترفعا بالالوهية أن ينالها البشر أو تحل فيه لثلاثضل السياسة كما فعل القسيسون في أوروبا وقد تدارك الله العالم بالاسلام فأفاض النور حتى انزاحت الغشاوة عن عين (لوثر) فنأدى برفع الميزة بين البشر وترى

الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الثلاثين سنة سارت على منواله وناهيك قصة جبلة بن الأيهم وتصميم عمر على القصاص منه بلطمة إعرابي كسرت رباعيته وقوله له إن الإسلام ساوى بين الناس . وانظر كيف يقول بعض الأصحاب لعمر وهو يخطب لو عامنا فيك إعرابا لقومناك بسيوفنا وقصة عمرو بن العاص مع ابن القبطي في مصر معلومة إذ تسابق ابن عمرو مع ابن القبطي فضرب الأول الثاني وقال أنا ابن الأكرمين فبلغ عمر فأحضرهما بين يديه وضرب الثاني الأول بمحضر من الصحابة حتى اشتفى ثم قال عمر لعمر وبن العاص متى اتخذتم عباد الله عبيداً

مضت الثلاثون فرجعت الخلافة ملكاً عضوضاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكاً عضوضاً فلا بدع إذا كانت أمة الإسلام على ما هي عليه من التمايز بين الطبقات ونبذ الشورى فذلك لنبذ ما أمر به الدين

اعتاد أهل العلم أن يوردوا في هذا المقام قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم ونحن نقول لو قرأنا ربيع القرآن وجدناه في رفع الميزة بين البشر . ترى قصة سليمان يقول فيها قالت أي بلقيس يا أيها

الملاّفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمر أحتي تشهدون ونرى هذا
الكتاب الذي أرسله صلى الله عليه وسلم يدعو العالم أجمع للتساوى
في الحقوق ويدخلها في الدعوة إلى الحق ولئن بقى دين على الأرض
فلن يبقى إلا هذا الدين الذي هو السياسة الحقيقة في العالم كما جاء
في الكتاب (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) وسنورد في قسم السياسة ما
فيه غنى للفظن اه

✽ الجوهرة العشرون ✽

(منة لة العلوم من القرآن وكتاب العرب والافرنج)

مزج القرآن مصالح الدين بالدنيا فأورد في التوحيد وحب
الله آيات تجمع حكمة الكون وبهجة العالم ونظامه فينما يتأملها
المبتدى لمعرفة الله ترى الذكى يشتاقي إلى ما أبدع في العالم من النظام
والعجائب بل كثير من الآيات أوضح مشكلات منها وانذر من
أعرض عن التوسع في العلوم الكونية من الفلك والطبيعة والجبال
والأنهار والنبات والحيوان والانسان والروح وما يشمل ذلك من
قوانين . وعيرقوما أعرضوا عنه وقرظ آخري عرفتوه ولكم قرر

مسائل كشفها المحدثون وأهملها الأقدمون كقوله في ناموس
الترقي (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ
السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ
مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) فتراه
قرر أن مالا نفع فيه وأن ظهر واشتهر فما مثله إلا كمثل الزبد على
الماء وفوق ما في القدر على نار الطبخ وفوق الحلية المعدنية آن
أذابتها بالنار لتصاغ حلية فترى الباقي النافع للناس ما استتر بالغطاوة
كالعلم إذا استتر بالجهل فيبقى الماء والذهب والفضة الخالصة
فهكذا يبقى في الامم والأشخاص والعلوم ما يصلح لنفع الناس
وحياتهم وحاجاتهم ويذهب ما لا ثمره فيه وسترى فيما سنورد
ذلك في الباب الآتي وهو باب العلوم

أن الدين باعتبار أصل وضعة هو نفس الدنيا والرقى في الحياة
والمادة والروح وما مثل مصالح الدين والدنيا إلا كالروح والجسد
والمعنى والكلم وكيف تعقل العقول الحكمة أو تنار بضياء الفهم
وتبرز فيها شمس المعارف إذا لم تنجل لها تلك الأنوار والاضواء

المشرقة من لمحات محيا العوالم المشاهدة التي وجد فيها الانسان .
هذه العوالم غذاؤه فهي الغذاء وهي الدواء وهي المعقول ومنها
تستمد آثار المعارف الحققة وتمتلاً الأفتدة منها حكماً ومعارف فهي
غذاء الأجسام بأحجامها ومخازن العقول بمعانيها فهي بنية الأجسام
ومعناها غذاء الأرواح والعلوم والتبصرة

وورد في هذا الكتاب المقدس ما بين سبعمائة وثمانمائة آية كلها
في الكون والأحاطة به وجاء فيه مقدار هذا العدد في الآداب
ومحاسن الأخلاق والشيم وتهذيب النفوس والعجب من كتاب
العرب والافرنج إذ أراهم إذا مدحوه أطنبوا في معاملاته وعباداته
وجمعياته وأحسانهم ولم أر منهم من حام حول علومه فابرزها أو
معارفه فأظهرها إلا ما كان من حكم أودعها الغزالي في مؤلفاته
فقد أبدى نكتاً وأودع ملحاً مع ما كان من غشاء فلسفة اليونان
والجدل والمناظرة وانصرف العقول عن العلوم إلى الفضول

﴿ الجوهرة الحادية والعشرون ﴾

(مباحث الاسلام ست)

وهي (١) العلوم جميعها وفي ذلك نحو ٧٠٠ آية (٢) نبذ ما يشين العلوم من الخرافات والضلالات والبدع والالوهام كالاصنام والرقى والسكى بالنار والتفائل بالشر وهذا من الآيات ما يربو على الألف (٣) العمران والنظر في أحوال الأمم والسياسات وفي هذا أكثر القصص القرآنية (٤) الآداب ولها من الآيات ما يربو على السبعمئة (٥) العبادات وهي عبادات في صورتها آداب في معناها (٦) نظام الجمعية الانسانية في شكلها من العقوبات والأحكام والحدود وهي في الحقيقة ترجع إلى نظام الدنيا بالذات وإلى الدين بالتبع نص عليه الغزالي وهذا القسم وما قبله لهما نحو ١٥٠ آية. وما كان أغلب اهتمام الكاتبين على الدين إلا بها واني أربأ بقلمي أن يتجاوز أربعة وعشرين جزءاً من خمسة وعشرين في الدين ويوقف في جزء يضع فيه حياته وليس الايمان هو هذه العبادات وحدها، كلا بل هذه هي نفس الاسلام أما الايمان فانما هو تلك العلوم والآداب والعمران ممزوجة بهذه العبادات وسنوفي

كل مقام ما يستحقه وأنى أرى حياتى سعادة وهناء إذا لويت
عنان عقول كثير من ذوى النظر إلى احتناء العلوم والمعارف
الكونية باعتبار أنها دين. فمن أيقن بذلك تراه يقرؤها وهو يعتقد
أنه في عبادته ولتعلم أن علماءنا رضى الله عنهم يقولون أن جميع
الأعمال الدنيوية متى عرف مقصدها في الدين كان لكل حركة
فيها أجر ولكل سكون ثواب بل إذا نام الحكيم في مخدعه
عدت أنفاسه حسنات. وإذا استيقظ فلخطاته ونظراته وكلماته
وخطواته تكتب له في عليين فتثقل ميزانه وعندهم أن تفكر
ساعة خير من عبادة سنة بل لحظة من الفكر خير من حياة
الغافل وعابديلا علم كشجرة بلا ثمرة. وربما ظن العاجز في الدين
أن ذلك العلم هو معرفة أحكام الصلاة والصيام إلى آخره، كلا فهذا
لم يخرج عن كونه معرفة عبادة عملية أما العلم المقصود فهو آيات
الكون وحكمه ومحالى بهجته وآثاره وهل ترى دليلا على
ما ذكرناه آنفا آنفا أجمل من قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ) بعد ذكر النظر في الجبال والأنهار والثمار والألوان
والذواب والأنعام

✽ الجوهرة الثانية والعشرون ✽

(مدح العقل من الاحياء)

نرى هذا الدين يأمر بالنظر والفكر والتعقل يقول تعالى
 (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)
 يمدح العقل ويسميه نوراً مظهراً لشرفه وسمى العلم المستفاد منه
 روحاً ووحياً وحياة فقال (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)
 وقال تعالى (أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى
 بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) يمدح العلم
 بأنه حياة ونور ويذم الجهل بأنه ظلمة ، وفي الآثار : « يا أيها
 الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم
 به وما نهيتهم عنه واعلموا أنه يخبركم عن ربكم واعلموا أن العاقل
 من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر ردىء المنزلة رث
 الهيئة ، وإن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر
 عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً الحديث
 وفيها أيضاً « أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل
 ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أعز

على منك بك أثيب وبك أعاقب وبك آخذ وبك أعطى وقال
 صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم
 القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه
 وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس . وقال صلى الله عليه وسلم لكل
 شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما
 سمعتم قول الفجار في النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا
 في أصحاب السعير) . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتمم الدار
 ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت . سألت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت . ثم قال سألت جبريل عليه
 السلام ما السودد فقال العقل . وعن البراء بن عازب رضى الله
 عنه قال كثرت المسائل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المؤمن العقل وأحسنكم
 دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً وعن أبي هريرة رضى الله
 عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع
 الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبيل فلان ونحو
 ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم
 من العقل وكانت نصرتهم ونيلهم على قدر عقولهم فاجيب منهم

من أجيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل
على قدر نياتهم وقدر عقولهم . وعن البراء بن عازب أنه صلى الله
عليه وسلم قال جدد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى
بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة
الله عز وجل أوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت
يا رسول الله بهم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي
الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله
عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وآلة المؤمن العقل ولكل شيء
مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل
ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين
العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل
بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة
الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب
الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر
قسطامس وقسطامس المؤمنين العقل اهـ^(١) .

(١) تذكرة : هذه منقولة من الأحياء وبعضها ضعيف والعلماء أجازوه
لفضائل الأعمال

فاذا كان العقل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة
من الشرف وانه لا إيمان ولا دين ولا علم ولا دنيا ولا آخرة إلا
بالعقل فليكن هذا الدين دين العقل والفكر لا دين تقليد ولذلك
لا يسمى الانسان في نظر علمائه مؤمنا مصدقا بما سمع إلا إذا عرفه
بعقله وصدقه وأقام عليه البرهان وعندهم أن العقل إذا صادم النقل
يقدم العقل عليه والنقل مؤول لمعنى يناسبه وإلا كان مما اختص
الله بعلمه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿ الجوهرة الثالثة والعشرون ﴾

(الاقسام مفاتيح العلوم)

اعلم أن الله أقسم بأشياء مما خلق وعمد إلى ما جمل شكله
وعظم نفعه وبهر حسابه فعدده في أقسامه
ولعمري أن النوع البشري لن يقسم إلا بمعظم لديه أو
بمسيطر عليه . يقول الولد وحق والدي . وتقول الرعية ورأس
فلان الحاكم . والجندي يقسم بشرف الجنديّة ويقسم الوزراء بالملوك
ونسمع لرجل يحلف بعينه لما يرى من منفعتها وزينتها . وقد
أقسم الله بأشياء عددها وصنوفها من نعم أبدعها كالشمس والقمر

والكواكب ولم يكن ذلك لخوفه منها فإنه الخالق لن يهاب ما خلق
ولن يحتاج لما ذرأ وأبدع . أقسم بها إذ رأى نوع الانسان يقسم بما
عظم نفعه وعز عليه فلفتهم وأيقظهم إلى ما ذرأ ونبههم إلى مصنوعاته
ليعرفوها فلم يرد أن يعبدوها إذ لا إله إلا الله فلا أقسام بها يرجع
إلى عزتها وشرفها ولم يكن ذلك لتحريضهم على الحصول عليها
بوجودها في حوزتهم فذلك مستحيل فرجع الأمر إلى العلم وفات
الانسان أن يملك هذه العوالم ويسيطر عليها إذ لا سلطان إلا الواحد
هو الله فكان المقصود من الأقسام في حقهم أن يعرفوا جلالة ما
صنع ويتبعوا حركات الافلاك وعلوم الضوء وحسابه والمشارك
والمغارب ويشرحوا تلك الأجسام ويلاحظوا حركاتها وسكناتها
لترقى نفوسهم إلى علوها وشرفها فتراه عز شأنه أقسم عشرين قسما
بالاجرام العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها تراه أقسم بالفجر
والفلق وهو الصبح والشمس والضحى والنهار والعصر والليل إذا
يغشى (يغطي) المخلوقات كأنه ملاءة منشورة عليهم والليل إذ
يسرى يسير حول الكرة الأرضية تابعا للنهار والنهار يتبعه وأقسم
بالليالي العشر في أول كل شهر عربي لغلبة ظلامها على ضوءها وأقسم

بالنجم إذا هوى تنبيهها على مغارب النجوم وإيقاظها وأقسم بمواقع
النجوم وأما كنها الواقعة فيها ودوائرها ثم أعقبه بقوله وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم فإذا أقسم وعظم القسم فهل يكون ذلك إلا للفت
النفوس اليها لتعرف مواقعها وقياسها وأبعادها وحرركاتها وسكناتها
وقال (أقسمُ بربِّ المشارقِ والمغاربِ) أى محل الشروق والغروب
وأقسم بالشفق وبالليل وبما وسق الليل أى جمع وأقسم بالقمر
وبالسماء ذات البروج تنبيهها لمعرفة تعرف السنون والشهور
والأيام وأقسم بالسماء ووصفها بأنها ذات الحبك أى طرق النجوم
وبالقمر إذا انسق أى امتلاً بالنور وأقسم بالسماء وبمن بناها وأقسم
بالنازعات غرقا وهى النجوم التى ترمى شهباً عن دوائرها المشبهات
القوس فكان النجم انسان والدائرة قوس والشهاب الساقط سهم
وذكر أنها نشطات فى سيرها مسرعات فيه تتم دورانها كالشمس
فى سنة والقمر فى شهر فقال (والناشطات نشطا والسابحات سباحاً
فالسابحات سبقاً) أى النجوم التى تسبق غيرها وتتم دورتها سريعاً
(فالمدبرات أمراً) وهى هذه النجوم لأنها بها يتم تدبير العالم
فذكر هذه الكواكب والعوالم ومواقعها ليحرض السامعين على

البحث عنها فيعرفون الفلك والميقات وحساب الكواكب
وابعادها واجرامها وتحليلها واعدادها بقدر الاستطاعة ويبحثون
عن الضوء في الطبيعة . ثم انه تعالى أقسم بذكر أشياء أخرى
مما تحت الفلك وأحاط بالكرة الأرضية فأقسم بالرياح الذاريات)
وبالجبال فقال (والذاريات ذروا فالحاملات وقرأ) أى الرياح التى
تحمل السحاب وتذرو الأشياء . وأقسم بالارض وما طحاها
فالأرض مفهومة وطحوها دحيتها وتسويتها وإتقانها وأقسم بالجبل
فقال وطور سينين وبالنبات فقال (والتين والزيتون) وبالبلد
الذى خرج منه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فقال وهذا البلد
الأمين) وأقسم بالخليل فقال (والعاديات ضبحاً) أى الخيل التى
تعدو وهى تضبح فى الجرى ضبحاً وأقسم بكل من يحس
وكل ما يحس فكأنه أقسم بكل محسوس وبكل ما يحس به
وكأنه أقسم بالناطق والصامت فقال (وشاهد ومشهود) وأقسم
بيوم القيامة ويوم الجزاء ويوم الميعاد الذى سيجازى فيه
الناس وأقسم بالكتب المسطرة المنشورة وهى ما يقرؤه الناس
وأقسم بالبحر ثم عمم القسم بكل ما خلق فقال : (أقسم بما

تُبْصِرُونَ وما لا تُبْصِرُونَ) فكأنه أقسم بكل شيء إذ العالم
قسمان : ما يبصر وما لا يبصر وجاء بتعميم آخر فأقسم بالشفع
والوتر ولا ريب أن العدد أما شفع أو وتر هذه نحو عشرين قسما
أحاط بها الأرض والهواء والسحاب والجبال والنبات والحيوان
وخصص الانسان منه فقال (ووالدِ وَمَوْلَدِ) أى أقسم بآدم وأولاده
وغيرهم وخصص ذلك بعد فقال (ونفسٍ وما سَوَّاهَا) فأقسم
بالنفوس وتسويتها فتراه أقسم بامهات العالم كلها وأخيراً أقسم بكل
ما خلق مما نشاهد وما لا نشاهد. تفيد هذه الأقسام بالعلوميات وهى
تبلغ العشرين وبالسفليات وهى تبلغ العشرين أيضا ان الله أمر
عباده وأوجب عليهم النظر فى العلويات والسفليات بالتساوى وفى
الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلم العمران والنفس
وجميع العلوم إذ لم تخرج فى البحث عما ذكر فى تلك الأقسام التى
أقسم بها مبدعها وكأن الأمة التى جهلت ما أقسم به وأعرضت
عنه ولم توفه حقه فى النظر قد أعرضت عما أقبل عليه مبدعها
وأزورت عما أراده خالقها. جعلنا هذه الأقسام مفاتيح العلوم لأنه
ذكر جواهر الأشياء فيها ليلفت اليها العقول ويحرض على البحث
عليها العلماء والأئمة ولم نقل انها العلوم لأن الآيات التى سند كرها

قريباً سنعطى لكل جوهر من هذه الجواهر قسطه منها وتوفيه نصيبه غير منقوص فاذا طالعت أيها القارىء ما سأقص عليك من كتاب الله تعالى والآيات الواردة فى الحز على العلوم فستعجب كل العجب ولتجد أن الدين دين العلوم والحكم . دين العمران والنظام دين المدنية الحققة . دين رقى النفوس . دين ارتقاء نوع الانسان . دين بقى كنزاً مخفياً لم يكتشفه علماء العصر المفكرون دين خيم عليه عناكب النسيان وأحاط به سور الهجران واضحى فى خبر كان اللهم الا جزءاً قليلاً من عباداته ومعاملاته التى تكفى لحياة الضرورة وانى لارجو أن يكون كتابنا هذا كاشفاً عن محيا جلاله . مظهرأ جمال بهائه . مسفراً عن كنه معانيه . باسطاً شارحاً مبيناً . وانى أستعين بمسبب الأسباب مدبر الخلائق القادر الحكيم أن يلهمنى الصواب ويوفقنى كما ألهمنى أنه سيحيينى أنه لطيف بعباده رؤوف رحيم

﴿ الكلام على معارف الدين الاسلامى ﴾

نذكرها هنا بعد ما ذكرناه سابقاً لفوائد
إعلم أن معارفه تنقسم كما قدمنا إلى ستة أقسام (١) العلوم الكونية وهى أهمها ويدخلها توحيد الله تعالى (٢) نبذ الخرافات

كعبادة الأصنام والشرك بالله (٣) الاخلاق كالصدق والأمانة
 وحب المؤمن للمؤمن (٤) العمران والنظر في أحوال الأمم
 (٥) العبادات وهي تتمم الأجزاء السابقة في الدنيا وتخرج بالعبد
 إلى ربه في الآخرة (٦) الأحكام والحدود والعقوبات وهذه ترجع
 إلى أحوال الدنيا ونظامها بالذات وإلى الآخرة بالتبع ولنذكر
 هذه الأقسام اجمالاً من كتاب الله تعالى حتى يتخيل القارئ هذا
 الدين من نفس الكتاب الأصلي المقدس ويقف عليه اجمالاً ثم
 نرجع فنفصله بقدر الاستطاعة مع الاختصار ومع التنبيهات اللائقة
 بها تذكرة للقارئ ولعلنا نفسرها تفسيراً وافياً إن شاء الله تعالى

﴿ الجوهرية الرابعة والعشرون ﴾

(القسم الأول اجمال معارف القرآن)

(١) العلوم الكونية أوجب الله على الناس تلك المعرفة في
 الكتاب المقدس فقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)
 فأمرهم بالنظر ولم يكن النظر مجرد التحديق إلى السماء بالحدقة فأدنى
 رجل ينظر بعصره وإنما ذلك الاعتبار بالبصيرة والفكر بالقلب
 ولما أعرض قوم عن ذلك وبخهم وأنذرهم فقال (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ
وَأَنْذِرِ الْأُمَّمَ أَنَّهَا إِنْ لَمْ تَنْظُرْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَوَالِمِهَا فَسَوْفَ تَقْفَى
أَجْمَعُهَا بِالْجَهْلِ وَتَذْهَبُ إِلَى النَّارِ وَقَالَ (إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ
يُذَكِّرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ) وَقَالَ (إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ
كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وَقَالَ : (إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَايَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ
آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ
الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فَهَذِهِ خَمْسَ آيَاتٍ تَشْمَلُ النَّظَرَ فِي

العلوم جميعها من الفلك والسحاب والماء والهواء والحيوان وتشريحه
والسفن ونظامها وإن شئت أن تسمع آية تشمل العوالم كلها فاقرا
قوله تعالى في سورة النحل (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو
خصيم مبين) إلى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله
لغفور رحيم) ولا أكتف الآن في القسم الأول وهو قسم العلوم
بهذه الآيات ونكل الأطناب إلى التفصيل الآتي في القسم الثالث
ألا تنظروا أيها القارئ كيف كنت إلى الآن لم أذكر التفصيل
وتعجب كيف ورد على سمعك مادعاك إلى التصديق والاذعان
ألم تسمع ما أقسم به من أجرام العالم العلوية والسفلية مما يهيج
النفوس العاقلة والقلوب المفكرة والنفوس الذكية إلى البحث
والنظروها أنت ذا سمعت بعض الآيات وهي ست من سبعمائة
ونصف مائة وكلها في الحث على العلوم كلها ما بين روحانية وجثمانية
علوية وسفلية فكيف بك إذا سمعت ما سنتلوه عليك مما تستغرب
منه تأخر المسلمين الحاضرين ورجوعهم إلى مصاف الضعفاء
ذلك أنهم نبذوا أعظم الأشياء ورؤسها واتبعوا ماسهل مأخذه
من الحركات الجثمانية وفروا من العقلية والادبية

﴿ الجوهرة الخامسة والعشرون ﴾

(القسم الثاني نبذ ما يضر العقل ويخالف العقيدة)

يقول توييخا للجهال على عبادة الأصنام (١) أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (اللات والعزى ومناة هي ثلاثة أصنام يعبدونها كأنه يقول لهم أما رأيتم إلا هذه الأصنام المحقرة التي لا تنفع (٢) قال (أَعْبُدُون مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) فيقول لهم كيف تعبدون ما صنعتوه بنفوسكم والله خلقكم وهذه الأصنام المنحوتة (٣) وقال (أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول لهم موبخاً بعداً لكم وسحقاً أنتم وكل ما تعبدون غير الله فان المعبود لا بد أن يكون واحداً ويقول الله (٤) (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يذم قوما جعلوا لله ولداً كالنصارى وبعض اليهود وقال أنهم يشابهون من قبلهم من الأمم يعظمون بعض العظماء حتى يتخذوهم أبناء الله ثم دعا عليهم فقال قاتلهم الله وهذه إشارة إلى لعنتهم وخزيهم وقال أنى يؤفكون أى كيف يصرفون عن

العذاب وقال (ولقد أتينا إبراهيم رُشده من قبل وكنّا به عالمين
 إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا
 وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال
 مبين قالوا اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعين الخ) وهكذا
 حكاية موسى فيها (قال بل ربكم ورب آبائكم الأولين قال
 إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق
 والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) هذه صورة محاورة بين
 إبراهيم وقومه ، وموسى وفرعون ذكرت في القرآن لترشد
 الأمة إلى ترك الأضاليل وانتهاج الحكمة والعلم وتوحيد الله .
 هذا الدين لا يأخذ إلا بما هو معقول ولا يرضى بالتقليد في جميع
 الأمور قال تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
 أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)
 فأمر الإنسان بالأحسن ألا وهو المعقول النافع وأن ينبذ الناس
 ما ليس بأحسن وبشرهم وجعلهم خواص عباده وأثنى عليهم بأنهم
 مهديون وأنهم أولوا الألباب وانظر المحاورة التي جرت بين
 موسى والسحرة وبنى إسرائيل فيما ذكر الله في القرآن تر أن سحرة

فرعون علموا مقدار علم السحر وأيقنوا أن العصا لن تبتلع الجبال
بنو أميس السحر الذي يشار كهم فيه موسى فلم يبق إلا أن هذا
أمر سماوى فأمنوا بالبرهان المناسب بأذواقهم وعقولهم فثبت
الإيمان عندهم وأصبحوا موقنين مع أنهم أعداؤه وهم عبدة فرعون
وجنوده وأعوانه وسحرته وعليهم كان اعتماد أمة المصريين في
نشر دينهم القديم ونبت هذا الدين الحديث. أما بنو إسرائيل فلما لم
يكونوا من الحكماء ولا هم من جلة العلماء خاطبهم بما يليق بعقولهم
وما يناسب علومهم مما يحس بحاسة البصر فرأوا العصا تلقف السحر
العظيم ويد موسى بيضاء بعد أن كانت سمراء فأمنوا إيماناً ظاهرياً
حتى إذا مضت الأيام وخرجوا من البحر إلى حدود آسيا (قالوا
ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون أن
هؤلاء متبرماتهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) أى أن عمل هؤلاء
هالك وباطل قال (أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين)
هذه المحاوره كجميع قصص القرآن جعلت عظة للناس وتفقهها
وحكم بالغة يراد منها تلك المغازى والحكم والأسرار والسرّ هنا أن
الجاهل الذي يؤمن بالظواهر لا ثبات لإيمانه إلا بما يقومه آنا فآنا.

ألا ترى أن موسى عليه السلام إذ غاب عن بني إسرائيل
أربعين يوماً أشركوا بالله وعبدوا العجل لأن من آمن به لأجل
العصا وهى من عالم الشهادة وقد تلقفت السحر لا محالة يؤمن
بعجل من ذهب له خوار لا لباس المحسوسات بخلاف المعقولات
إذ هى متميزة صادقة لا ليس فيها فسحة فرعون خاطبهم فرعونهم
بقوله لأصلبكم فى جذوع النخل فقالوا انا آمنة ربنا ليغفر لنا
خطايانا وصبروا على القتل والموت بثبات اعتقادهم بدينهم أما
بنو إسرائيل فنزل أيمانهم لشيء صغير وهو رؤية عجل مصنوع
بهم صنعه ولما رأوا أقواما يعبدون صنما تقهقروا إلى عقلم المعهود
وفكرهم المحدود وسألوا الأصنام أن يعبدوها.

هذه المحاورات وأمثالها كثيرة فى القرآن حتمت على الناس
أن يكونوا فى أمورهم الدينية والعقلية والمعاشية متبعين العقل
ذم من أعرض عن التعقل فى آيات كثيرة فقال (أم تحسب أن
أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)
والآيات فى هذا ربما تبلغ نحو الألف فى القرآن وكم ندد على من
ترك التذكر والتعقل وكم مرة يقول أفلا تعقلون أفلا تبصرون

أفلا تذكرون وبالجمله فهذا الكتاب كله يبحث عن العقل والفكر
والنظر والتأمل حتى لا يعمل الإنسان عملاً إلا عن صدق وسيأتي
تفصيل هذا في الباب المفصل فيه

(القسم الثالث) الآداب في الكتاب الكريم نحو ثمانمائة
آية في الآداب ومحاسن الأخلاق والمعاملات فتراه تعالى يأمر
بالصدق وبر الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
ومواساة الفقراء والجهاد في سبيل الله علماً وعملاً وحكمة ولأذكر
لك الآن آيات في هذا الفصل تناسب الاجمال كسابقيه فنقول
قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين
هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم
يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم
فيها خالدون) في هذه الآية أمر بالخشوع في الصلاة لترجع النفس
فيها إلى عالمها المقدس . وأمر بترك اللغو من الأقوال والأفعال

فيزن الانسان جميع حركاته وسكناته وأمر بالزكاة وهي إخراج
 جزء من المال للفقراء والمساكين معلوم في بابه . وأمر بترك الزنا .
 وقربان النساء إلا ما أحل ومدح الذين يراعون الأمانة والأموال
 والعلوم والأسرار والعهود التي أخذها الله أو الناس . ومدح
 الذين يحافظون على صلواتهم ثم ذكر أنهم هم الوارثون وهذه
 الآية فيها ثمان وصايا . وهما آية فيها عشر وصايا فمدح الذين
 يدينون بهذا الدين . ويصدقون ويطيعون الله . ويصدقون في
 الأقوال والأفعال . ويصبرون على ما ألم بهم وعلى الأعمال الواجبة .
 ويتواسون ويتصدقون بما قدروا . ويصومون أياماً في السنة
 لتتجلى لهم روح عالية في نفوس صافية . ويحفظون فروجهم .
 ويذكرون الله كثيراً فهذه عشر صفات للمؤمنين والمؤمنات
 جمعت في آية وهي بترتيب ما ذكرناه كالشرح لها مقدماً (إنَّ
 المسامينَ والمساماتِ المؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ
 والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ
 والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمينَ والصائماتِ
 والحافظينَ فروجهم والحافظاتِ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) وَهَآكَ آيَةٌ جُمِعَتْ اثْنِي عَشَرَ
وَصِيَّةً وَهِيَ (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا)
بِالْوَقَارِ وَالسَّكَمَالِ (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) الْعَفْوُ عَنْ
أَرَاذِلِ النَّاسِ وَالْمَسَاحَةُ فِي صَغَارِ الْأُمُورِ (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا) التَّهَجُّدُ . وَيَلْحَقُ بِهِ كُلُّ عَمَلٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ (وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)
لَازِمًا . يَرِيدُونَ أَنْ تَخْلُصَ نَفُوسُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهَا وَيَعْرِفُونَ أَنَّ بَيْنَ
ذُنُوبِهِمْ وَعَذَابِ نَفُوسِهِمْ مِلَازِمَةٌ فَإِذَا لَازَمَتْهُمْ الذُّنُوبُ بِالْغَرَامِ بِهَا
لَازَمَتْهُمْ الْعَذَابُ فِي نَفُوسِهِمْ . وَلِحَقِّهِمُ الْأَذَى الْعَظِيمُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ
فِي جَهَنَّمَ (أَنَّهُمْ سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) وَسَطًا . حَثَّ عَلَى التَّوَسُّطِ فِي
النَّفَقَاتِ وَتَرَكَ التَّبَذِيرَ وَالْبَخْلَ (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ) لَا يَشُرُّ كَوْنُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَالَمَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَاحِدٌ
وَكُلُّ كَوْكَبٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ شَمْسِيَّةٍ كَعْضُو مِنْ أَعْضَائِهِ فَمَا كَانَ الْعَالَمُ
كُلَّهُ إِنْسَانًا وَاحِدًا لَهُ أَعْضَاءٌ فَالْمَدِيرُ لَهُ وَاحِدٌ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْوَاحِدَ
تَدْبِرُهُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

وَلَا يَزِنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ (كل مشهد محرم أو لغو لا منفعة فيه
لا يحضرونه) (واذمروا باللغو مرثوا كراما) هم لا يحضرون وإذا
مروا به بلا قصد مروا سكوتا (والذين إذا ذكروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) انهم في مجالس اللغو كارهون
وإذا سمعوا الحكم والعلوم ومعرفة الله تعالى أذنوا لها واستمعوا
لها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)
يجهدون أنفسهم بالدعاء والعمل أن يتبعهم أزواجهم وأبنائهم
(واجعلنا للمتقين إماما) يداومون على دعوة الأمة لما يعلمون
فيهذبون أنفسهم وأهليهم وأمتهم (أولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) وعدم بالجنة وبالبشر لهم
عند اللقاء (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما)

وفي سورة الأسراء أربع وعشرون وصية متتابعة :

- (١) عبادة الله (٢) ونبد الشرك (٣) والوصية بالوالدين إحساناً
- (٤) ولا يقال لهما أفٍّ أى يترك أقل هفوة من قول أو عمل معهما (٥) ولا ينهرهما أى لا يقتل لهما قولاً فى غلظة (٦ و ٧) التواضع لهما والدعاء لهما بالرحمة بما ربياه من قبل (٨) الاحسان لذوى القربى والمساكين وابن السبيل « المسافر » (٩) ترك التبذير فى الاحسان والانفاق (١٠) الاعتذار بجميل القول إذا قلّ ماله (١١) ترك البخل (١٢) التوسط فى الانفاق فيكون قواماً « وسطاً » (١٣) لا تقتل النفس إلا بحق (١٤) ترك الزنا (١٥) النهى عن قتل الأبناء (١٦) ترك الاسراف فى القصاص عند القتل (١٧) عدم الظلم فى مال اليتيم (١٨) الوفاء بالعهد لله وللناس وللرسول وللكتاب وللعلم (١٩) وفاء السكيل (٢٠) وفاء الوزن (٢١ و ٢٢ و ٢٣) ترك الفضول من القول والعمل لأن السمع والبصر والقلب يسأل عنها المرء يوم القيامة (٢٤) ترك الخيلاء والكبر هذه أربع وعشرون نصيحة وضحت

فِي الْآيَاتِ الْمُنْتَابِعَاتِ بِالترتيب الذي ذكرناه والنسق الذي انتهجناه
 وهى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
 إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ
 وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
 الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ
 ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنْ
 الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا
 وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
 مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
 الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 أَمْ لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا وَلَا
 تَقْرَبُوا الزَّوْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
 الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ
 سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ

الْيَتِيمَ إِلَّا بِاتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
 إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ
 الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
 الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذَلِكَ مِمَّا
 أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) وهذا آخر (٢٤) نصيحة ولا أقص
 عليك في هذا الاجمال آية فيها اثنتا عشرة وصية وهي (وَاعْبُدُوا
 اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ
 الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا) أوصى بعبادة الله وتوحيده
 والاحسان الى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين والجار
 القريب الملاصق والجار البعيد غير الملاصق والصاحب الملازم لك

في مدرسة أو منزل كالزوجة ونحوهم والمسافر في الطريق وأعلن
 عدم حبه للمتكبرين المفتخرين البخلاء بالمال والعلم ، فهذه ١٢
 وصية ، وهالك عشر نصائح في آية وهي التوبة والعبادة والحمد لله
 والسياسة في الأرض والركوع والسجود والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وترك المحرمات والتصديق بالبراهين وهذه
 هي الآية : (الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
 السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) فهذه ٧٦ وصية
 جاء في آيات ذكرناها لك الآن في هذا الاجمال تعجيلا للفائدة
 وقبل فتح باب التفصيل لتري أمراً غريباً عجيباً في هذا
 الكتاب ولا مسك بعنان القلم عند هذا الحد في الآداب وأكل
 الاسهاب فيه الى وقت التفصيل فيما سيأتي ان شاء الله تعالى قريباً

﴿ الجوهرة السادسة والعشرون ﴾

(القسم الرابع - العمران والسياسة في القرآن)

سترى في كتابنا هذا أن أكبر اهتمام القرآن بالعمران وأحوال الدول والممالك وكم أمر بالنظر في أحوالها والتأمل في دمار قوم وحياة آخرين . ولندكر لك في هذا الاجمال آيات تتضمن جملا من علوم العمران . ونتبعها ببضعة أحاديث إجمالا على شريطينا التي اشترطنا وخططنا التي التزمنا . ترى القرآن يأمر الناس في سورة بل في كل بضع آيات بالتوحيد وترك الاشراك بالله وقد بالغ في ذلك وكرره وأأكده وأوعد بالعذاب حتى قال إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاعلم أن ذلك لحكمة عظيمة وهما أمران عظيمان وركنان قويان وأصلان مهمان

ألا وهما تحقيق العلم ودوام العمران أما الأول فاذا علم المرء أن الخالق القاهر المسيطر العالم بالغيوب الحكيم واحد لا غيره عرف أن العالم كله لم يصل أحد فيه إلا لشيء محدود من علمه فيجد في المعارف بالبرهان لا بالتقليد . ويتحقق منها أن لا وحي

بعد من أنزل عليه هذا الكتاب واتخاذ الأبناء لله قد بطل حكمه
 وظهر كذبه فلم يبق إلا التشمير عن ساعد الجد في فهم العلوم
 بالعقل انتهاجا لخطه هذا الدين . ولقد كانت الأمم البائدة تتخذ
 الأحرار والرهبان أربابا فيعتقدون كل ما أوحوا إليهم من الخرافات
 وظلمات سحب الجهل فيغشون أعينهم بمفترياتهم وأباطيلهم .
 ولعلك تقول فلناخذ عن نبينا . وهاهو ذا كتاب الله وهاهو ذا الحديث
 قلنا نعم ولكن ترى هذا الكتاب والحديث يرشداننا إلى
 النظر في كل شيء . والتحقيق من كل شيء في آلاف من المواضع
 فالبحث في العالم من مقتضيات هذا الدين والتاركون آثمون .
 أما قرأت (وكأين من آية في السموات والأرض يرثون عليها
 عنها معرّضون)

« وأما الثاني » فإن الأمة إذا شعرت بمساواة النوع البشري
 في الحقيقة . وأن الإله مترفع عن المادة وماتراه في الأرض متساو
 في الوجود والعدم مر بوب مخلوق مقهور سار على قوانين اخترعها
 مبدعها فلا شك أن الأمة تشترك في كل شيء ويقتسمون الحياة
 كل بقسطة عدلا وصدقا ويتشاورون . فيكونون خلفاء الأرض

جميعا ولهم الشورى وسن القوانين وغير ذلك على ما عليه الأمم
المتدينة . على هذا نرى التوحيد يقصد به الصدق في العلم تحقيقا
وفي العمران صدقا واعلاك تستبعد ما ذكرناه وتعدده من المغالاة في
التفسير والاحتيال فتذكر ما قلناه آنفا في قوله تعالى (اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم)
الخ « وفسره النبي صلى الله عليه وسلم » إذ سئل عن ذلك فقال
يسنون لهم السنن ويشرعون لهم الشرائع فسمى سن القوانين
الوهية وبهذا اتضح ما ذكرناه . ولو تذكرت كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العرب والعجم والروم وقوله
(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد
إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله)

فتأمل كيف جعل صلى الله عليه وسلم ترك ربوبية المخلوق
من لوازم الدعوة إلا وهي التساوى في الحقوق وأن لا يسن قانون
إلا بعرضه على الأمة حتى يكون اجماعا برضاها وهالك آيات تحت
الناس على النظر في أحوال الأمم والاعتبار بها . وبخ الله قوما

وندد عليهم فقال (١) (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
 قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) ورب قائل يقول هاهم
 أمم الشرق لهم أعين ولهم قلوب ولهم آذان ومع ذلك فما عرفوا
 شيئا عن أحوال بلادهم فضلا عن غيرها فقال عقب الآية السابقة
 (فانها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور)
 وقال في هلاك الأمم بظلمها (٢) (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ
 ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) فالأمة الظالمة مستعدة للهلاك
 وحلول غيرها محلها وقد جرت عادتهم أن يحسوا بمستقبل أمرهم
 فيريدون التخلص من الدمار والافلات من العذاب فلا يقدررون
 (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تَرْكُضُوا وارجعوا إلى
 مَا أَتَرَفْتُمْ فِيهِ وَمَسَا كَيْنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
 ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)
 (فلا يزالون يعترفون بالظلم والكذب والجهل ويودون المهاجرة
 من البلاد والعدول عن الظلم والأخلاق الفاسدة فترهقهم أخلاقهم
 ويغشيهم ظلمهم وهم في أماكنهم (٣) (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 بِمَا أَيْدِيَ النَّاسِ وَلِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) وذلك

بِقَطْعِ الْمَوَاصِلَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ وَتَحْرِيبِ الْبِلَادِ وَقَطْعِ
الْأَسْلَاقِ الْبَرِّيَّةِ بَرًّا وَبَحْرًا أَوْ عَدْمِهَا .

يَنْشَأُ ذَلِكَ إِمَّا مِنْ الظُّلْمِ أَوْ الْجَهْلِ بِصَنْعِهَا فَتَحْزِبُ وَيَفْنَى
صَانِعُوهَا وَيَبْقَى النَّاسُ مِنْفَرِدِينَ مُتَقَاطِعِينَ كَمَا كَانَتْ الْأُمَمُ فِي زَمَنِ
الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ . الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ دَاعٍ حَثِيثٌ إِلَى ظُلْمِ الْمُسْتَبِدِّينَ
مِنْ حِمْلَةِ الدِّينِ أَوْ مِنْ أَقَامِهِمْ أَوْلَئِكَ الْحَامِلُونَ . وَعَلَيْهِ حُرِّمَتْ
عِبَادَةُ أَيِّ مَخْلُوقٍ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَحَجَرٍ مُصْنُوعٍ وَنَبَاتٍ وَشَجَرٍ
وَجَبَلٍ وَطَيْرٍ وَحَشْرَاتٍ فَلَا عِتْقَادَ بِذَلِكَ يَجْرِي إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِتَنْزِيهِ
الْإِنْسَانِ وَلَوْ بِطَرِيقِ الْمَشَاكَلَةِ فَيَسْتَبِدُّ بِالنَّاسِ وَيَهْلِكُهُمْ (٤) (قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) نَخَرَبَتْ بِلَادُهُمْ لِشُرْكِهِمْ بِاللَّهِ الدَّاعِي لِلشِّرْكِ
فِي السِّيَاسَةِ (٥) (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ فَلَا نَطِيلَ بِشَرْحِهَا (٦) (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ
الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا
آتَاكُمْ) خَاطَبَ النَّاسَ جَمِيعًا بِالْخِلَافَةِ فَكُلُّ مُسْتَوِلٍ عَنْ أُمَّتِهِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ رَفِيعٍ وَوَضِيعٍ فَتَرَاهُ رَفَعَ الدَّرَجَاتِ وَقَسَمَ الْعُقُولَ وَسَأَلَ

كلا بمقدار ما أوتى من العقل والصناعة والعمل فذلك قوله (ورفع
بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم) (٧) (واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً
فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا
إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار
لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا
أولم تك تأتيكم رسلهم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا
وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) فترى هذه الحاجة هي الحاصلة
الآن في الدنيا مشاكلة لما يحصل بعد مفارقة الأرواح أبدانها .
يقول الضعفاء لرؤسائهم أنتم المسئولون ونحن الاتباع فهل لكم
أن تدفعوا عنا الدمار والخراب فيقول العظماء عظم الكرب وحكم
الرب وجاء الويل وطم وعم فيسأل النام جميعاً بقلوبهم وألسنتهم .
كما نشاهد في الأمم المظلومة ويقولون من لنا بالخلاص فلا يجاب
لهم . كما قال هلاكوا اذ هم بغداد .

وقال للمعتصم وهو على شفا الموت هاهوذا اهمالك في أمور
رعيته أوقعك في العذاب وانظر هذا الجوهر والزمرد والياقوت

والمرجان الذي تراه أمامك نهيبته من خزائنك وأنت بين يدي ،
 وإذا كان هذا فعل الله في الدنيا فسيكون الحكم هكذا في الآخرة
 (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا) (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)

فمن هنا ترى أن الرؤساء والمرءوسين مسئولون عن أمهم ،
 وهذا معنى مسألة الانتخاب والشورى ومجلس النواب وهكذا
 وفي آية أخرى (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا
 لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) (قَالَ الَّذِينَ
 اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
 لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فكانه يقول ما جعلت
 الأغلال في أعناقهم في الآخرة الا وقد وضعتها في أعناقهم في
 الدنيا فغلت أيديهم وعقولهم بالجهل وذلوا لاستبداد الرؤساء
 وقلدوهم واتكلوا على مآلديهم من السطوة وظنوها مناط العلم

فجازاهم الله في الآخرة وجعلهم جهلاء معذنين محقرين لجهلهم في الدنيا وتبرأ الرؤساء من المرءوسين كما يحصل في الدنيا عند استبداد الحاكمين على المحكومين ووقوع العذاب عليهم فنراهم يتبرءون ويقول الضعفاء جهلنا بمكرهم علينا وتديبركم الحيل في الليل والنهار لتبقى لكم الرئاسة وخدمكم وتدعوننا في جهلنا نرسف في قيود الذل والجهل وترسلوا علينا غاشية من سحب الجهل المزجاة بعواصف المكر المدبرة بأيدي استبدادكم وظلمكم (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ)

أمرنا أن ننظر آثار الأمم ونحفر الآثار ونقرأ الأحجار ولم يكفه ذلك حتى قال أن في ذلك آيات أي علومًا وآدابًا وأخلاقيات ثم قال أفلا يسمعون ما خطه الأولون وزبره الأقدمون في مضمورات الأرض (١١) (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) وعد بقاء الأمم النافعة الصالحة في الأرض كما وعد باهلاك الأمم التي لا تنفع لعمارتها

(١٢) (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) ولقد قدمنا في هذه الآية أنه صلى الله عليه
وسلم أرسل كتابه الى الملوك بهذا الوضع كما في البخارى وفسر
الروية بسن السنن وتشريع الشرائع . فخطب النبي صلى الله عليه
وسلم الملوك بالصيغة النياية ونبد الاستبدادية . ولذلك نرى العلماء
يعتبرون عندنا الاجماع من الأدلة الشرعية فكأن القرآن إذ ظهر
في الشرق ظهرت ثمرته في الغرب . فكأن الشرق الى الآن لم
يستيقظ من غفلته فسيحان مقسم العقول والحظوظ . أكثر
قصص القرآن وردت لل عمران . وسيرد عليك عند التفصيل قصة
فرعون وموسى وما كان من اذلال بنى اسرائيل واستكبار فرعون
وقومه وتكوين دولة جديدة من الأمة الصغيرة في الشرق
بفلسطين وهم بنو اسرائيل (١٣) (وَرُيْدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ) يشير الى أن الضعيف متى صبر أضحى ذا شوكة الخ .

وترى يوسف وقصة عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وقوم
نوح وقصة آدم وخلافته في الأرض . وكل منها له قسط من
العمران فعاد أهلكوا بطغيانهم . وثمود بافترائهم . وقوم شعيب
بتطيف الكيل وقوم لوط باللواط فقل النسل وقوم نوح هلكوا
لأنهم لا يصلحون لعمارة الأرض . وقصة آدم تشير إلى أنه وبنيه
خلفاء الله في أرضه متساوون في الحقوق ولنتقصر على هذا القدر
من الكتاب وهاك ماورد في السنة من جمل تريك علامات دنو
أجل الأمة وسقوط الدولة

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن أسافل الناس إذا علوا على الحكومة
سقطت الأمة وتقلص ظلها وعبر عنه بتطاول رعاة الابل في البنيان
وقال أيضاً ان الرجال إذا كثروا من الاسراف واقتناء الجوارى
كان علامة على دنو زوال الأمة من الوجود وعرفه بأن تلد الأمة
ربتها أى سيدها وفي هذا القول معنيان مصطحبان كثرة النساء
والاسراف فيهن واختلاط الاجناس فاذا اتخذ الرجال الاماء وهن
من أمة أخرى جرى الدميان واختلط لجنسان وضاع كيان الأمة
وسقطت من شامخ مجدها ورفيع قدرها وزالت وحدتها كما

ذكره اسبنسر الفيلسوف الانجليزى للفيلسوف لليابانى إذ سأله
 عن اليابانيين أيتزوجون من الاوروبيين قال كلاً لا يختلط الجنس
 ولا يحفظ السكبان ولا يلتئم الزوجان وعمله بعلة صحية ونحن نعمل
 بالصحة والاجتماع معاً . والحديث فى البخارى كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بارزاً للناس فأتاه رجل فقال ما الايمان . فقال :
 الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث
 قال ما الاسلام ؟ قال : الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم
 الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان قال ما الاحسان ؟ قال :
 الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
 قال ما الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . وسأخبرك
 عن أسرارها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الابل البهم
 فى البنيان فى خمس لا يعلمها إلا الله ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم
 إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآية
 ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئاً . فقال هذا جبريل جاء يعلم
 الناس دينهم وعبر عن المعنى السابق بما هو أوضح فى حديث
 آخر قال إذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة

وفي حديث أن من إشرط الساعة أن يقل العلم ويكثر الجهل
ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين
امراً القيم الواحد وفي حديث أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه
من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً
اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا اه
وإشرط الساعة هنا المراد بها الصغرى وهى الدلالة على خراب
أمة من الأمم أو قبيلة أو قرية . ولا ريب أن الزنا يقل النسل .
وظهور الجهل من أشد العوامل فى التخريب وارتفاع الاسافل
بارتقاء المناصب بلا استحقاق يورث ضياع الأمة . وقلة الرجال
بالحروب وكثرة النساء داعيان لتغير الأمة وزوالها كما حصل فى
زماننا فقد قتل التعايشى الرجال حتى لم يبق إلا العجائز والنساء
فى كثير من القبائل ولم تكن تجد لنحو خمسين امرأة الاشيوخاً أو
صبياً واحداً وهكذا اختلاط العشائر فهذا كله من امارات زوال
الأمة من الوجود كما عليه علماء العمران فى زماننا

﴿ الجوهرة السابعة والعشرون ﴾

(فصل)

وهناك عشرة خصال عمرانية تهذيبية تشترك فيها الأفراد

والأُمم وهاكها

« الأول » بعث الشعور في النفوس واعدادها للمعالي لتحس
بنداء يخالط الوجدان من السماء يقول الله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

« الثاني » الاحساس بدوام الأمة (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) فشعور
المرء بعلو مكانته إذ هو من أمة هي خير الأمم وإحساسه بما لأُمته
من الدوام على مدى الأزمان داعيان حثيثان إلى الأمل بالعمل
وسمو النفس وشرفها والمسارة الى اعدادها لمنصب سما قدره وعلا
« الثالث » الثبات (وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من الأمور التي يعزم عليها وكفأك قصة نوح

وثباته وتاريخ ذى النون وعجلته وما كان من مدح الأول الخ
فهي جديرة بالاهتمام وكم فى الكتاب من آية تمدح الصبر حتى
قال (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ولا ريب انه الثبات على المبدأ

« الرابع » التوكل وهو اشعار النفس بقوة تحالط الوجدان
وتشارك الروح وتمد العقل مع اندفاع الأعضاء فى تيار العمل
وأشغالها فى أعمالها التى غلب نفعها كالزراعة والتجارة والصناعة
والامارة ونبد ما قل نفعه ولم يعهد سبيلا للكسب والصحة
كأولئك الذين يرقون الناس بالرقى للتطبيب أو يكونونهم أو يتفألون
تطيراً أو يزعمون أو هاماً فأولئك يحاسبون يوم القيامة كما ورد
سبعون ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين
لا يكتوون ولا يتطيّرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون .
ولقد جاء فى خبر انه أعطى مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين
ألفاً ومع كل واحد من كل هؤلاء سبعين ألفاً

فانظر كيف خص الحساب بأولئك الأقوام الذين وقفوا
أنفسهم فى سبيل الأعمال التى لم يغلب نفعها ورفع الحساب عمن
حاسبوا أنفسهم بالسير على النواميس التى وضعها والقوانين
التي سنّها

« الخامس » اللين والشدة هذا الخلق ظاهر من أخلاق النبوة ومن الكتاب إذ مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله فيه هو وأصحابه (أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) فإذن الشجاعة ركن من أركان هذا الدين وناهيك السباق والرمى وانهما سنن اسلامية بل انها فروض واجبة كفائية باجماع علماء الاسلام بقوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) مع مزج هذا باللين في محله وفي التنزيل (إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وما من آية فيها شدة إلا ومزجت باللين ولا ذكر العقاب إلا مقروناً بالشواب مشاكاة لفطرة العالم ونواحيس الكون وقانون الحياة كما جاء (وَأَنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) السادس مراعاة الزمن في الاحوال الدنيوية مع الأعداء فللنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أطوار طور ابتداء الدعوة ما كان ليظهر أمره . وإتمامها في الحكمة في الدعوة والتبليغ المسترسل حتى أن أصحابه هاجروا إلى الحبشة وغيرها . ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة . ولما كان أمر الحديبية كان أمر الصلح بينه وبين أهل مكة عن رضا أن يرد كل من جاء إليه مسلماً مسلماً منهم لهم وأن يردوا من ارتد عن الاسلام إن آووه فرضى

بذلك امتثالا للقضاء ومجازاة للوقت حتى إذا أمكنه الله بعد

سنتين اثنتين ظهر عليهم وانتشر الدين انتشارا باهرا

« السابع » السلام في العقائد لم يذم القرآن نبيا بل ورد في

الدين من كذب نبيا كفر فأصبح لدينا موسى وعيسى و ابراهيم

و ادريس وغيرهم مصدقا بنبواتهم ومتى سمعنا بنبوة أنبياء لم نعرفهم

جوزنا نبوتهم يقول تعالى (ولقد أرسلنا رُسُلًا من قبلك منهم

من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فذلك جمع

للكلمة باعظام أكابر الأمم الذين أشربت العامة والخاصة حبهم

فما كان للاسلام أن يكذب « برهمة » أو بوذا بل يجوز نبوتهم

ولا ريب أن ذلك أدعى لائتلاف الأمم وجمع كلمتهم ولا أدرى

دينا في الأرض يحترم عظماء الأمم كهذا الدين . يؤمن المسلم

بعلماء العالم ولا يؤمن من قبله بدينه فهم مشاكسون وهو مسلم

محب ويعرض علوم الأوائل على العقل فما وافق اتخذه وما خالف

تبذره (فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) وتراه

عمد إلى النظر فيها فأزال ما يضر بالعقائد وسمعة الأنبياء

فنفى الصلب ونزه ذلك المقدس عن الاهانة وأمه من الخنا ونبهه
من الألوهية بل جعله عبداً صالحاً نبياً كسائر الأنبياء وعمد إلى
مافى التوراة من أقاصيص محرفة فصيغت صوغاً ينفى عنها وضر
الشرك ودنس الضلال كوصف بعض الأنبياء بالمحرمات . ووسم
الرب في تاريخ آدم بسيمة ملك متجسس على قومه يحسد من يعلم
علما كعلمه بل يهاب من يخلد مثله مما يوصف به الملوك الذين
قصرت أنظارهم على الشهوات البهيمية وكم اتصف هذا الكتاب
بأنه مصدق لما بين يديه وهدى وموعظة للمتقين

« الثامن » مجارة الأمم التي سيطر عليها أهل هذا الدين
في معاملاتهم واحترام شعائرهم كمعابد النصارى واليهود واحترام
أخبارهم ورهبانهم واقرار عقودهم في مناكحتهم . وأحوالهم
المعيشية واستأنس بما في قصة يوسف (قالوا) أى رجال فرعون ابنى
يعقوب إذ كانوا بمصر (فما جزاؤه) أى السارق (إن كنتم كاذبين
قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي
الظالمين) فعاقب بنى إسرائيل بقانونهم فى بلادهم

« التاسع » التدريج فى معاملات الأمم فلا يقهرون بالسطوة

ولا يكلفون الطفرة . اعتبر ذلك في بيان ضرر الخمر أو لا وما أيقظهم به من قوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) إذ أبان الضرر والنفع وكشف وجه الحرمة باظهار وجهته إذ القضية التي جزمت بها العقول إن ماغلب ضرره حرم تعاطيه ثم كيف حرمها في الصلاة بقوله (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم بت الحكم فيها وفي الميسر في قوله (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فهذا التدريج في الدين عند نزوله داع حثيث إلى التلطف مع الرعايا . وأخذهم بسنة التدريج والنمو في المعتقدات شيئاً فشيئاً حتى يتم الأمر ولا يهولنك ما ترى من دول سقطت برجالها فاعلم ذلك بما شغلوا به من أباطيل ولم يكونوا مسلمين إلا بالاسم أو الرسم أو بعض العبادات أو الأقوال . أما جوهر الدين فهو منبوذ نبذاً

« العاشر » مراعاة الأمم في جواهر الأحكام . وناهيك ما ترى في دية القتل إذ جاء على عادة العرب أن يؤخذ من الأبل مائة على العاقلة في قتل الخطأ وشبه العمد . وعلى القاتل في العمد

عند العفو . هذه جاءت مطابقة لما عليه العرب في جاهليتها مع
اعتدال في النهج وهذا باب واسع تدخل منه الأمة المتمدنة إلى
سن القوانين بما يستقر عليه العرف والعادة وما يسمح به الزمن
وما تقتضيه الأيام والزمان والمكان وهذا هو القصد الاسمي من
كون هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة بشيرا
ونذيرا . وجد الرجل يتزوج بلا حصر فرجعه إلى أربع مالم يخف
من الجور ومتى خيف جور منع التعدد . وللحكومات أن تأخذ
على يد الأفراد بحسب ما ترى من استعدادها (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً) الآية .

كان الرق سنة جاهلية تخففه ثم أدخل العتق في أحكام الدين
وكم من أمر ديني كان العتق أعظم أبوابه (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ
فَكُلُّ رَقَبَةٍ) فله ما أرحم هذا النبي فهو رحمة للبشر فمن هذا المنهج
الوسط يجد رجال الأمم ميدانا واسعا في معاملات الشعوب في
الشؤون المختلفة الدينية والدنيوية . وللعقول والعقلاء مجال .
هنا وقف جواد القلم في ميدان البيان اذ المقام أجمال لا تفصيل
وفي هذا الأجمال مقنع في العمران

﴿الركن الخامس العبادات﴾

ذكرنا هذا الركن بعد سابقه لما بينهما من الاخوة والرابطة
والصلة والرحم والصدقة فالعبادات البدنية المسماة أركان الاسلام
خمس في حديث (بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً) فلهذه العبادات وجهان أولهما
يعانق العمرانيات وثانيهما يترامى إلى أطراف المادة ويطوح
بالنفوس إلى عالم القدس فأولهما اجتماع ونظام وحياة ورقى ونظام
في مادة . وثانيهما عروج الروح وصفاء النفس وبهجة القلب وخلوص
إلى الرب ولقاء الله وأنس بأوليائه وفرح بأحبابه . فالأول شجر
والثاني ثمر والأول جسم . والثاني روح . والأول لفظه . والثاني
معناه . والأول صورة . والآخر حسننها وجمالها وبهاؤها ولئن
سألت عنها تقول

الأرل الكلام على شهادة أن لا إله إلا الله . أما توحيد الله
فيها فقد قدمنا ذكره وأوضحناه بأنه اخلاص القلب إليه وتوجه
النفوس نحوه . والوجه الثاني فيها تساوى الناس في الحقوق ونبذ

الاختصاص وابعاد السدنة والكهنة وغيرهم وإذ أوضحنا هذا
فلنمسك القلم عن الايغال فيه اكتفاء بما حررناه سابقا

﴿ إقامة الصلاة والحج ﴾

وجهه الاجتماعى ترى النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الناس
بالصلاة خاصة وعامة فى خمس أوقات من النهار بعد طلوع الفجر
والظهر والعصر والمغرب والعشاء فى أعمال مخصوصة وأقوال
معقولة ودعوات ترجع إلى أشعار القلب بعظمة الرب وتذكر
الصالحين المصلحين والتسليم عليهم استحضاراً لهم واقترباً بالقلب
منهم ، وليكونوا جماعات لهم إمام يصلى بهم . هكذا كان فى عهد
النبى صلى الله عليه وسلم بحيث تكون الجماعات أمرها فى كل
وقت من الأوقات الخمس شائعاً فى البلد منتشر أو فضل فى الحديث
الجماعة على الفرد بسبع وعشرين درجة .

وفى معنى الحديث لقد هممت أن أحرق بيوت قوم تركهم
الجماعة ولم يكادوا يتركون تلك الجماعة أثناء الحرب . وورد فى
تفصيلها أثناء القتال فى الميدان نحو ستة عشر كيفية بحيث لا يتركون
الصلاة ولا جماعتها فى وقت من الأوقات . ولأهل الاسلام

عيدان في كل سنة يجتمع فيهما أهل البلدة ومن حولها يتعارفون
ويتزاورون وليكن المكان (مصلى العيد) خاصاً به يسع المدينة
والقرى حولها بالغين ما بلغوا ولهم اجتماع يوم الجمعة يجتمع فيه
أهل رجال البلدة يقوم فيهم أميرهم خطيباً أو ملكهم أو ذو الرأي
فيعظهم ويذكركم بما جنوا ويعظهم بكتاب الله ولقد مسخ ذلك
كله في هذا العهد وبقيت له صور شوهاء فهذه ثلاث اجتماعات
اليومية الخمسة . والأسبوعية الواحدة . والسنوية المرتان هذا .
عدا مجامع السبق والرمي والولائم والأفراح . وما يماثلها من كل
ما ورد به الشرع . فالیومی لأهل المحلة . والأسبوعي . لأهل
القرية . والسنوي للبلد والقرى المجاورة لها . وهناك اجتماع
للمسامين كافة في مشارق الأرض ومغاربها وهو الحج في بلدين
الشرق والغرب ملتقى الجهتين منعزل عن معترك السياسة يحجون
إليه كل عام أي من قدر منهم في العمر ولو مرة واحدة يتذاكر فيه
أهل الاسلام ما عليه دولهم واختراعها وأحوالها وحكامها ونظامها
فيرجعون مفيدین مستفيدين فهذه هي المراتب الأربع العمرانية .
فأي أمة أتقنتها وحافظت على كيائها قويت دعائمها واتحدت

وجهتها وصارت كدول العرب في أول نشأتها . وهذا الذي قدمناه
عمل اجتماعي من هذا الوجه ينظم المدن ويديم الأمن ويؤمن
السبل وينظم الممالك كما أوضحه الغزالي في الاحياء

﴿ الجوهرة الثامنة والعشرون ﴾

(الوجه الثاني في الصلاة والحج)

وهذه الأعمال في الصلاة والحج تعرج بالعبد إلى درجات
القرب . فالمرء باقباله على الله ومناجاته والاقبال عليه ووصفه بأنه
رحمن رحيم . وأنه مرب العالم كله من إنسان ونبات وحيوان
تربية مشوبة بالرحمة يشعر فؤاده ما أبدع في العالم من الرحمة
واللطف وكيف أعطى كل شيء خلقه برحمته من التدريج في التربية
ويتصور أنه أمامه يناجيه فيقول إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .
ويدعوه فيقول أدعوك لتهديني صراط قوم عرفوا لا صراط من
جهلوا السبل فضلوا يتخبطون أو سبيل من غضبت عليهم لعنادهم
وعصيانهم فاذا تكرر الاستحضار أشرق على القلب نور . لاسيما
إذا صلى ليلا والناس نيام . وهذه الصلاة إذا خلت من هذا التوجه
لم تغن شيئا في أجر القرب من الله وإنما ترجع إلى اجتماع محض

وحياة دنيوية . ومتى أخذ المصلى في فهم معنى ما يقول من المناجاة
دعته مناجاته إلى التوغل في العلوم والمبادرة إلى اقتنائها من أى
سبيل كما هى سبيل التى اختطتها لنفسى من أول نشأتى . وهكذا
الحج فاذا حج المرء وهو غافل نال درجة الاسلام فحسب . وهو
الاتقياد الظاهرى وهو لا يفيد غير النظام الاجتماعى وحفظ كيان
الملة باعتبارها إسلامية وليس له فى الآخرة ولا فى العقل أدنى
نصيب . فاذا عرف مقصد الحج وأنه قد خرج من أصحابه وأخوانه
وأهله وولده وماله طائعا لله قاصداً مكاناً جعله الله شعائره وهاجره
له فاذا وقف بعرفات والشمس فوق الرؤس ذكر فى نفسه واجمع
حواله أن الله يجمع الناس للحساب كما جمعهم للحج . وأنه سيخرج
من الدنيا كما خرج من أكثر ما أحبه وأنه سيجرد منها كما جرد
من الخيط من الثياب وهكذا فيرجع الحاج بعد التحقق من تلك
المعاني كيوم ولدته أمه . ولا معنى لهذا إلا أن نفسه انقطعت إلى
الله ومالت إليه بما تذكرته بعد تهذيبها بمشاق السفر والنصب
فأقلعت عن الذنوب حتى لا ترجع . وماعدا هذا فهو حج ذو وجه
واحد لا وجهين .

﴿ الجوهرة التاسعة والعشرون ﴾

(في الزكاة)

وأعجب شيء في هذه الشريعة الزكاة فترى الحكومات الشرقية والغربية تفرض على الناس مغارم فيدفعونها ومنهم قوم يعطونها وهم لها كارهون . ففرضت الزكاة في الزرع والذهب والكنوز والفضة والتجارة بتفصيل ليس هذا محلّه حتى أن من لديه شيء من هذا يجتهد في تقديمه للعامل الذي ينصبه الخاكيم تقريباً إلى الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » فجعلها صدقة وسماها زكاة أى طهارة فلها وجه عمرانى . وهو أن كل غنى يلزم بدفع جزء من تجارته كل سنة وهو ربع العشر يعطى للفقراء والمساكين والعاملين والقوم الذين يريد تأليفهم لنا ومن عليهم ديون وعلى الجيوش فى الحرب وعلى المسافرين ولا تطيل به . فقد ذكره العلماء فى الفروع فأدخلوا فرع العمران من الهندسة والطب وغيرها من المنافع العامة فى ذلك هذا وجه عمرانى . فبذلك تضحل الأحزاب المتربصة للشر بالأغنياء إذ وجه حقدهم منبوذ . أما وجهة الشخص وقربه من الله

فاعلم أن النفس مجبولة على البخل فجاء هذا الدين داعياً حثيثاً إلى إخراج هذا الجزء من المال صدقة ظاهره الاحسان للفقراء ونظام المدنية وباطنه تطهير النفوس من رذيلة البخل . وفتح باب صفة الكرم التي أولها الزكاة . ووسطها الصدقات ونهايتها تعميم الخيرات في الأعمال النافعة . وبناء المدارس والربط ومساعدة الجمعيات والحكومات في أعمالها النافعة مع إكرام الضيف ومواساة الأغنياء والأصدقاء . وقطع السنة الدامنين من السفلة كل هذا تقويم حتى لا تتقيد النفس بحب المال الموجب للتعلق بالمادة في الحياة الدنيا فتخلص الروح لمبدعها وقد فرغت مما ألم بها من الغواشي الطبيعية

﴿ الجوهرة الثلاثون ﴾

(الصيام)

يلي الصيام الزكاة وهو صيام شهر تعويد النفس على الاحساس بما يقاسيه الفقير من الآلام في فقره حتى يواسيه وهذا وجهه الاجتماعي مع التعود على العفة ثم عروج الروح بخلو الجوف إلى عالمها بما نالت من الرياضة بترك الطعام والشراب مدة النهار حتى

تتجلى في عالمها وتبتهج بصفاؤها وترفل في حلال كمالها وهذا وجهه
الروحاني الديني اه وإلى هتا وقف بنا جواد القلم في قسم العبادات
ونحن الآن شارعون في قسم المعاملات والحدود وإلا أحكام

﴿ الجوهرة الاحدى والثلاثون ﴾

(القسم السادس المعاملات والاحكام والحدود والتعازير)

هذا القسم في الاسلام خاص بنظام المدن ثم يقول العلماء
رحمهم الله ان الانسان يجرى في سبيل أوله الولادة جادته الحياة
مراحله السنون . نهايته الموت . غايته لقاء الله تعالى دابته البدن
وبقاء شخصه بالغذاء وبقاء نسله بالزواج فرجع أمر الحياة جميعها
الى ركنين المال والتزواج . فهذا القسم الأخير في الدين الاسلامي
أقل الأقسام ورودا في الآيات القرآنية وأكثرها عناية لدى
العلماء وتراه هو والعبادات قد صنفهما العلماء في علم الفقه فكم
زاولوا من أحكام وقوانين ليسوسوا الناس ويضبطوا المدن
ويقيموا العدل والقسط في الأم التي يحكمونها ويديرون شؤونها
ولعمري أن نظام القضايا أمر دنيوي يرجع إلى الدين بغايته .
فالمرء في الحياة لا بد من بقاء شخصه بالغذاء ونسله بالتزواج .

وبعد ذلك يهذب نفسه ويغذى روحه بأنوار العلوم والعرفان .
ويروض روحه على العروج إلى مبدع العالم بأنواع العبادات مع
الملاحظة والفكر والفهم والتأمل . وترى علماءنا إذا اضطرت
لذلك وجهوا الهمم إليه في غالب العصور لما رأوا من احتياج العالم
إليه في نظام المدن وغلب على ظن كثير ان اتقانه وحده موجب
لسعادة الآخرة كلاثم كلاثم كلاثم كلاثم كلاثم كلاثم كلاثم
شرط من شروط سعادتها . أما الآخرة فمرجعها الفكر فيه
والبصائر الوقادة والعقول النافعة عقول تهذبت واستنارت
وفكرت في العالم ونظامه وعرجت إلى الخالق بصفائها . وعليه
فأرقى الأقسام الست وأعلاها وأجملها وأبهاها وأعلاها وأولها
وآخرها قسم العلوم الكونية الذي صدرنا به مباحثنا في كتابنا
الآتري أن الكتاب الكريم كرهه مراراً وتابعه تكررراً
ولعمرك لن ينتظم أمر الغذاء والسعادة في الحياة إلا بأقسامه
وعلومه . ولن يتحلى الفكر بأنوار المعارف إلا بجماله وضيائه
ويليه اهتماماً ما ينبذ البدعة فقسم السياسات فالآداب فالعبادات
وأما قسم المعاملات فأنما يراد كدواء وشفاء للسقام إذ العلوم العقلية

من الأمم منزلة منزلة الغذاء والأحكام الشرعية منزلة منزلة الدواء
 وهل ترى أحكام الميراث والهبة والبيع وغيرها إلا للمنازعة
 والخصومة في الأموال . فصل العلماء أحكام البيوع والربا والقرض
 والهبة والاجارة والعارية وأحكام اللقطة والميراث والوصايا وأحكامها
 والوقف والعقود والدعاوى وفصل الخصومات وأحكام القضاة
 وتوليهم وشروطها والعقوبات والسرقة والغصب وهذا للمال .
 وأما للنسب فحد الزنا واللواط . وأحكام الزواج والطلاق والخلع
 والظهار والملاعة ، وقد تجمع الأقسام النظامية في خمس كلمات
 حفظ الدين بقتل المرتد ، والعقل بحد الخمر ، والنسب بحد الزنا
 والمال بحد السرقة . والنفس والأعضاء بالقصاص . وهذه الحدود
 أخص ما جاء به الاسلام من العقاب في الدنيا وهناك عقوبات
 أخرى لقطاع الطريق بالنفي . أو قطع الأيدي والأرجل ، وحد
 القاذف ثمانون جلدة .

﴿ الجوهرة الثانية والثلاثون ﴾

(الشرع ميزان)

إعلم أن عقوبات هذا الدين على قسمين أحدهما الحدود كقتل المرتد لحفظ كيان الأمة من تفريق الجامعة بشروط مخصوصة كثيرة ورجم الزاني المحصن وجلد البكر ونفيه من البلاد سنة . وحد شارب الخمر أربعون جلدة بالضرب بالسياط وقتل القاتل وقطع عضو بقطع عضو آخر نظير ما صنع . وقطع يد السارق وهكذا « الثاني » التعاذير كالحبس والتغريب والضرب والتوبيخ والاعراض في كل ما كان حراماً ولم يرد فيه حد وهو تابع لاجتهاد القاضى ورأيه وفراسته متنوعاً تنوع أصناف الناس في درجاتهم وأخلاقهم وعوائدهم من الاشراف أو الأوساط أو السوقة . هذا ما قرأناه في بعض المذاهب كالشافعى . وترى أبا حنيفة يرجع إلى رأى القاضى أكثر ويمنحه أوسع . حتى انك لتراه يبيح القتل في التعذير . فلو شهر انسان سيفاً على الناس جاز قتله . ولو اتضح للحاكم وثبت أن رجلاً يؤذى الناس جاز قتله سياسة

﴿ الجوهرة الثالثة والثلاثون ﴾

(مقصود الشرع ودرجات الامم في العلم)

ورد في السنة قوله صلى الله عليه وسلم « أدرءوا الحدود بالشبهات »
 وقوله تعالى (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ
 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) ترى الحدود والتعازير
 وردت عن الشارع في الأول تحديداً وفي الثاني اجتهاداً من القاضي
 وترى الحدود حددت غاية العقوبات والتعازير أدنى فأدنى وقد
 أرشد الله عباده إلى التيقظ والسهر والتشمير والجذب بالاحصائيات
 ومراعاة درجات الأمم ووزنها بميزان العقل وتقديرها وأن يكيلوا
 للأمم كيلاً ويزنوا لهم وزناً في الحقوق والقوانين حسبما يناسب
 حالهم ناظرين إلى سنن الشرع جاثمين حوله مع أخذ رأى نواب
 الأمة في ذلك . ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي
 على ضلالة » وهذا أصل من أصول الحياة الاجتماعية وأنت
 لو تأملت كتب الأمم المتعاقبة أجيالها المتتابعة أصنافها أمة بعد أمة
 وجيلاً بعد جيل في أما كن مختلفة من ترك وفرنس وهند وصين

وأسيويين ومصريين وغيرهم لرأيهم سلكوا مناهج تناسب
استعدادهم وتوافق مشاربهم (قد علم كل أناس مشربهم) ولن
تفهم الأمة الجاهلة ما تفهمه العالمة وناهيك أهل البرابرة بالمغرب
اعتنقوا مذهب الامام مالك رضى الله عنه . وهو أقرب إلى الفطرة
وأبعد عن التأويل لم تتناوله الحضارة ولم تصهره مراجل المدنية
كما صهرت منهج أبي حنيفة بالعراق إذ ثم ملوك العباسيين ومن
خلفهم من أمم الترك السلجوقيين وبنى عثمان وغيرهم فأولئك دون
علمائهم ما احتملته عقولهم من الفروع والأحكام وهكذا ترى أن
الأمة الحية إذا اعتنقت هذا الدين كانت أبعد نظراً وأسمى فكراً
وأسرع خاطراً من أمة رسخت في البداوة ولم تصهرها نار المدينة .

﴿ الجوهرية الرابعة والثلاثون ﴾

(العقل والشرع)

لا غنى للعقل عن الشرع ولا للشرع عن العقل . ومما تقدم
عامت ان القوانين العامة في الاسلام نورها الدين سياجها العقل
صاحبها الفهم غايتها العدل يقول صلى الله عليه وسلم : « ادركوا

الحدود بالشبهات » وهذه قاعدة عجبية مختصرة فتحت لواضع القانون بابا من العلم .

ألا ترى انه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال زينت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لعلك لمست فقال الرجل زينت يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لعلك قبلت فقال : زينت يارسول الله وهكذا ، وكان صلى الله عليه وسلم في كل مرة يستدير يمينا ويساراً وأماما وخلفاً أمام الرجل فلما أصر إلا أن يقر أمر به فرجم وأخبر أنه دخل الجنة .

وترى الفقهاء في الفروع ينصون على أن شبهة وإن قلت تدفع الحدود ويرجع للتعذير بل مجرد الإنكار في السرقة والزنا يدرؤهما وإثبات الزنا أمر يستحيل إلا بالإقرار والسرقة تثبت ولكن القطع فيها عسر لأنه يحتاج لنفي شبهة ولو قال إن لي فيما سرقت جزءاً وأن عليه حقاً أو نحو ذلك سقط القطع وبقي التعذير . هذه القاعدة أشبهت في شكلها قاعدة الشفقة عند القاضي الأهلي فيستبدل الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة بالقتل وهذا الحديث يدرأ الحد ويثبت التعذير وللأمة أن تقرر في مجالسها

الشورية ما يناسب استعداد الأمة انحطاطاً وارتقاءً وهاهو أمامها
أقصى عقوبة فلتجعلها نهاية القسوة عند الحاجة ولها أن تزن عقوباتها
بأحوالها .

ولتكن هذه شبهة كما جاء في التنزيل (إن في ذلك لآيات
للمتوسمين) ، (أن لا تطغوا في الميزان) وأرسل صلى الله عليه وسلم
معاذا إلى اليمن فقال يا معاذ كيف تقضى فقال أنظر في كتاب الله
تعالى . قال فان لم تجد قال فبسنة رسوله قال فان لم تجد ما أردت
في سنة رسوله . قال الفهم يا رسول الله وهذا معنى ما ورد فجعل
للفهم مقاماً ولعلك تقول إنما يفهم من مضى وقد سد الباب ولم
يبق من ذوى العلم من يتسنى له الفهم ومجتهدو العصر الأولي
يغنون عن بعدهم قلت ذلك لم يرد في النقل ولا يسامه العقل بل
ورد أن بعض من يبلغه خير ممن سمع فعن أبي بكر رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري قال (فان دماءكم
وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم
هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا
ترجعوا بعدى ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليلغ

الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من
 بعض من سمعه ألا هل بلغت ألا هل بلغت (اهـ . وهذه الحجة
 آخر سنة من سنى حياته صلى الله عليه وفي هذا دليل على أن
 الأمم المتأخرة لها أن تنظر وإن نظرها ربما كان أدق . والقاعدة
 التي قررناها ضابطة شاملة . وهى أن الدين قواعد كلية تنزل من
 الأمم على قدر عقولهم ومنزلتهم من الفهم فلن يغنى متقدم عن
 متأخر ولا متأخر عن متقدم . ولذلك نرى كثيراً من نصوصه
 كآليات والأحاديث متعارضة متشاكسة . فمن نظر إليها بحسب
 ما يتجلى منها أول أمرها بانتهت مستصعبة قد تضله عن الدين
 وتزيغة وتوقعه فى الشك والإثم . ولكن العقول الراجحة
 والقلوب الواعية والنفوس الراقية والأذهان الذكية تفصل المعانى
 تفصيلاً وتورد لكل آية تأويلاً وكم من رجل ضل وكفر إذ عبس
 وبسر بعد أن نظر نظرة أفقية . وما مثل الدين إلا كمثل الماء
 ينزل من السماء ويحيى الأرض قطره ويجلها مزنه فتكون منها
 الصخرية واليابسة والرملية والسبخة والجيدة النبات وهى الحندج
 كما ورد فى حديث البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به اه . وهذا بلا ريب ظاهر في الأمم واختلافها في الفهم والتعقل على قدر ما وهبها الله من القوى والعقول وجاء في حديث (أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها) وهذا إنما يكون بالتعقل والفهم وفي قصة سليمان وداود عليهما السلام غنى لطالب الحكمة في هذا المعنى ذلك أنه ادعى صاحب حقل على رب غنم أنها أهلكته حرث حقله فقضى داود بتسليمه الغنم جمعاء ملكاً . وقضى سليمان بأن يعطى الغنم ينتفع بدها ونسلها ويحرث الأرض رب الغنم ويزرعها حتى يبلغ الزرع مبلغه اذ أفسدته الغنم . ثم يأخذ رب الغنم غنمه . فكان قضاء صادق محله ووافق المحزن ولم يعب على أحدهما بل كلاهما يسمى

ذافهم وجاء في هذا المعنى قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان
 في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
 ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فمدح سليمان بالفهم وأثنى على
 كايها بالعلم والحكمة . ومقصودنا من هذا القول أجمعه أن الأمم
 التي تنظر في هذا الدين ينبغي أن تلاحظ استعدادها وإدراكها وتفهم
 الكتاب والسنة وتراجع كلام الأئمة وتجتهد لنفسها هي وإن هذا
 لا يعد مساساً بحقوق الأوائل فلكل حال مقتضى وعمل يناسبها
 والقاعدة العامة واحدة . وورد أنه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
 ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أشار صلى الله
 عليه وسلم إلى سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا . وقد اعتاد دين
 الاسلام أن تحمله أمة بعد أمة . حملته العرب وأوصلته إلى الفرس
 وحملوه فلما ضعفت الدولتان ظهر التتار وحملوه فنشروه في الهند
 والصين انتشاراً أوسع . وفي هذا المقدار مقنع لمقتنع . وإلى هنا
 وقف جواد القلم عن الجرى في ميدان الحدود والأحكام في هذا
 الأجمال . هذا أجمال قواعد الاسلام الست التي وعدنا بالأجمال

فيها واكتفينا بهذا القدر وسنشرع الآن بعون الله تعالى وتوفيقه
في تفصيل الأقسام على ترتيب الاجمال . ولنوجه العناية إلى قسم
العلوم والعمران والآداب إذ هي التي يعوزها الأطناب

﴿ تفصيل مقامات الاسلام ﴾

(القسم الأول العلوم)

قبل الكلام على هذا القسم نورد ثمانية مباحث (الأول)
الدين والعقل (الثاني) الدين والطبع (الثالث) خوارق العادات
(الرابع) من أخذ العلوم من الدين بدون فكر (الخامس) الغلو
في الدين (السادس) وجوب العلوم العقلية على الأمة لا يكلف
الله نفساً إلا وسعها (السابع) الصناعات (الثامن) الوجوب
الكفائي وعناية الدين بالعلوم

﴿ الجوهرة الخامسة والثلاثون ﴾

(الأول الدين والعقل)

أورد الغزالي في كتاب أحياء العلوم ، جملاً في الدين والعلم
وإن العلوم العقلية تجري من الأمم مجرى الغذاء . والعلوم النقلية

مجرى الدواء، ومتى عكفت الأمة على الدواء ولم تفكر في الغذاء
الضاحلت أجسامها وهزلت أبدانها ومرضت أرواحها وانحرفت
أمزجتها ودنت من الزوال وساء الحال فلا غنى للدين عن العقل
وعليه فالعلوم الطبيعية جمعاء من طب وتشريح وطبعية وكيمياء
وعلم النبات والحيوان والانسان وكذا علم الاجتماع ضرورية
للعمران واجبة على الانسان وأى أمة أقامت الحدود والاحكام
وجملت موارد الرزق ساء مصيرها وكيف تقيم الحدود على معدوم
والناس إذا لم يزاولوا هذه العلوم فلا حياة لهم وإذا لم تكن حياة
فعلى من تقام الحدود وكما وجبت العقليات فى الأحوال العامة
للناس فهكذا فلتكن للمرء فى نفسه . إننا تارة نجد نفوسنا تطمح فى
الشدة والغلظة وتارة للين والرقه وربما تجاوزنا الحد فى أحد الطرفين
وكانت تلك العظام والحكم الواردة فى كل منهما مرشداً قوياً
وناصحاً أميناً ومدوايا للعلة والسقم الروحى . وكما أن العضو إذا
اشتدت عليه الحرارة وزاد سقمة عاجناه بالبارد . وإن مرض
بالبرودة عاجناه بالحر فأصلحناه . ولن تعرف الحرارة من البرودة
إلا بالعقل والتمييز ، وبعد ذلك نعالجه بضد ما سقم به العضو فهكذا

نفعل بأخلاقنا ونداوى نفوسنا ، فإذا مالت إلى أحد الطرفين
رجعناها إلى الاعتدال بنصائح الدين فإذا طغت نفوسنا بالأموال
وشرهت وقست القلوب وحرصت على المطامع الشهوانية ومدت
الآعين إلى زينة الحياة الدنيا قرأنا قوله تعالى (المالُ والبنون زينةُ
الحياة الدنيا) وإن كرهنا المال وابتعدنا عن الأعمال ووقعنا في
الاهمال وتباطأنا عن المنافع رويانا قوله صلى الله عليه وسلم « لا حسد
إلا في اثنتين رجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل
آتاه الله مالا فسلط على نفقته في الخير » وإن بخلنا قرأنا قوله تعالى
(وَمَنْ يوقْ شَحْ نفسه فأولئك هم المفلحون) وإن بذرنا قرأنا
قوله تعالى (ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
وكان الشيطان لربه كفوراً) فبهذا نفهم أن ما في الدين أدوية
لا أغذية والعقل هو الغذاء والدين هو الدواء وفرق بين العقاقير
الطبية وبين الأغذية التي بها قوام الأبدان ولا ريب أن الأغذية
تتعاضد على إقامة الصحة في الجسد وأما الأدوية فتضاد أفعالها
ورب دواء يصلح الجسد ويزيل المرض وآخر يبيد المريض في
يوم أو بعض يوم .

﴿ الجوهرة السادسة والثلاثون ﴾

(الثاني الدين والطبع)

طباع الناس ميالة إلى اللذائذ والشهوات منقادة بالطبع مقهورة لها مسخرة كأنها لها عابدة نثرها ميالة إلى اللذات البدنية من المآكل والمشارب والملابس والتزواج والأبنية والمفاخر والزينة والذهب والفضة والخيل المسومة واقتناء الأنعام والحراث والنسل وهذا الميل ضروري للحياة ولولاه لخلا وجه الكرة الأرضية من ساكنيه وبادوا ولكن عادة الإنسان أن يتغالى في شهواته ويمعن في لذاته فجاءت الشرائع لتضاد الطباع النهمه وتهاجم وحوش النفوس الكاسرة فتجذبهم إلى الطرف الآخر جهد الاستطاعة ، عشق الناس المال وأفرطوا في عشقه فجاء ذمه مراراً وذكر تكرراراً وما القصد من ذلك الذم تركه وإلا ضاعت الحكمة وإنما القصد الحقيقي من الذم إنفاقه في مواضعه واتلافه فيما خلق له ، ولم يكن المرام من ذلك الذم إلا تهوينه على النفس ليصرف في المصالح العامة لا نبذه ظهرياً ، فالطبع في طرف والدين في طرف ، فيعتدل الإنسان في الوسط ولا ريب أن الأخلاق أوساط وإذا وجدنا من ترك

السعى على المال مراعاة لدم الكتاب زجرناه وأمرناه بجمعه ومدحناه
وزيناه له حتي يعتدل ، وعلى هذه القاعدة سنجرى في كتابنا إذ
رأينا الأمة الآن لا تعير العلوم جانب الالتفات لظنها براءة الدين
منها فلماذا ندحض حجة المنكرين ونبين وجوبها للمفكرين .

﴿ الجوهرة السابعة والثلاثون ﴾

(الثالث خوارق العادات مع الدين)

جرت عادة الديانات أن تؤسس على خوارق العادات وتبنى
على أساس يأبى أن يتوازر مع العلم أو يتآخى مع الفلسفة فيكون
العلم مع الدين في شقاق بعيد . وترى القرآن الشريف رغمًا مما
عليه عامة المسلمين صرح بمقصده فقال (وما مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ
إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا
وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ
وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي
الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) فذكر أن مسألة
الاسراء ورؤية بيت المقدس ليلا وأخباره عنه وهو لم يره قط

وهكذا ما قرره في مقام آخر من ذكره شجرة ملعونة وهي شجرة
 الزقوم فأمن قوم وكفر قوم فهذا كله إنما هو تخويف وأرهاب
 فما ازداد السابقون إلا طغيانا وكفرا . وذلك بعد أن مضت قرون
 وذهبت أمم وأجيال كذبوا إذ خوفوا كشمود أذهبوا بعجائب
 الناقة ذات اللبن الغزير تسقى عشائرهم فعقرها قدار بن سالف
 فأهلكهم الله فخوارق العادات لا تؤسس أمة ولا تبنى مجداً فكانت
 دعامة هذا الدين الحجيح الدامغة والبراهين العقلية ودراسة العلوم
 على اختلاف أشكالها . فكأنه يقول كنا نرسل بخوارق العادات
 إذ كانت الأمم أطفالا والأجيال جهالا فنخوفهم ونزعجهم بغرائبها
 فما زادهم ذلك التخويف إلا كفرا نالا ولا أرهاقهم إلا جهلا . ومثل
 خوارق العادات مثل العصا يزعج بها الصبيان وهم يتعلمون
 لا يدركون النافع والضار ولا الخبيث من الطيب . وهكذا كان
 شأن الأمم السابقين والأجيال السالفين أخفناهم ببعض الغرائب
 لما جهلوا . ومع ذلك لم يكن لها حظ من تقويم النفوس وإصلاح
 الشؤون إلا بمقدار ما يتعظ الصبيان بالعصا وتزول البغية المباحة
 والهجمة المزعجة وتؤوب العقول إلى الرؤس . وما مثل تلك

الحوارق إلا كضاغط ثقيل على الهواء لا يثبت أن يتمدد إذا
كشف عنه غطاؤه ويأخذ شكله الطبيعي فهكذا عقول الأمم
الجاهلة صبيان الأمم ترسل عليهم الآيات فتضغط على العقول
ضغط اليد على الهواء في قرية فاذا تنوسيت تلك المعجزه زال
الايان بزوالها . فأما الأمم التي تعقل ما يلقي اليها فإيمانها بالقاء
المعارف والعلوم وتعليمها التفكير والتبصر والتعقل كما أنزلنا عليك
القرآن لهذه الأمة لينظروا في العلوم ويتفكروا في خلق
السموات والأرض

لم يزل خرق العادات عصياً تفرع تلك الأجيال البائدة كل حين
فأبدلناها بما يصقل العقول آناً فآناً في هذه الأمة إذ دينها يستقبل
العلوم بوجه باش وصدر رحب وسنتابع بعده الاكتشافات كما
قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق) وقال في آية أخرى (قل لا أقول لكم عندي خزائن
الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع الا ما يوحى
إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) فهنا يقول
ليس أمر الله بيدي حتى أتصرف في خزائنه ولا علم عندي فأخبر

بالغيب ولست من الملائكة المجريدين عن المادة وغاية ما لدى إني
أنبئكم بما يوحى إلى وقصارى أمركم أنكم « قسما » عاقل وغير
عاقل فمن عقل وفهم ما ألقىته إليكم فقد اهتدى ومن ضل فما أصنع
له . أجهلتم فلم تتفكروا قد سأله أهل مكة مرة يقولون إن كنت
نبينا فلتدع ربك يفجر لنا أرض مكة ينابيع ولنر فيها بساتين ذات
أشجار وأثمار وأنهار أو تتساقط السماء قطعاً علينا أو نرى ربك وملائكته
عياناً أو نرى لك بيتاً مشيداً وقصرًا من ذهب أو نراك تصعد في
السما ثم تأتي بكتاب من عنده تقرأه فقال (سبحان ربى هل كنت
إلا بشرا رسولا) كما قال فى الآية السابقة ليس عنده خزائن الله
ولا يعلم الغيب وليس من الملائكة فلم يبق إلا أنه رسول من
عند الله يبلغكم ما يقول وأنتم فيه تتفكرون فحجته الدامغة هى
التعقل . وهذا لا ينافى أن خوارق العادات جاءت على يديه ولم
يكن يقصد بها الاعجاز وحده . وإنما معجزته الحقيقية القرآن
والتفكر فيه كما قال فى آية أخرى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من
ربه قل إنما الآيات عند الله وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون
وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى

طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله
ولكن أكثرهم يجهلون (والمقصود أن خوارق العادات إذا
جاءت لا تفيد الفائدة المطلوبة وتقلب القلوب والأفئدة كأنها لم
تؤمن بل لو رأوا الملائكة وكلمهم الأموات من القبور لم يفهم
ذلك فائدة. ويبقون جاهلين وأبان أن المدار على الفهم في القرآن
الذي نص عليه في آية أخرى (قال أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون
) وقال في آية أخرى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)
فهو يقول أن المصائب والآلام تحيق بي والمكروه يسوءني فلو
علمت الغيب لاحترست من مزعجات الليالي أو توقيت منها وما أنا
إلا مبشر ومنذر لمن يصدقون بعقولهم وكفى هذا شرحاً لحال
الرسول صلى الله عليه وسلم إيماناً تبيان وإذن لا يهولنك ما روى
عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم مر على قوم يلقحون النخل أي
يضعون الطلع الذي في ذكرانه في أناته فقال صلى الله عليه وسلم

« لو لم تفعلوا لصلح » فتركوه فخرج شيصاً فربهم فقال ما لنخلدكم
 قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بدنياكم وفي رواية مسلم قال
 « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم
 بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » وفي رواية أخرى « إن كان ينفعهم
 ذلك فليصنعوا فاني ظننت ظناً فلا تتواخذوني بالظن ولكن إذا
 حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فاني لن أكذب على الله عز وجل »
 ومن هذا تعلم حال هذا الدين أن مداره على العقل والعلم والفكر .
 ولذلك سيورد عليك نحو ٧٠٠ آية في العلوم . وليس في العبادات
 والمعاملات والحدود أكثر من ١٥٠ آية إشارة إلى القصد الأول منه

﴿ الجوهرة الثامنة والثلاثون ﴾

(الرابع من أخذ العلوم من الدين بدون فكر)

من أخذ العلوم من الدين بدون فكر فهو غر جاهل قال
 الغزالي في الأحياء في الجزء الرابع في باب الشكر فان قلت قد
 أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم . وقد ذم
 الله تعالى المال والجاه . وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا

العلماء قال الله تعالى (إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ لَكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ تَدُونُكُمْ)
 (فَاحْذَرُوهُمْ) وقال عز وجل (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)
 وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب . الناس أبناء ما يحسنون
 وقيمة المرء ما يحسنه . وقيل المرء بنفسه لا بأبيه فما معنى كونها
 مذمومة شرعا . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة
 المؤولة والعموميات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد
 بنور الله تعالى إلى أدراك العلوم على ما هي عليه ثم يترك النقل على
 وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى . فهذه نعم
 معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها إلا أن فيها فتنا
 ومخاوف إلى آخر ما قاله من تمثله المال بالحياة ومنافع الدين بالترياق
 وغرور الدنيا وشهواتها بالسم والعلماء والأنبياء والحكماء بالرجل
 المعزم . والناس كلهم يجهلون الترياق إلا المعزم فانه قادر فيجب
 ابتعادهم عن المال كما يبتعدون عن الحية وهكذا شبهه بالبحر
 والشهوات بالتمساح ومنافع الدين بالحواجز أسفل الماء والأنبياء
 والعلماء غواصون والناس جميعا لا يغوصون فلن يقدر على استخلاص
 الجواهر الا ذو الدراية . هذا ملخص ما أطلال به في هذا المقام والذي

نحتاج إليه فيه ما أظهره رحمه الله تعالى من أن المدار في العلوم على العقل والبرهان والتحقيق وأما ظواهر الآيات فلها أغراض تناسب الجمهور والخواص يحتاجون لدقة حتى ينالوا حظاً منها

﴿ الجوهرة التاسعة والثلاثون ﴾

(الخامس الغلو في الدين)

الغلو في الدين ممقوت قال الله تعالى (يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) نهى عن الغلو في الدين فلا نرفع الرسل إلى درجة الألوهية ولا نسهم بالعصيان بل يبقون في درجة تناسب التبليغ وهكذا الأولياء والصالحون نعتقد فيهم أن لهم عند الله زلفى بقدر ما عملوا ولن ينفعوا ولن يضرُوا إلا ياتباعهم ومخالفتهم وإعناهم قدوة فلنجتهد في تقليدهم ولنسارع إلى الخيرات فتعظيم القبور والتعالي فيها ونحو ذلك كله غلو في الدين ورجوع إلى الوثنية

﴿ الجوهرة الأربعون ﴾

(السادس والسابع وجوب العلوم العقلية على الامه والصناعات)

بناء على ما سمعت من المقدمات وما فهمت من المقاصد ترى
 أن العلوم العقلية من حكمة وطبيعة وفلك واجبة على الأمة .
 فاذا نبذتها عذبها الله مرتين مرة في الآخرة ومرة في الدنيا بنقص
 المال والأنفس والثمرات . فنقص المال بذهاب العلوم الطبيعية
 المعينة على اقتنائه كالزراعة والبيطرة وعلم المعادن والتجارة والحياكة
 وآلات السقي والطحن والخبز وآلات الحرث والبناء وهكذا .
 ونقص الأنفس بجهل الطب ونقص الثمرات بترك جميع العلوم
 حتى الفلك ويرشدك إلى وجوبه قوله تعالى (أو لم ينظروا في
 ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى
 أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) كأنه
 يقول إذا تركتم النظر فلا علوم وإذا لم يكن علم ذهبت دولتكم
 وقامت قيامتكم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
 يستقدمون) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)

وهذا كما يقول الرجل لمن يعلمه أنظر الذي أمامك وافتح عينيك
تحريراً له على الانتفاع منه والعلم بما فيه . والآيات في وجوب
النظر في جميع العلوم كثيرة فلا تطيل باعادتها بل سيأتي قريباً
ما وعدناك به منها وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة » فاعلم أن وجوبه يختلف باختلاف الأزمنة
والأمكنة كما أوضحه الغزالي في الأحياء . وهو يدور مع الحاجة
وجوداً وعدمها . فما احتاج إليه جميع الأفراد وجب عليهم وجوباً
عاماً . وما احتاج له المجموع وجب على أفراد من الأمة يقدرون
على القيام بأمره . وجبت الصلاة على كل عاقل ليذكر الله في الأوقات
الخمس حتى يرى في نفسه نزوعاً إلى خالقه ويكون زاداً للمعاد .
وأما وجوب الزكاة فعلى من لديه المال فيتعلم من الزكاة بمقدار
ما أوتي من المال المزكى ويعلم من الصيام ما تعم الحاجة إليه . وإذا
وجب عليه الحج وجبت عليه معرفته . ولما انتشرت المدنية وعمت
الحضارة وجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم قليلاً من القراءة
والكتابة وأول آية نزلت قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم

علم الإنسان ما لم يعلم) فأول ما قرع سمع النبي صلى الله عليه وسلم العلم والقلم وفي سورة أخرى (نُ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فأقسم بالقلم تعليماً لأُمته وفتحاً لباب التعلم بالقلم الذي صار أول شرط من شروط الحياة ونما يجب على العامة أن يتعلموا فن الكتابة يجب أن يعرفوا ما حولهم من الكائنات المسمي فن الأشياء . ولا ريب أن الأشياء هي مبادئ العلوم كلها فلا علم إلا وله مباد فيها كالنجوم والنبات والحيوان . وإذا تأملت الآيات التي سنوردها تجدها أشياء مما يحيط بالإنسان بأسلوب جميل يشوق القارئ

وفي كل أمة أفراد امتازوا بقدرة في المال وقوة في العقل والفهم وميل إلى فن أو فنون من طبيعة أو غيرها وهؤلاء يجب عليهم بأعيانهم التوسع في تلك العلوم حتى يفيدوا بها . وهذا هو الواجب الكفائي . وعلى الحكومات الزام عدد من الأمة كاف لتخريج أناس منهم لحفظ العلوم ودرسها ونشرها من رياضة أو طبيعة أو فلك أو حكمة فان قصر العامة أو الخاصة أو غفلت الحكومة عن حفظ الموازنة ضاعت الأمة وحق عليها القول ومما يستأنس به للوجوب قوله تعالى ((وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ) وقوله (فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
 في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)
 وعلى من آتس في نفسه القدرة على نوع من أنواع العلوم أو الأعمال
 كالجارة والصناعة أن يتقدم له ويجد فيه وهو فرض عليه . ومن
 العجب أنك ترى أن الفطرة الانسانية أودعت فيها أسرار وحكم
 ووزعت عليها الاعمال وفي ظني أنك لو راقبت الصبيان وأحصيتهم
 لاستخرجت منهم الأعداد اللازمة لحفظ كيان الأمة ولتجدن
 استعداد الهندسة والزراعة والطب والميكروب لكل فن منها
 عدد يكفي الأمة كما خلق الذكر والأنثى بلا دخل للخلق في
 تنويعها فهكذا فلتكن الأمزجة واستعدادها للعلوم والصناعات
 بل لاشك في أن هذا حاصل . ولو أن الحكومات راقبت الغزائر
 في إبان نشأتها لألفتها كما ذكرنا . ولكان هذا أجل ما حصلت
 عليه المدينة قال تعالى (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (وَلِكُلِّ
 وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا) ولما سئل صلى الله عليه وسلم قال « جف القلم
 بما هو كائن أو كان » قال رجل أنت كل إذا يارسول الله فأطرق

برأسه ثم قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » إشارة إلى ما قررناه
الآن ومن ساعدته فطرته وقصر به ماله وجب على الأمة اسعافه
بالمال حتى يحيا فطرته ولا تموت غريزته وهذا ما فهمناه من
قوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)

ومن هذا عرفت الواجب العيني والواجب الكفائي
والصناعات كالعلوم في الوجوب فيجب على كل فرد أن يتعلم
صناعة وإلا عاش ذليلاً وعوقب في الدنيا بالأحزان وفي الآخرة
بالعذاب والحكومات مسيطرات فعليهن أن يلزمن الأفراد بذلك
وما دامت الأمة تحتاج إلى إبرة أو محراث أو آلة بخارية من
الخارج فهم يعاقبون في الدنيا والآخرة وهذا هو مذهب علماء
الاسلام قاطبة .

﴿ الجوهرة الحادية والاربعون ﴾

(الثامن عناية الدين بالعلوم)

مما سبق تعلم مقدار عناية هذا الدين بالعلوم العقلية والكونية
حتى إنك ترى أن مناط جميع الأديان في الأمم السالفة إنما هي
العبادات والصلوات وأشياء أخرى ومناط هذا الدين . أولاً وبالذات

العلوم النظر في الكائنات لتتربى في المرء ملكة الوجدان ولقد جاء في التنزيل (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) وجاء في قصة الخضر وموسى عليهما السلام أن موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه . إذ لم يرد العلم إلى الله . فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادى بجمع البحرين هو أعلم منك . قال يارب وكيف به فقيل له احمل حوتنا في مكمل فاذا فقدته فهو ثم وكان ما كان مما هو موضح في القصة في البخارى . ومنها أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام انى على علم من علم الله علمه لا تعلمه أنت . وأنت على علم علمك الله لا أعلمه . ولما استويا في السفينة جاء عصفور فنقر نقرة أو نقرتين من البحر قال الخضر يا موسى ما علمى وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر وكان ما كان من العجائب التى جرت على أيديهما والحكم المودعة في قصتهما

أيقظنا هذا القول إلى الاستزادة من العلم أمد الحياة وأن لا نقنع بما لدينا من العلوم . كيف لا وهذا موسى وهو نبي سافر للعلم . وهذا الخضر يقول أنت تعلم ما لا أعلم وعلم الله لا نهاية له .

فالمرء مادام حياً ملزماً بالتعلم من غيره حتى إذا استوفى علم المخلوق
أخذ في الاكتشاف والاختراع . وقد قلنا أن آيات العلوم تبلغ
أربعاً وعشرين ضعفاً من آيات العبادات وهما نحن شاردون في
تفصيلها كما وعدنا وهي تبلغ نحو سبعمائة وثلاثة وستين آية جمعها
الغزالي في بعض مصنفاته وسند كل آية ونعلق عليها ما يناسبها
عند الحاجة ونذكر ما أشارت إليه من العلوم فإذا تمت الآيات
أحصينا عدد الاشارات للعلوم وجمعناها عدداً واحداً

وترى العبادات والمعاملات مائة وخمسين فإذا سقطت ما جاء
في المعاملات لم تبلغ آيات العبادات مائة

وترى علماء الاسلام قصرت عنايتهم عن العلوم وهي في
نظر صاحب الشرع عليه السلام أهم وفي الآيات التي سأوردها
إيماء لجميع العلوم كالفلك والتقويم والعلوم الرياضية والنبات والحيوان
والانسان والحكمة والتوحيد والطبيعة والكيمياء وغيرها من
بقية العلوم التي تفتخر بها أم العالم . ولعمري من قرأ هذه الآيات
وتدبرها ينمو في قلبه وجدان صحيح ويشب في عقله حب العلوم
وغريزة الفهم ويقبل عليها . ولا يكاد يتمها حتى يحس بوجدان

إلهي وشوق لمبدع تلك العجائب وولوع وفرح بتلك الغرائب
وها نحن شارعون بحمد الله في المقصود فتقول ان الآيات
سترد عليك متتابعة تشمل النظر في العلوم والتأمل في الحكمة
ولقد نرى في الآية الواحدة آدابا وعلوما فنذكرها لما غلب من
علمها على آدابها

﴿ الجوهرة الثانية والأربعون ﴾

(سورة الفاتحة)

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن
الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهتنا الصراط
المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) بدأ برحمة الله تعالى التي شملت العالم علويه وسفليه وثني
بالثناء على الله لنعمائه ورحماته التي وسعت العوالم كلها . فشملت
الطير في وكره والوحش في فلواته . والنجوم في مداراتها . والشموس
في أفلاكها . فنحن نحمد الذي ربى هذا العالم تربية مزجت رحمة
عامة فتراه ربى النبات والحيوان والانسان وأعطى كل نوع منها
ما يدوم به ارتقاؤه . ويلأئم مزاجه فلم تسكن تربيته لعالم واحد

منها (الحمد لله رب العالمين) وتحتاج التريية إلى رغبة ورهبة فقلوه
(الرحمن الرحيم) هي الرغبة وهي ما أحاط بالانسان والحيوان في
حياته من النعم الوافرة والآلاء المتواردة والعطف والمنح الظاهرة
والباطنة والرهبة في قوله (مالك يوم الدين) فهو المالك للعالم يوم
الجزاء والدهر كله يوم جزاء للنوع الحى فلا حى إلا وهو مجازى
في كافة لحظاته وحركاته وسكناته على ما قدمت يداه فيجنى المرء
مما زرع في شبابه عند هرمه ويحس المقصر بألم في قلبه وفقر
وأفلاس في ماله والله هو المالك لنواصي الأحياء في حياتهم وبعد
موتهم فكأنه يقال الحمد لله على أن تربيته عمت الأنواع كلها .
وشملت الرحمة واللفظ والعطف ، ولم يذر العباد وشأنهم بلا ارشاد
وإيقاظ لئلا يفرطوا في ذنوبهم ويجمعوا الى الشرور ويطمحوا
إلى الهلكات . فحصرهم بالقهر وانزال المحن والبلايا على من لم
يعتدل في سيره . فملك الله زجره . وتولى بنفسه تأديبه فاللهم
(اهذنا الصراط المستقيم) ومن شأنه الرحمة العامة والقهر العظيم
نحن نطلب منه أن يهديننا إلى طريق استقامت جادته . ونجا
سالكوه طريق من سعى اليك فخلعت عليه من نعمك خلعا .

وألبيسته من رحمتك أثوابا ومن رضاك جلبابا . فسبقت رحمتك
غضبك لا صراط من غالتهم غول العقاب والجزاء فغضبت عليهم
فجهلوا جهلا مطبقا وحمدت قرائحهم على مآلديهم من العلم . ولا
صراط الذين ضلوا السبيل فلم يهتدوا فقلوه أنعمت عليهم يناسب
الرحمن الرحيم وقوله غير المغضوب عليهم الخ . . يناسب مالك
يوم الدين وملخص هذا الثناء على الله بعموم رحمته العالم .
وملكه نواصيهم ونحن ندعوه أن يقودنا بالرحمة ويجعلنا ممن
قادهم إليه باللين والعطف والرأفة بأن نعرف نعمه وأسرار علومها
فنهتدى بها ونهتج نهج من ساروا على نهج الاعتدال وأن يحننا
سوط غضبه بصفة القهر والسلطان التي لا يقاد بها إلا المجرمون
الذين جبلتهم تنبو عن الكرم والرحمة ولا يقادون إلا بسياط
العذاب واللعنة

والناس في الدنيا قسمان قسم استقاموا وعلموا وأدركوا وفهموا
أولئك ساقهم الله بصفة الرحمة وقسم جهلوا وإن تعلموا استعملوا
العلم في التسفل وأعمال الشهوات أولئك يقادون بسلاسل القهر
والجزاء وعذاب الآخرة بصفة مالك يوم الجزاء . علوم هذه

السورة فن الحكمة إذ هو فن تدرس فيه عموميات العلوم
وأصناف الموجودات ومبادئ العلوم

﴿ الجوهرة الثالثة والأربعون ﴾

(في سورة البقرة اربع عشرة آية)

الاولى (الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً
وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا
تجملوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) في هذه الآية أربعة أصول
الأول كون الأرض فراشاً كناية عن التمكن من الانتفاع بها
وهذا لن ننال معرفته إلا بعلم طبقات الأرض - المعادن -
الجغرافيا (الجيولوجى) وعلم المعادن (ميتريولوجى) والسماء وعلم
تقويم البلدان (الجغرافيا) الثانى جعل السماء بناء وهذا مداره على
علم الهيئه (استروومى) ألا ترى أن الهيئه تريك مجموعات
الكواكب المنتشرة في فضاء السماء فترى للناظران هناك فضاء
عظيماً . ولا ريب أن هذا بمعزل عن البناء ولن يدرك عاقل ان
العالم فوقنا بناء الامتى فقه سر الاثير المالىء للعالم المفروشة فيه
الكواكب والشموس والأقمار كأنها مرصعة في أطرافه ولكنها

مفروشة في جوانبه وأكنافه . ولولا هذا الجسم اللطيف الشفاف
 ما تألق برق ولا جرت كهرباء ولا كانت أسلاك تلغرافية ولا كان
 تلغراف (ماركوني) الذي ينقل الأخبار بلا سلك تراه . فهذا
 الخلاء الذي بين هذه الأجرام المنيرة ممتلئ . بجسم لطيف لا تراه
 العيون ولا تتخيله الظنون لا تخلو منه السماء ولا تخلو منه الأرض
 فهو بناء ثابت لطيف رقيق لا يتخلله أدنى شقوق (فأرجع البصر
 هل ترى من فطور) وشأن البناء أجسام صلبة تتخللها أخرى
 لطيفة تتماسك بها . الثالث (وأُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهذا يسلك
 بنا أن ننظر في السماء وتكوينها وأقطارها وبرقها ورعدها وفيه
 علم الجو والسحاب والأنهار والبحر . الرابع (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
 الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) وفيه الكلام على الثمار واختلافها لونا وطعماً
 وقدرًا ومنها دواء وغذاء وفاكهة وزيت وأدم وكيف كان تكونها
 وما أسبابها

﴿ الجوهرة الرابعة والأربعون ﴾

الثانية (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى
 (١٢)

الى السماء فسوّا هنّ سبع سموات وهو بكلّ شئ عليم (في هذه
 الآية أصلان عظيمان : الأول مافى الأرض جميعاً ، والثانى تسوية
 السماء وجعلها سبع طبقات ، الأول يحتاج إلى علم المعادن
 والحيوان والنبات والانسان والعمران ، وكيف يتسنى لامرئ
 أن ينتفع بما أجنّته الصخور وضمّنته البحور وكن في الهواء
 واستكن في الماء من المعادن كالذهب والفضة والأحجار الثمينة
 والجواهر واليواقيت والمرجان والأسماء والكهرباء والأعشاب
 والغابات والسهل والجبل والقفر والسحاب والنبات والحيوان
 والانسان إلا اذا مارس فنون المعادن وطبقات الأرض وفن
 الحفر واستخراج السائل المسمى بالبترول وغاص البحار ونظر
 مافيه من المرجان والجواهر وعلوم الطبيعيات وقوله (لكم)
 داع حثيث للبحث والتنقيب والطلب ومتابعة الاكتشاف
 والجولان في البر والبحر هذه الآية صورت الانسان بشكل
 الملك المسيطر والخليفة . الثانى تسوية السماء وكونها سبع طبقات ،
 أما تسويتها فأمر معقول بالهيئة يعلم بالنظر فى الحساب والهندسة
 والجبر ويليهما الفلك ولعمري كيف تعرف تسوية السماء وهندستها

ونظامها وإتقانها إلا بعلوم الهيئة وكيف تدرك الهيئة إلا بالحساب
والهندسة والجبر وهناك يدخل الانسان في طور من الجمال مبهج
يسره فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ، وقف على الماديات وجهل العقليات ، وما أبهج نفس المرء
إذ يعرف الشكل البيضاوي الذي تدور عليه الشمس والكواكب
السيارة وما أسره حين يقف على دوائر الكواكب الثابتة بالبرهان
العقلي ، وكيف تتركب الشهور والسنون والقرون ، وكيف يختلف
الليل والنهار ويفهم إذ ذاك ما تحز دونه أعناق الملوك والجبابرة
الجهال ، ولعمري ليس كل ناظر للهيئة قرير العين . إلا انما ذاك
الذي يدرسها ناظراً لحسن إتقانها ومحاسنها وجمالها ، ولقد أودعنا
في كتبنا الأخرى من هذا ما فيه غنى . ولولا أن هذا الكتاب
لقوم برعوا في العلوم لأطلقنا المقام ولوفينا الكلام حقه ، أما كون
هذا البناء الرفيع سبع طبقات فهو سر يعلم بمجرد الظن كأن تقول
إن هذه الطباق أقدار الكواكب باعتبار الذي درس في الفلك
والتقويم والحساب والهندسة والجبر والكواكب وغير ذلك
ولعل في العلم بعد ما يكشف الغطاء عنه ولذلك أعقبه بقوله (وهو
بكل شيء عليم)

﴿ الجوهرة الخامسة والأربعون ﴾

الثالثة (قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) هذه الآية تفتح باب الاكتشاف واستطلاع ما ذرأ
 الله في الأرض واشعار النفوس بأن وراء ما علم الناس من المعارف
 حكما وغرائب، فهذه الآية تتناول إليها الأعتاق وتشخص لها
 الأبصار كما جاء في مسألة الخضر الآتفة الذكر ما نقص علمي وعلمك
 من علم الله إلا كما نقص ذلك الطائر من البحر وقول الخضر أنا
 على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا
 أشعار للنفوس واستنهاض للهمم وتحريك للعزائم وإيقاظ للعقول
 وتنبيه للأفهام بما وراء علومهم من الأسرار والحكم وأنا لا نستصغر
 فنا ولا نستحققر علما وإنا لا نأنف أن نأخذ عمن تظن نفوسنا
 انها أعلم منه فالعلم باب واسع وبحر لا ساحل له وقوله (إلا ما علمتنا)
 اقرار له بالشكر على ما نعلم من علمنا واعتراف بأن ما يتعلمه المرء
 من غيره أو من اكتشافه اسناده الى الله ومرجعه اليه ولا جرم
 أن المعرفة بالاستعداد والالهام والتعليم بمعلم بشري راجعة الى الله
 مبدأ وغاية وفي هذه الآية صفة العلم والحكمة لله تعالى ويرجع
 الى فن الألهيّات من الحكمة

✽ الجوهرة السادسة والأربعون ✽

الرابعة (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) فيه أن القدرة لله
وحده هو مالك السموات والأرض ولا ناصر ولا ولي سواه
واعداد النفوس الى التشمير في العلم والعمل والثقة بالله تعالى ،
وفيه صفة القدرة من فن الألهيات والاعتماد على الله في النصر
ولا جرم أن الاتكال عليه كما أوضحناه مناطه الجد في الاعمال التي
سنها الله في العوالم واستخدام النواميس والاعضاء والآلات التي
منحها الله لعباده والتكسب عنها جنوح الى ترك الانتصار به كما
أوردناه آنفاً في حديث الذين لا يكتوون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وابنا هناك ان التوكل اعتماد
بالقلب وعمل بالجوارح وسير على السنن المعهود ، وما سوى هذا
جنف واثم وعدم ثقة بالله ونبذ لما سنه للبشر من القوانين وما شرعه
من الأوضاع الكونية فاستنصر بهواه لا بما رآه مسنوناً طبيعياً

﴿ الجوهرة السابعة والأربعون ﴾

الخامسة (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
 إن الله واسع عليم) الله جل وعلا منزه عن المادة برىء من
 الأجسام تعالى عن الأبصار لا نراه بهذه العيون . فليس معنى ذلك
 أننا نرى وجه الله أينما حللنا أو ارتحلنا شرقا أو غربا بعيوننا على
 أننا لو فرضنا ما استحال وكان له وجه ينظر بالأبصار وتمتد إليه
 الأشعة وتقابله الوجوه وله عيان وأذنان وفم وأنياب كما للآدميين
 كيف نراه في الشرق والغرب ونرى هذا الخطاب عاما لكل
 من له بصر وعقل والآدميون على وجه الكرة الأرضية يبلغون
 نحو مليار ونصف . فكيف يرى كل منهم وجهه الواحد واذن
 رجع الأمر إن ادراكه بالبصيرة لا بالبصر ووجهه ما يستشعره
 المرء في آيات الكائنات من الجلال والجمال الطالعة على وجه الطبائع
 الجميلة في الكرة الأرضية والأجرام السماوية . وهذا معنى ما رسمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله « أذكركم الله عند كل حجر
 وشجر » وهو إيقاظ للعقول وتنبيه لها إن كل ما تراه تشعر العقول
 بأثر خالقه فيه فكل نظرة أو فكرة فيها يثاب المرء عليها

فللمرء في فكرته جزاء جميل من الخالق وهى عبادة فاذا غلب على
 فؤاد شعور أثر الخالق فيما يراه من العالم تربت له ملكة حب
 الله عز وجل وزاد يقينه فليشمر للعمل واثقا بالخير في دنياه والرضا
 في آخره وختم المقال بأنه واسع عليم تحريض على استطلاع خبايا
 العلوم وكشف الاسرار والاكتشافات وإذا كان لله وجه فيما تراه
 العيون وتسمعه الآذان أو تدركه البصائر فآثاره تعم كل كائن
 ولا جرم أن ذلك يدعو للجزم بأن لتلك الكائنات أسراراً لما لله
 فيها من الوجه والسر والحكمة وإذا كان الله واسعاً في قدرته
 وعلمه محيطاً بأسرارها فلا جرم أن كل ما لدينا من الكائنات فيه من
 الحكمة المودعة مالا يستقصى وكلما وقفنا على سر فلنذكر قوله
 تعالى (ثم وجه الله) ونوقن أن وراءه أسراراً إذ وجه الله لا يزال
 فيه (والله واسع عليم) فاذا اكتشفت الاناسى ألف سر قالوا
 ثم وجه الله) فليكن ما وراءها آلاف حكمة. وهذا ما قاله أحد
 أعضاء المجلس العلمى البريطانى في أول هذا القرن إذ قام خطيباً فقال
 كانت العناصر أربعا في الأعصر الغابرة فقد وصلت إلى نيف
 وسبعين وتشعبت فروع العلم وأصبح كل عنصر يدعو إلى التنقيب

عن أسرارہ فلعلہ مرکب من عناصر وهذا الهواء كان بسيطاً
فصار مركباً من مادتين ثم وصل الآن خمساً الاكسجين والازوت
وبخار الماء والفحم ومادة خامسة « أرغون » وقال كل
واحدة منها تستدعى سيراً حثيثاً عسى أن يكون وراءها تحليل
وتحل إلى عناصر وتحسب أصلاً كالهواء وتسير سيرا لانهاية له
ولا غاية لمداه . فليشمر الانسان في البحث عسى أن يكون في
قوى نفسه وفي الكائنات حوله ما تنبعث منه أشعة جديدة وقوى
مودعة ولا يقف عند حد في قوته ولعل في نفوسنا أسراراً وحكماً
فليجد في الرقي والعلوم ولا يقف رجل عن العلم والعمل لحظة فلعل
في نفوسنا وهي أجمل العالم قوى وراء ما وصلنا اليه وأنا أقول قد
تجدد لي نشاط في نفسي عند كتابة هذا الموضوع وأملت أن أنال
من القدرة والعلم شيئاً بعد ما نلته . وإذا كانت الذرات في الطبيعة
تبدي عجائب لن تقف عند حد محدود وتحدث كهرباء وعجائب فما
بالك بنفوس أشرف ما نراه وأجمل ما أودع في الكائنات ولعل في
نفسك أيها القارئ من القدرة والقوة ما لم يكن ليخطر ببالك
وكم من ضعيف ظهرت على يديه أعمال خرت لها الأقوياء سجداً

وكم من رجل لا يؤبه به جد وأعمل الفكر فأنازل للعالم مصاييح من
أشعة علمه وسن لهم قوانين من حكمه وفي التاريخ من هؤلاء
كثير وذلك لما لله في العالم من الوجه وشمول علمه وسعة قدرته لها
ولن يتناهى ما فيها وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« لأقاتلهم ولو وحدي » ويقول الله لنبيه (وقل رب زدني علما)
وهذا نابليون يقول - لا مستحيل -

﴿ الجوهرة الثامنة والأربعون ﴾

السادسة (وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه بل له ما في السموات
والأرض كل له قانتون) لا ولد لله فالناس سواء في الحقوق ملوكهم
وسوقهم خاصتهم وعامتهم فلا مسيطر إلا الله ولن ترى مخلوقا
إلا وهو قانت مطيع لله طاعة تسخير وسير على قانون سنه في
الطبيعة سلط عليه الشهوات وألهمه ما يقيم به حياته فهو محوط
بالهواء والشمس والحكومة والأم تجرى عليه شرائع الطبائع
وقوانين الحكومات فلن يخرج عن هذا السنن إلا من مجرد عن
المادة وهو مدير هذه الأجرام وكل له قانتون مسخرون ساجدون
كما قال في آية أخرى (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون

﴿ الجوهرة التاسعة والاربعون ﴾

السابعة (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) يقول يا محمد
أن الله مطلع عليك وسيدفع عنك كيد الكائدين إذ هو السميع
لما تقول ويقولون العليم بما تعمل ويعملون وسيظهر الحق ويخفي
الباطل عدة لمصلحين في الأمم بالنصر وظهور الحق وهذه مسألة
نخر بها الغرييون من قولهم لا يبقى إلا الأصلاح ولا بد من ظهور
الحق وخفاء الباطل صرح بها الله لنبيه قائلاً سأنصرك فاني عالم
ما تعمل وقد أجريت سنتي أن أرفع الحق وأخفي الباطل

﴿ الجوهرة الخمسون ﴾

الثامنة (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)
صبغة الله هي معرفة الدين والعلوم ويقول لا أحسن من صبغة
الله ونحن له عابدون

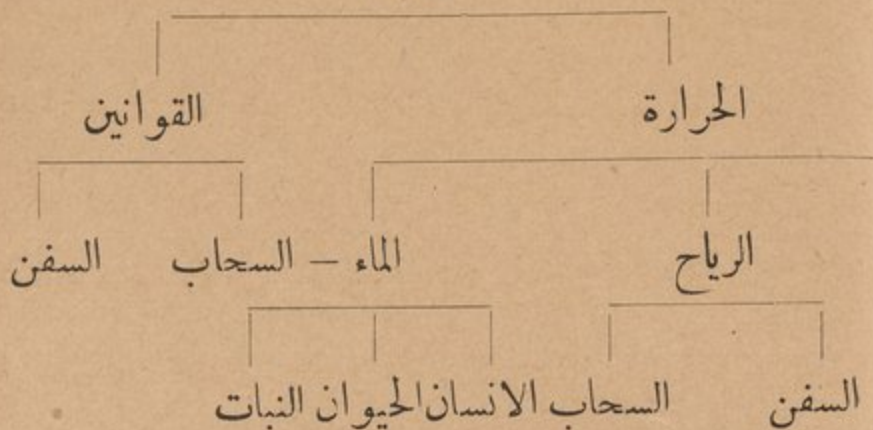
﴿ الجوهرة الحادية والخمسون ﴾

التاسعة والعاشرة قوله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا

هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى قَوْلِهِ (لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) صدر هذا القول
 بتوحيد الله وأردف بعده صلة العالم بعبده ببعضه ببعض فابتدأ بالفلك
 وثنى بالطبيعة وجعلها مرتبطة بمنظمة كأنها إنسان واحد وحيوان
 واحد ونبات فترى كل كائن مستمد من سواه فاختلف الليل
 والنهار بالزيادة والنقصان بقرب الشمس وبعدها في البروج
 الشمالية والجنوبية يدعوا إلى اختلاف الحرارة والبرودة في الاقطار
 المتباينة وهبوب الرياح فترى الأمطار تتساقط من السماء تبعاً
 لنواميس الحرارة والبرودة المسخرين لناموس الأفلاك وسير
 الشمس في البروج فتنشأ ممالك النبات والحيوان والإنسان من
 ذلك الماء وتهب الرياح فتسير السفن كما تسير السحب ولكل
 قوانين في سيره فترى السفن لن تتجاوز مارسم لها الملاحون في
 رسومهم من الخطوط البحرية ولن تعدوا السحب طريقها المرسوم
 لها بالنواميس الطبيعية رحمة للناس وهذا جميعه مرتبط بالعلويات
 وكيف تسير السفن إلا بالقوانين البحرية المستخرجة من علم

الأفلاك ومراقبة الأطوال والعروض والنجوم وسير الشمس
وملاحظة الأجرام العلوية وتمغطس الأبرة المتجهة إلى القطبين أم
كيف يتحرك السحاب إلا بالرياح وهي المسخرة بالحرارة المنبعثة
من الأجرام العلوية فرجع الأمر كله إلى أصل نجم عنه فرعان
كلاهما له فروع الأصل اختلاف الليل والنهار بالحركات الفلكية
والفرعان القرانين المودعة في الأجرام العلوية والحرارة المنبعثة
على الكرة الأرضية. ومن الأول نشأ فرعان سير السحب
وسير السفن بالقوانين البحرية لرقى التجارة بتبادل المنافع بين
الأمم فيأخذ الشرق ما نبت في الغرب ويأكل الغربي ما نبت في
الشرق ومن الثاني فرعان إثارة الهواء والماء فحرك الهواء السحاب
والسفن وتبخر الماء بالحرارة فعلا في الجو فهبط ماء على اليابسة
وكان الحيوان والنبات منه وهذه صورته

الفلك



فترى هذا العالم على هذا النسق كرة واحدة وشكلاً واحداً
يحتاج أدناه إلى أعلاه والأعلى مفيد للأسفل والأسفل مستمد
من الأعلى مستفيد منه كما ظهر في هذا الشكل وإذا كان هذا شكل
النظام الذي في عالمنا فمن الأقرب للعقول أن نهيج النظم الأخرى
على هذا النمط وعليه فأصبح هذا العالم لدى العلماء والمفكرين كجسم
واحد له روح وقلب وأعضاء متحركة وحرارة وهل دورة المياه
والرياح المسخرت ودورات الشمس والأقمار إلا كما يدور الدم
في أجسامنا فإذا أبصرنا بعقولنا أدركنا العالم كإنسان واحد وحيوان
واحد له رأس وأعضاء رئيسة ومرتبة ولا يعقل هذا إلا من

درس من كل فن طرفاً ثم مزج العلوم وربطها ثم قارنها فهناك
يدرك هذا القول ولا جرم أن الجسم الواحد مديره واحد فارتباط
العوالم واستمدادها يدل أن مدبرها واحد

وتأمل كيف يقول (والهكم اله واحد الخ) ثم يعقبه بهذا
الشكل المنتظم من الكائنات الصائرة مزاجاً واحداً فهذا هو يقول
الهكم واحد ولن تستشعروا هذه الوحدة الا إذا قرأتم العلوم
وعشتم بها وصورت في عقولكم شكلاً منظماً كما وضعناه فتدركون
مزاجه وجسده ومنه تعرفون أن المدير واحد ولقد رأيت علماء
اليونانيين يطنطنون بأن المالم واحد ويبرهنون يبراهين قاحلة
يابسة خلت من العلوم والحكمة على عاداتهم في مثل ذلك وقسموه
أعراضاً وافلا كما وجواهر ثم يقولون لن يمكن في العقل وجود
سوى ما رأينا فاذا كثرت العوالم فهي من هذه الأجزاء ولم أرهم
يخومون حول ارتباطه الطبيعي .

هذه الآية تحرضنا على العلوم وانظر كيف تبعثها أخرى
كشفت القناع عن العمران الناجم عن هذه العلوم وعن سياسة
الأمة ونظامها ومحاوره عجيبة بين الرؤساء والمرؤوسين وتوصيف

ما يعتور الأُم الضالة في العقائد يقول (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ
 مِن دُونِ اللَّهِ أُندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ
 حُبًّا لِلَّهِ) الناس قسمان عقلاء يجدون في عقولهم موجدًا واحدًا
 نظم نظامًا عجيبًا واحدًا فتعشقه قلوبهم وتميل إليه نفوسهم وينالون
 من المعارف ما تمتلئ به نفوسهم فرحًا وتستنير أفئدتهم وينالون
 يقين النعيم والعقيدة الميرة للأفئدة وهى وحدة النظام وتنظيم
 مدتهم بوضع الرؤساء والمرؤسين كلا في موضعه اللائق ومكانه
 المستعد له ودرجته التى يستحقها بمحض استعداده وجده كما نظمت
 هذه الكائنات على هذا النمط ومزجت جسمًا واحدًا وشكلاً منظماً
 فبالمعنى الأول يعشق الخالق ويحبه حبا مفرطاً لحسن النظام والرافة
 والجمال والبهاء والكمال حبا لا يعتوره فتور باقيا ما بقى النظام متزايداً
 ما تزايد الاحساس بالحكمة والغرائب المدهشة وبالثانى تدوم المدنية
 وتعم الحضارة لثباتها ورسوخها رسوخ الجبال لا بل أقوى وأثبت
 وأدوم لبنائها على أس الحكمة التى بنى عليها هذا العالم وعلى
 هاتين المقدمتين ترى الآيات المتتابعة المتناسقة بعد هذه فصلت
 الامرين فقال فى المعنى الاول (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

اللَّهُ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
 وَهُمْ أَوْلَىٰكَ الْمَقْلُدُونَ لِرُؤُسَائِهِم الْعَابِدُونَ لِأَلِهِ لَا يَدْرِكُونَ سِرًّا مِنْ
 أَسْرَارِ خَلْقِهِ فَخَبِيرٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِرُؤُسَائِهِمْ وَهَكَذَا عِبَادُ الْأَصْنَامِ
 وَالْحَيَوَانِ وَالنَّارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَرَاهُمْ يُحِبُّونَ مَا عَبَدُوا لِدَوَامِ
 اعْتِيَادِهِمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ وَتَمَرُّنِهِمْ عَلَىٰ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَخُضُوعِهِمْ وَخُشُوعِهِمْ
 فَتَطِيرُ أَفْتِدَتُهُمْ شِعَاعًا وَتَقْطَعُ حَسَرَاتُ إِذَا أَهَيْنَ مَا عَبَدُوهُ وَلَكِنْ
 الَّذِينَ قَرُّوا مَا سَطَرَ فِيمَا وَجَدَ مِنَ الْعُلُومِ وَعَرَفُوا صَنَائِعَ الْعَالَمِ أَشَدُّ
 حُبًّا لِلَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُضْ دَلِيلُهُمْ وَلَنْ يَهِنَ حَبْلُهُمْ وَلَنْ يَزُولَ مَعْتَقَدُهُمْ
 أَمَّا أَوْلَىٰكَ الْوَثْنِيُّونَ فَهُمْ أَقْرَبُ زَلْزَالًا لظُهُورِ الصَّوَابِ لَهُمْ بِالْبَرْهَانِ
 وَمَا أَهْوَىٰ الْحُبَّ لِتِلْكَ الْأَوْثَانِ إِذَا قَامَ الْبَرْهَانُ وَأَشَارَ إِلَى الْمَعْنَى
 الثَّانِي بِقَوْلِهِ (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
 وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
 لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
 عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) تَهْوِيلُ لِحَالِ الظَّالِمِينَ فِي عِقَابِهِمْ
 الْجَاهِلِينَ بِمَا حَوْلَهُمِ الْمَقْلُدِينَ لِرُؤُسَائِهِمِ النَّاضِمِينَ لِمَدَنِهِمْ نِظَامًا يَدِيرُهُ

الرؤساء حسب أهوائهم لما أذعنوا لهم بالأمر وخضعوا لما يترأى
لهم على أيديهم وما يسطر عنهم من الأعاجيب المدهشة وما يختلقه
سدنة الوهم عنهم لغرض أنفسهم

يقول لو رأى هؤلاء الجاهلون ما سينزل عليهم عند حلول
النقمة بهم بتمزيق جامعتهم في الدنيا وتقطيع أفئدتهم بالحسرات
والنيران في الآخرة حينئذ يرون أولئك الرؤساء مثلهم . ما كان
ييدهم إلا تلك الأصنام والآلهة والأوهام المفتراة والضلالات
المكذوبات والسنة الطالحة . وهناك تكون الحسرات وهناك
تتقطع القلوب وتزول الألفة والجاه وتذهب أيدي سبا ويغلبها
قوم آخرون ويستعبدها الأجانب المالكون ويشغلها القاهرون
الظالمون ويضرب على أيدي سدنهم . وحينئذ يستصرخ الضعفاء
بالأقوياء كما تراه في كل أمة أفل نجمها وغاب سعداها وأدبر
عزها وأقبل ذلها يقولون هانحن أولاء استسامنا لكم صاغرين
فيما مضى فهل أنتم مغيثونا من عذاب عدو حاكم وفاتك غشوم
أقبل . فيقولون دعونا وشأننا إنما نحن أذل منكم نفسي نفسي لا نملك
لكم ضرا ولا نفعا

وهذا القول كما يصدق على عذاب الآخرة نراه ونسمعه
كل يوم في أنحاء العالم عند تفاقم الخطب وحلول الكرب في
الأمم الضالة التي سيقط بسوط العذاب إلى الخزي والدمار فيندم
التابعون ولالة ساعة مندم. يقولون . ياليت لنا رجعة إلى الدنيا ومثلها
الرجوع إلى الاستقلال في الحياة . فلنعرف أخبار أنفسنا ونفكر
لها ولا نقتل من غشوا على أبصارنا وسامونا الخسف . نسمع هذا
القول في الدنيا من عامة الدول حين يدهم بلادهم عدوهم يقولون وقد
يئسوا من رؤسائهم . لو أننا استرددنا بلادنا ماسلط علينا رؤساء
ظالمون بل أدرنا الملك بأيدينا وفكرنا لأنفسنا وجعلنا الرئيس
وكيلا لا مسلطاً ولا تظن أن هذا المقال خارج عن موضوع الآية
فإنها وقد صرحت بعذاب النار ومحاورات الرؤساء في الآخرة
فإنما ذلك صورة لما يحدث في الدنيا (ومن كان في هذه أعمى فهو
في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) فالنفوس في هذه الدنيا هي التي
في العالم الآخر وعقولها وأئمتها سواء هنا وهناك فأشار بعدها
إلى تساوى النفوس في العقول إذ قال (يا أيها الناس كلوا مما في
الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو
مبين).

﴿الجوهرة الثانية والخمسون﴾

الحادية عشرة (وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ)

ولما وصلت إلى هذه الآية بدلي أن أجعلها نهاية هذا الجزء
من الكتاب واني أضرع إلى الله أن يقدرني أن أسلك في تفسير
القرآن كله على هذا النمط الذي أشار إليه الشيخ الغزالي رحمه الله
في أجزاء تتلو هذا الجزء إن شاء الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله
تم الجزء الأول من جواهر القرآن والعلوم

تنبيه : هذا هو الذي ورد في الطبعة الأولى ومنه يستفاد
أن المؤلف كان مصمما على أن يتبع هذا الكتاب بتفسير القرآن
وسيتضح في الملحق الآتي إنه قد أتم التفسير كله بعد نشر هذا
الكتاب وستقرأ هذه المعاني مفصلة هنا

ملحق كتاب التاج المرصع

في الطبعة الثانية

قصدي بعض أصدقائي الذين يقرءون كثيراً فيما أكتبه
واطلع على ما في كتاب التاج المرصع وهو يطبع الطبعة الثانية
فقال حمداً لله وشكراً له على نعم لاحد لها وآلاء لا تعد (وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها) فنحن لانحصى نعمه في سمواته وشموسه
وأقماره وكواكبه وأنهاره وحكمه، بل لانحصىها في النعم الخاصة،
فها هي ذه الأمم الاسلامية من أقصاها إلى أقصاها أخذت تسير
على نهج واحد وطريق معبد وقد ظهر للعيان ما كنت أنت
تنحسر عليه أثناء تأليف هذا الكتاب. فانك رفعت صوتك وأنت
أسف تقول انشروا العلوم فهام أولاء المسلمون قرءوها فعلا
ولم يمس بعد هذا النداء إلا سبع وعشرون سنة وقد أبتك البشرية
من كل جانب، فالهند يترجمونه والتركيستان ساروا على نهجه
وقد علمت أن الأمة الايرانية جميعها تقرأ هذه الآراء وهكذا
جميع المسلمين من أهل جاوه والملايو وبلاد المغرب في شمال أفريقيا

والسودانيون ومسلمو جنوب أفريقيا ومسلمو أوروبا أجمعون
ولما كانت النعمة توجب الشكر (ومعلوم أن الشكر إنما
هو صرف النعم فيما خلقت له) أردت اليوم أن ألتبس منك أن
تشرح بعض ما يعوزه شرح وتفصيل في هذا الكتاب لأن
من نعم الله عز وجل أنك بقيت حياً حتى جنيت الثمرة وهي
انتشار الفكرة فهذه الحياة اليوم نعمة فليكن الشكر عليها بایضاح
تجمل في الطبعة الأولى من هذا الكتاب

ذلك أنك أولاً ذكرت في أثنائه أن كتاب القراءة المسكية
أثر في نفسك وأسفت على جهل المسلمين وتقص تعليم الصبيان
في مدارسهم ومنازلهم .

ثانياً — ذكرت أنك رأيت نسيج العنكبوت في ذلك الكتاب
ولم تر ذلك الرسم في كتب السابقين فأسفت لذلك وتمنيت
اكمال هذا النقص .

ثالثاً — ذكرت النحل والنمل والهندسة والنظام الجميل
في أعمالها .

رابعاً — ذكرت أن هذا الكتاب إنما هو مقدمة لتفسير

القرآن فبين ماذا فعلت بعد تأليفه حتى يعرف قراء الكتاب
مانعرفه نحن الذين معك دائماً فهذه أربعة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فأجبتة قائلاً:

أيها الأخ المفضل شكراً لك على تذكيري بما يتم النقص
ويشرح الصدر ويورث الاطمئنان واليقين

أيها الأخ المفضل

أما ما ذكرت من أن أمم الاسلام أخذت تسير على نهج
واحد فمن عجائب الحكم الالهية والله الحمد

إن علماء الاسلام فرقهم قديماً فتنة السياسة وظلم الملوك
والتعصب الاعمى والحرص على مقاليد الممالك وجمعهم اليوم العلم
وهذا الاجتماع لا انفصام له بعد ذلك لأن أسبابه ذهبت مع أمس
الدابر ولن تعود، والعلم اليوم هو الذي جمع المسلمين

والحق أني وأنا أكتب في أول جزء من (الجواهر في
تفسير القرآن) حين قلت في خطبة الكتاب ما ملخصه يا علماء
الشيعه ويا علماء أهل السنة ويا علماء بقية الفرق الاسلامية اقرءوا
علوم هذه الدنيا فان القرآن يوجبها وهي أوسع بما لا يتناهى من

الفقه الذي انحصرت الأفكار فيه وستجدون أن ما اختلفتم فيه
زهيد جداً بجانب ما اتفقتم عليه وهو جميع العلوم السموية والأرض
أقول ما كان ليخطر لي أن المسلمين أكثر الأمم مسارعة إلى الحقائق
والاتحاد والمحبة وها هي ذرر رسائلهم ترد لي في كل حين وقد
اتفق أن ورد لي في هذا الشهر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥١
بتاريخ ١١ شعبان من هذه السنة

خطاب من الأئمة المجتهدين بالأمة العظيمة الفارسية
اخواننا في الدين وسيأتي نصه والرد عليه قريباً وبه استبان كيف
نسخ نور العلم في بضع سنين بالاتحاد ظلام السياسة في بضع
قرون بالتفريق يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون

✽ ايضاح ما كان مجملاً في هذا الكتاب لأفصل

الكلام على كتاب القراءة الملكية ✽

اجابة لطلبك أيها الأخ وليقف الاخوان على ما أقض
مضجعي في زمن الشباب من حرمان أطفال المسلمين من الجمال
والبهجة والحب لعجائب الأرض والسماء فأقول .

إن الكتاب فيه هذه الفصول وهي (١) العنكبوت
 (٢) الطفل والطير (شعر) (٣) الأرنب (٤) عنزان (٥) المبادرة
 في الاستيقاظ بعد الفجر (٦) النحل (٧) النحل شعر (٨) الأوز
 المسمى (سوان) (٩) قول الصدق (١٠) الأمثال (١١) شعر
 يخاطب به الأطفال طائراً (١٢) الذئب (١٣) صدى الصوت
 (١٤) عم صباحاً عم مساء (١٥) قصة الببغاء (١٦) الهرة
 وعصفور الكناري (١٧) الزنبور والنحل (١٨) الحصان
 (١٩) الكلب والمصباح (٢٠) الصدق شعر (٢١) معلومات
 نافعة تختص بالحيوان الغنم والبقر والخيول وحيوانات أخرى
 (٢٢) الجمل (٢٣) حكاية عن الكلب (٢٤) النصيحة الذهبية .
 (٢٥) الحمار شعر (٢٦) النعجة وحملها الصغير (٢٧) الدب الأسمر
 (٢٨) الأسد والفأر (٢٩) الجمل أيضاً (٣٠) المحافظة مع الجد في
 العمل (٣١) الغراب والابريق هذه ٣١ موضوعاً في نحو ٦٣ صفحة
 من ١٤٢ صفحة منه وهي تدل على بقية ما في الكتاب

الفصل الثاني

فيما جاء فيه من الكلام على العنكبوت

إجابة لسؤال الكأثير الأخ وليكون نموذجاً لما يدرسه القوم في بلادهم وأنا أكتب هذا الآن وكأني أشاهد شبان المسلمين يسارعون إلى جمع ما كتبه الألمان والفرنسيون والانجليز وغيرهم لتعليم أبنائهم ويصطفون منه ما يواتي مشارب الأمم الإسلامية ويؤلفون كتباً صغيرة وينشرون التعليم خالاً بين صبيان جميع المسلمين فان الوقت أزف أنا أقول كأني أشاهد هذا وهو كالحقق عندي فلا سمعهم هذا الفصل كما وعدت فأقول :

قد جاء في هذا الكتاب تحت العنوان الآتي مانصه : —

العنكبوت



(شكل ١)

هل رأيت العنكبوت في هذه الصورة — إنها قد أحكمت صنع نسجها وجلست في مركز دائرته مستعدة أن تقتنص الذبابة .

العنكبوت تحب العمل إنها

تبتدىء في العمل من حين ولادتها كل عنكبوت تولد نساجه .
حتى صغارها تعلم كيف تنسج كما تعرف كبارها .

العنكبوت قطلم تتعلم في مدرسة لتتعلم فيها مايجب عليها .
وهكذا صغار البط تسارع إلى العوم عقب خروجها من بيضها
والطيور الصغيره تبني أعشاشها والنحل تصنع خلايا عسلها
المسدسات من غير تعليم

ن الله هو الذي أعطى هذه المخلوقات قدرة على أن تعمل
ماهى في حاجة اليه وهذا هو السبب في أنها لا تخطيء في أعمالها
لن يضارع أى نساج وأى غزال في الدنيا العنكبوت في
نسجها وفي غزلها . العنكبوت لا تستعجل في عملها

وأنها لشديدة العناية بخيطها أن تحكم تثيته ، وحينئذ ترى
مفتبطة ومعجبة لما أحسنت من صنعها

ليست كل العناكب مكبات على عمل واحد كلا وهى وإن
اختلفت في صناعاتها قد اتحدت في أمر واحد ألا وهو اتقان
الأعمال .

ن بعض العناكب تبني لها بيوتا بمقدار (الكشتبان
الكبير) وتضع لها أبوابا وتقفلها بعد دخولها فيها حتى قيل أنها



تحكم اغلاقها من الداخل احتراساً

من لص يدخل عليها

وعنكبوت الحقائق ينظر

خيطة في الهواء ولا تزال الرياح

تحرکه حتى يعلق بنبات أو غصن

شجره

وحينئذ تمر عليه كما يمر الناس (شكل ٢)

على القناطر فتعبر العنكبوت عليه من مكان إلى مكان

ومما حكى من العجائب عن ذكاء عنكبوت نجت من الخطر

بمثل هذا العمل ما يأتي

كانت عنكبوت يوماً جامعة فوق طرف عصا ترتفع عن

سطح الماء نحو قدم أو قدمين وكانت هذه العصا في جزيرة صغيرة

جداً في وسط بحر صغير فماذا تصنع تلك العنكبوت لتنجو من

الخطر ؟ نزلت من أعلى العصا إلى أسفلها عند سطح الماء ثم أخذت

تدور حولها فلم تجد لها وسيلة للخروج من هذا المأزق ولا سبيلاً

للخلاص هنالك كرت راجعة إلى قمة العصا وجثمت هناك قليلا
وكأنها تقول في نفسها حسن أنا الآن في حرز حصين ثابت
ولكن ما العمل ثم أنها شحذت بصيرتها وأعملت فكرتها وأخذت
تنشر في الهواء من غزلها خيطا طويلا وثبتت طرفه من جهتها في
قمة العصا وتركته في مهب الريح حتى اتصل بغصن من شجرة على
الشاطئ فأخذت العنكبوت تمر عليه وهي بمنجاة من الخطر حتى
نزلت إلى اليابسة سالمة. فلما سمع صاحبي العلامة ذلك قال جميل أن
يكتب هذا في الكتاب وجميل جداً أن يقال أن الأوروبيين
يعلمون صغارهم أن لهم إلهاً. وجميل جداً أن تكون هذه القطعة
وصلت ما بين عقل الأطفال في تفكيرهم كيف ينجون من الخطر
وبين تفكير الحيوان. وكيف تكون الدقة في العمل عند الحيوان.
وكيف يكون الصبر. ثم قال رباه بك أستغيث حرم كثير من
صغار المسامين جمال العلوم وحرم بعضهم من معرفتك بالطرق
الجميلة. ثم قص صاحبي على ما يأتي قال مما يحزنني ويؤلمني ما أتذكره
أنني يوماً كنت مع إخواننا في وزارة المعارف وأنا أتحدث معهم
فجاء ذكر الله واليوم الآخر فقال أحد المفتشين الذين كانوا تعاملوا

في بلاد الأنجائز كيف تتحدثون بهذه الخرافات. قال فرددت عليه
قائلاً أليست كل الأمم تقرأ خرافات وروايات شكسبير وإن
هي إلا قصص ما أنزل الله بها من سلطان وهم يقرأونها للحكم التي
فيها والمواعظ التي بها ينتقمون فهمهم ولم ينبت يثبت شفة ، فأنا
الآن متعجب كيف يكون هذا نموذج التعليم للأطفال هناك وهذا
ذهب ورجع ولا يدري هذه التعاليم

فقلت هون عليك يا صاح إن هذا تعلم الاحاد في مدارس
المبشرين مثلاً ثم ذهب إلى انكلترا وهو كبير السن ثم رجع وهو
يجهل كيف يعلم الأطفال وإن كان مرسلًا لنفس ذلك العمل فقال
لعل ذلك هو الذي كان ، ثم طلب مني أن أترجم القطعة التي
بعدها قائلاً أريد أن أعرف كيف يخاطب الأطفال الطيور بأبيات
الشعر أن هذا ربما كان عجيباً وربما لا أسألك بعد ذلك من هذا
شيئاً فقلت القطعة الثانية

الفتاة والطائر :

أيها الطائر الصغير أيها الطائر الصغير هلم إلى هلم إلى ان
عندي لقفصاً أعددت له لراحتك وإسعادك تأوى إليه وقد قطفت

الازهار الباسمة وأعددتها نزلا لضيافتك وبهجة لنفسك وأنسا
وجمالا وجنيت ثمر (السكريز) اليانع المبلل بالندى فتأكله
هنيئاً مريئاً .

الطائر : حمداً لك وشكراً أيتها الفتاة الطاهرة على حسن
عنايتك بي وحبك لاسعادى

ولكن غريزتى التى فطرت عليها وسجيتى التى أنتهج خطتها
لا تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير . إنها لتستعذب العذاب
متى كان سبيلاً للحرية . ومن ذا الذى يستبدل السجن بفسيح
الهواء الطلق النقي وإن اشتدت برودته واستبدت قسوته .

إن عشى الصغير الذى نسقته لآوى إليه فى شجرة البلوط
العتيقة أحب إلى من القفص وإن كان مذهباً

الفتاة : أيها الطائر الصغير أيها الطائر الصغير الى أين تذهب
ها هو ذا الشتاء أقبل واشتد البرد وعظم الخطب وجلل الثلج الحقول
بقطعه المتراكمة فحجبت عنك النبات وأزهاره الباسمة ، ولم يكفه
ذلك حتى أحاط بأشجار البلوط العتيقة فغابت عن العيون

أيها الطائر الصغير أيها الطائر الصغير أقبل نصيحتى وتعال الى

الطائر : لا لا أيتها الفتاة العزيزة هانذه طائرة في الهواء
مهاجرة إلى حقول أبهج خضرة وسما أوفق دفاً
إن المهجرة عند ضيق العيش سمة الأحرار والرضى بالدون
سمة الأشرار

فاذا أقبل فصل الربيع الباسم وكسا قطره الأرض بالحلل
السندسية والأزهار العطرية فهناك أعيد إلى مسامعك حلو الترنمات
وبهجة النغمات

الفتاة : أيها الطائر الصغير أيها الطائر الصغير
من ذا الذي يتولى هداك إذا ضللت سبيلك وأنت تخرق الجو
فوق التلال وفي جو البحار أيتها المغرورة هلمى إلى فاذا لم تقبلى
النصح فلتعلمى أنك ستضلين السبيل وتهوين مع الهالكين
الطائر : لا يا عزيزتى الصغيرة الله هو الذى يتولى هدايتى فوق
المفاوز والتلال وفي مخارق الجو فوق الجبال والبحار فطرنى على
الحرية فنعمت بها مطلقة السراح كنسيم الصباح لأغازل أنسات
الأشعة الذهبية وقد سقتنى حميا حبها عيناي بالراح
فلما سمع ذلك صاحبى قال .

أن هذا المقال تذكرة وجمال فأرجو أن تتبعه بفائدة أخرى
من ذلك الكتاب لتكون ذكرى للذاكرين وعبرة للمعلمين ليفتحوا
للأطفال كنوز العلم المخزونة في الطبيعة فقلت هاك بعض ما جاء في
ذلك الكتاب تحت عنوان (معلومات نافعة) في صفحة ٩٢ وما
بعدها فقد جاء فيه على سبيل السؤال والجواب ما نصه

س . إلى كم فصل تقسم السنة ؟

ج . إلى أربعة فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء

س . أي الفصول أشد برداً ج . الشتاء

س . هل الشتاء يكون في الكرة الأرضية كلها في آن واحد

ج . كلا فإن الشتاء إذا كان في النصف الشمالي من الكرة

الأرضية فإن الصيف يكون في النصف الجنوبي منها وإذا كان

الصيف في النصف الشمالي من الكرة فإن الشتاء يكون في النصف

الجنوبي منها انظر (جغرافية نيلسن) وأطلسه صفحة ٨

س . متى يكون الشتاء في أي نصف من نصفي الكرة الأرضية

ج . يكون الشتاء في أي نصف من النصفين حينما تكون

أضواء الشمس أبعد عن أن تكون عمودية على سطح الأرض

س: ما مقدار آثار ذلك على طول الأيام؟

ج: إن أقصر الأيام وأطول الليالي إنما تكون في فصل الشتاء

س: ماهيئة الجو وحاله في زمان فصل الشتاء

ج: إن الجو في الشتاء يكون شديد البرودة فيه صقيع وثلج

س: ماهو الثلج

ج: ماء يتجمد أثناء نزوله من السحاب

س: ماذا يسمى الماء الذي جمدت قطراته فصارت أشبه في

شكلها بالكرات

ج: يسمى بالبرد

س: ما منفعة الثلج

ج: منفعته أنه غطاء للأرض به تنجو البذور المبثوثة فيها من

العطب ويرتفع الضر عن صغير النبات الحديث فلا يهلكه الصقيع

س: ما فائدة الصقيع على وجه الأرض

ج: إن الصقيع يقتل كثيراً من الحشرات التي تضر النبات

ويقتل الكتل الصغيرة في الأرض حتى تصلح لأن تتغذي بها

البذور فتتمو نباتاً

وجهت أسئلة وأجوبة في أمر الثلج وكيف يلعب به الأطفال
وينزلقون عليه ويسیرون بالقباقيب على سطحه ويننون منه يوتا
صغيرة ويلعبون بكرات منه كل ذلك مناسب لبلادم ضربنا
عنه صفحا

س: إلى أين تهاجر الطيور في الشتاء

ج: كثير منها تهاجر إلى الأقطار الحارة مثل الخطاف والبلبل

س: وما تفعل تلك الطيور الباقية التي لا تهاجر

ج: إنها دائما تكون قريبا من منازلنا مستأنسة بنا

وهناك أسئلة أخرى تخص بلادم وبعدها هذا السؤال

س: من أين يأتي الفحم الذي نوقد النار فيه

ج: إنه يستخرج من باطن الأرض البعيدة الغور

س: كيف تكون حال الأيام بعد أول فصل الشتاء

ج: تكون أطول شيئا فشيئا

س: أى فصل يتبع الشتاء

ج: فصل الربيع سمي بذلك لمبدأ ظهور النبات فيه

وازدهاره ونموه

س: أى تغير يكون في نظام الطبيعة

ج : أن يخضر النبات والأزهار يبدو جمالها والبراعم تنمو
على الزرع والشجر

س : ماذا يصنع الفلاح في شهر الربيع

ج : يحرث الأرض ويبذر البذور ثم يصلحها بآلة تفتت
الحصى الذي أثاره المحراث وتغطي البذر ليستعد أن يكون نباتاً
س : كيف يكون نبات البر في أول أمره

ج : يكون أخضر كهيئة أخضرار الحشائش
س : ما الذي يساعده على النمو

ج : المطر وضوء الشمس

وجهت أسئلة تختص بالطيور في بلاد الانجليز وبلاد أمريكا
س : ماذا تكون حال الأيام من حيث طولها وقصرها في

أول يوم في فصل الربيع

ج : إن الليل يكون في مقداره كالنهار والشمس تشرق
الساعة السادسة صباحاً وتغرب في نهاية الساعة السادسة مساءً

س : أي فصل يلي فصل الربيع

ج : الصيف وهو أشد فصول السنة حرارة

س : ماذا يحصل في الحقول من الأعمال في فصل الصيف

ج : وهنا أجاب بما يناسب بلاد الانجليز من صنع الدريس
الذى هو عبارة عن حشائش مقطوعة تنشر فى الشمس ليتسنى بها
اطعام الخيل والبقر لاسيما فى فصل الشتاء

س : ماذا يكون نبات القمح فى فصل الصيف

ج : انه يكون قد تم نماءؤه وقد أصبح مصفرا لأن حرارة
الشمس قد اكملت نضجه

وهنا أخذ يسأل عن أحوال تخص الغنم فى فصل الصيف
وعن الطير وان صغارها تتعلم كيف تطير وكيف تغنى على الأشجار
وان الخطاف يرجع إلى بلادهم وقت الصيف وهنا بيان أن الحقول
والغابات فى الصيف تكون سارة لأن الأزهار تكون جميلة
بهجة والهواء يكون بهجا لطيفا والأشجار بمائها من الفى تمنع
عنا حر الشمس وبيان أن أطول أيام السنة فى هذا الفصل ثم
تكون الأيام بعد ذلك أقصر فاقصر إلى أن يأتى فصل الخريف
وهنا تبين أن فصل الخريف فيه يحصد الناس كل ما زرعوا
وينالوا نتائج أرضهم وثمار غرسهم

كان يحصدوا القمح ويذروه وهنا أخذ يبين جميع الأعمال
التي فيها يصير القمح خبزا يصلح لتعاطى الناس له ويذكر الثمار

التي يجمعونها من أشجارهم ولكن كل ذلك بالنسبة لبلادهم أما في بلادنا فإن درس القمح يكون في فصل الربيع لا في فصل الخريف ثم أخذ يبين طول اليوم فأفاد أن اليوم الأول في فصل الخريف يكون مساويا لليل كل منهما ١٢ ساعة كما مر في فصل الربيع ولكن الأيام التي تلي ذلك اليوم الذي تساوى الليل والنهار فيه تكون أقصر فاقصر بعكس ما تقدم في فصل الربيع فانه هناك يكون أطول فأطول . والليالي هنا تكون أطول فأطول بعكس ما تقدم في فصل الربيع إذ تكون الليالي أقصر فاقصر وبعد فصل الخريف يكون فصل الشتاء اهـ

فلما سمع صاحبي ذلك قال ما أحسن هذا البيان إذن يجب على المعلمين من أم الاسلام أن يبينوا الفصول ومزارعها باعتبار ما عندهم لأنه تبين من هذا المقال أن فصول مزارعهم مختلفات عن فصول مزارعنا نحن فقلت لولا خوف التطويل لذكرت الثمار والفواكه ومحصول أرض مصر شهرا فشهرها ولكن أكتفي الآن بما ذكرته في كتاب الجواهر في تفسير القرآن فانه واضح هناك كل الايضاح في المجلد الثامن عشر في السور التي بعد سورة (يس) فقال إني لمتعجب كل العجب من هذ

المقال فقلت مم تعجب فيه فقال إن المؤلف يذكّر منافع الثلج
ومنافع الصقيع فيقول إن الأول يغطي الأرض فتحفظ به البذور
وصغار النبات فيها والثاني يقتل الحشرات التي تضر النبات ويفتت
الكتل الصغيرة في الأرض حتى تصلح لامتناس البذور
فتنبت وتنمو

فهل ذكروا ذلك في كتبهم عرضاً غير قاصدين نظام الطبيعة
وهل عند القوم تعاليم دينية تجمعهم يفكرون في جمال نظام الطبيعة
أنى لما أطلعت على كتبك لاسيما الجواهر في تفسير القرآن
رأيتها كلها تحوم حول هذه الفكرة وهى النظام العام وحكمة
الخليقة وإن كل شيء لم يخلق إلا لحكمة فكنت أظن أن هذا شيء
يضاد آراء الفرنجة. فقلت يا صاح أن هذا الخاطر ورد عليك بسبب
الاساتذة الشرقيين المتعالمين تعليماً ناقصاً فإن كثيراً منهم يعلنون
ألا دين ولا إله.

فهذا يدلنا أن القوم ما درسوا علوم الأوربيين إلا عرضاً.
إن ما كتب للأطفال فيما تقدم ونقلته لك هو أمر ممتزج بتعاليمهم
وبه أمر عظماءهم وهالك ما كتبه (كانت) الألمانى الذى تدين له

المسمى (كانت في فن البيدجوجيا)

يقول في صفحة ١٠٩ وما بعدها في ذلك الكتاب ما ملخصه

إن التعاليم الدينية للأطفال يجب ألا تتجه إلى الغوص في
دقائق الأدلة والمباحث العقلية في أمر الألوهية وكيف يتسنى
لطفل لم يعرف نظام الطبيعة ولا نظام جسمه أن يفكر في أمر الألوهية
فيجب على الاساتذة أن يدرسوا لهم نظام ترتيب الطبيعة
وجماها أولا ويوسعوا معارفهم بنظام العالم ثم بعد ذلك ينقلونهم
إلى معرفة الله تعالى إلى آخره

فلما سمع صاحبي ذلك قال إن هذا القول إن هو إلا إجمال
فأريد الافصاح والتبيين فقلت إني أقسم كلامه في كتاب التربية
على الدين إلى خمسة مطالب (١) في تعليم الدين لو فرض أن الناس
ما سمعوا باسم الله عز وجل (٢) وفي الحال الحاضرة في النوع الانساني
من حيث أن الناس يسمعون اسم الله ويشاهدون من يعبدونه
(٣) وفي حقيقة الدين وفي أن الانسان خليفة الله في الأرض وأن
الانسان بصيرة على نفسه (٤) وفي ظواهر العبادات التي لاصلة لها
بالبصيرة الانسانية (٥) وفي معرفة الله تعالى بطريق الدين وانه

كل ألمانيا وجميع أوروبا وأمريكا بسبب تعاليمه فقد جاء في كتابه
يجب الاختصار فيها بخلاف المعرفة العلمية

المطلب الأول

يقول في صفحة ١٠٩ من كتابه في التربية

إذا نظرنا إلى تعليم الطفل الدين فهذه مسألة قد كتب فيها
العلماء كثيراً. لقد جرت عادة علماء الدين أن يوجهوا عناية
الأطفال إلى تعليم علم التوحيد والبحث في الله وهذا عجب
عجاب كيف يتسنى لطفل يجهل العالم الذي يعيش فيه وهو
بجسمه وبروحه أشد جهلاً وغباً (أن يعرف ربه

أهذا الصبي الذي (لا يعلم شيئاً فضلاً عما يجب عليه هو في
نفسه) يزوج به في تيماء المعارف الإلهية

نعم لو كان الطفل لم يسمع شيئاً ما عن ربه ولم يشاهد من
يعبده ويعظمه لكان من الواجب في تعليمه أن يلحق (١) نظام هذه
العوالم (٢) وجمالها (٣) والمقاصد التي خلقت لها الخلائق الأرضية
والسموية (٤) وأن هذه كلها موجّهات لسعادة هذا الإنسان
وذلك ليتمكن التلميذ أثناء تلك الدراسة من أن يحكم هو بعقله
المجرد بدون مؤثر خارجي (٥) ثم يدرس نظام هذه الدنيا كلها

قال وحينئذ يقال له أفهمت هذه العوالم وعلومها ونظامها وحينئذ
يقال له هذا كله فعل الله صاحب السلطان والعظمة اهـ

المطاب الثاني

يقول ولكن النوع الانساني في هذه الدنيا يجري على نمط
غير هذا. أن الطفل يسمع بذكر الله فيرى الناس يعظمونه فهمنا
طريقتان اثنتان الأولى أننا لا نكثر بتعليمه شيئاً ما عن خالق
العالم محتجين بأنه طفل لا يعقل ذلك كما في المبحث الأول وإما
أن يتلقى أموراً كأن يعلم الفزع والهلع من القوة الالهية تضر به
ولا يفتح له باب العلم والحكمة فاذا ترك الطفل على هذه الحال
وكبر فانه لا يعرف من ربه إلا الارهاب والتخويف والتعذيب
إذن يجب أن نعلم الطفل بعض صفات الربوبية بطريق مشوقة
اجمالا كأن يمثل له الأستاذ هذه الدنيا بدار والله هو رب تلك
الدار وجميع النامس أشبه بالآبناء. هنالك يحس التلميذ بأمرين عناية
الله بالعالم وأن النامس اخوته. إذن التعليم يجب أن يوجه إلى الأمور
الطبيعية فأما مجرد الأقوال المحفوظة بالتقليد فانها لا تفيد فأما
الأوامر والنواهي والفضائل المرغوبة والردائل المنبوذة فهي تعاليم
دينية أدبية وهي غير معرفة الله التي كلامنا فيها الآن. وبالاجمال

يجب أن يعرف الأطفال ربهم بضرب الأمثال كما تقدم. فإذا كبروا
وجب أن يدرسوا نظام هذه الدنيا بالعلوم المعروفة ثم يعلمون أن
هذه القوانين والمعائب تدار بالصانع الحكيم بهذا تم المطلب الثاني

المطلب الثالث

يقول ليس المدار على ظواهر الدين إنما المعول عليه ضمائرنا
إن لكل امرئ في هذه الدنيا نورا في قلبه منبعثا من الحضرة الالهية
(بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) وهو خليفة الله.
الله الأمر الناهي وهو الذي جعل لنا ضمائر في نفوسنا بها صرنا خلفاءه.
إن الانسان إذا لم يستضيء بنور بصيرته فأظلمت فان الدين
عنده يصبح حيلة بها يحتال لطلب الرزق. إن الصلاة وجميع
الادعية الدينية يجب أن تكون موجهة نفوس المصلين إلى الترقى
والتقدم والفلاح وإلى تقوية نفوسهم في أعمالهم وازدياد شجاعتها
في فعل الخيرات وبالأقل حثها على تأدية الواجبات المفروضة عليها
هذا هو القصد الحقيقي من تلك الصلوات. ان الطريق الحقيقي
الموصل لله إنما هو أن نكون رجالا كاملين. وإذا علمنا الطفل دينه
وجب علينا أن نفهمه أن في نفسه واعظا آمرا ناهيا هي بصيرته
ونقول له نعم ان الله أمرنا ونهاها فوجب علينا طاعته ولكن الرجل

الصالح الممدوح والطالح المذموم رفعتهما وضعتهما صفتان لهما طبيعتان من انفسهما. وكل ما جاء به الدين راجع لصفات نفوسنا حقارة وشرفا. فالفاسق في نفسه وضع والصالح في نفسه شريف كلاهما يحس بما انصف به ذلا وعزا وخسة وشرفا. لاسعادة في الحياة بغير شرف ولا شقاء إلا بسفاسف الأمور. إذن الفاسق ضميره يزجره والصالح مرتاح الضمير إذن العذاب والنعيم يتدثان في هذه الحياة ويجب أن يفهم التلميذ أن عذاب الفاسق ونعيم الصالح أمران حقيقيان لأنهما يجريان على نوااميس صادقة هذه هي التعاليم التي يجب أن يتلقاها الأطفال في أول حياتهم وليس من الحق في شيء أن يزج بهم في غمار علم التوحيد والبراهين والجدل والخلاف إلا بعد أن تنضج عقولهم وليس يفيد علم التوحيد شيئا من تربية الوجدان

إن بصائرنا (إذا لم نحس في نفوسنا بأنها نور من الله وأنه جعلها فينا لوعظنا وإرشادنا وأنها خليفة في هذه الأجسام) لا يكون لها أثر البتة في ارتقائنا وإسعادنا وتهذيبنا. إن الله عز وجل هو الذي يتجلى علينا في كل وقت وهو نفسه الذي قذف في قلوبنا أن يكون لها الحكم علينا فنساء لفعل الشر ونسير لفعل الخير

إن الدين بغير الوجدان والبصيرة لا أثر له البتة ، إن الدين
بغير البصيرة أشبه شيء بلغوا الحديث

إن من الناس من يعبدون الله ويعظمونه قوة وحكمة وهم
لا يفكرون في أوامره التي أمر بها ولا في ضمايرهم التي جعلها هو
خليفة له عليهم بل لا يعرفون شيئاً عن قدرته وعلمه اللذين
لا يدركان إلا بدراسة نظام هذه الدنيا

المطلب الرابع

في ظواهر العبادات

يقول أن هؤلاء الذين يصلون وقلوبهم غافلة تكون تلك
الصلاة أشبه بمخدرات لبصائرهم أو كأنها مهاد ينامون عليها نوماً
عميقاً وهم هادئون . ليكن أكثر تعليم الأطفال أن يكفوا عن
الشر فإن التحلية مقدمة على التحلية

إن التلاوة البليدة للأقوال الدينية لا تنتج إلا أن يفهم الناس
التقوى والصلاح معكوسين ، إن الطريق القويم لأعظام جلال
الله أن نفعل فعلاً يرضاه وهذا هو الذي يجب أن نعلمه لأطفالنا .
ونأمرهم بفعله وهاهنا أخذ يلوم أولئك الذين يذكرون اسم الله

في الامور الاعتيادية كالتهنئة لبعض الاصحاب أو نحو ذلك وقال
أن هذا سوء استعمال لذلك الاسم المقدس
إن جلال الله يجب أن يملأ القلوب في كل زمان ومكان متى
سمع اسمه ويجب أن لا يذكر إلا نادراً (كذا) ويكون مصحوباً
بالعظمة .

يجب أن يعلم الطفل كيف يشعر بعظمة الله من حيث أنه
معطى الحياة وخالق الدنيا كلها وفوق ذلك أنه هو القائم على
نفوس الناس الحافظ لهم وأخيراً هو الحكم العدل
لقد علمنا في التاريخ أن الفيلسوف نيوتن لم يكن ليذكر اسم
الله إلا بعد أن يتوقف فترة حتى يتروى في ذلك
ليوضح للأطفال تلك العناية العالية من الله الى كل حيوان
صغير وكبير وليغرس في نفوسهم العطف والرأفة بتلك المخلوقات
الضعيفة فلا يعذبونها وليبين لهم أن فيما يظهر لنا (باديء الرأي
أنه شر) خيراً كثيراً فهذه الطيور الآكلات للحشرات والدود
كأبي قردان خلقت لتنظيف الأرض مما يضر الزرع فيعيش عليها
الحيوان والانسان وجعلت نموذجاً للنشاط وعمل الخيرات

ويستنتجون من ذلك أن الله عز وجل لا يبقى الا الأصلح
للوجود فرجال سوء هالكون لاحالة كتلك الحشرات
المأكولات .

المطلب الخامس في تعليم الدين للأطفال

يقول في صفحة ١١٥ أن من مزايا تعليم الاطفال الدين
وصفات الربوبية أنهم إذا رأوا أناساً يصلون أو يذكرون الله
فإنهم إذ ذاك لا يتساءلون فلا يقولون ماذا يفعلون ولمن يصلون
إنما يجب أن تكون المعلومات الدينية عن الله مختصرة وإلى
التخلية والنفي أقرب منها إلى التحلية والإثبات أى أن تكون
صفات التنزيه هي الغالبة (يريد بذلك أن يكون بالتفكر في
مصنوعات الله لا في ذاته)

وعلى المعلمين أن يبتثروا في أذهان الأطفال ألا يحتقروا أحداً
لاعتناقه ديناً يخالف دينهم الذي نشأوا عليه ، إن الأديان مبسوطة
في كل مكان في الأرض اه ما ترجمته من كلام كانت الالمانى من

فقال صاحبي ما ترى في مقاله فقلت :

أما قوله أن تعليم معرفة الله لا يتم إلا بقراءة نظام هذه الدنيا والإلمام بجميع العلوم فهذا هو الذي نشرت لأجله الكتب في بلاد الإسلام ، وأما قوله أن الصلاة والدعوات التي لا يصحبها حضور قلوب المصلين والداعين تنيم بصائرهم فهذا موافق لقوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر والقلوب عن معانيها غافلة ، فهذا أيضاً حق والذي أوضح لي ذلك في شبابي إنما هو الإمام الغزالي في الإحيا وهو يشبهه في هذا المقال

فأما أن الانسان لا يذكر الله إلا قليلاً إعظاماً له فهذا يجري على ما درجت عليه الصابئة قديماً وأوضحناه في التفسير فقد كانوا لشدة إعظامهم لله لا يذكر اسم الله بل فوق ذلك يعبدون الكواكب إعظاماً لمقامه أن يذكر على ألسنتهم فهم في هذا أشبه بمتأخري المسلمين في أعظام دين الله أن يدخل فيه علم الطبيعة الذي هو كفر وكلاهما واقع في الإفراط والتفريط الإفراط في الأعظام وتفريط في الواجبات فليذكر الناس ربهم بالأعظام كثيراً لا نادراً (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

وليدرسوا نظام الطبيعة فهو الذي به يعرف الناس ربهم
بل يجهل الطبيعة لا نعرف جمال صانع العالم. واحتراس كانت ونيوتن
من ذكر الله إلا نادراً ناشئ مما تأثر به أسلافهم الصابئون عبّاد
الكواكب قبل دخول الدين المسيحي عندهم هذا أصل السرفى
ذلك المقال :

فقال صاحبي عجباً عجيباً وأخذ يضرب كفا على كف فقلت
مالك يرحمك الله فقال

نحن في بلاد الشرق كاليتامى لا كافل يكفلنا ولا قريب
يلحظنا إنا لله وأنا إليه راجعون فقلت له مالك يرحمك الله
فقال لقد تولى أمرنا ثلاث طوائف من المسيطرين على عقولنا
رجال الدين وشيوخ الصوفية والمتعلمون في مدارس الشرق
والغرب الناشئون في بلاد الاسلام .

أما رجال الدين وهم القائمون بأمر الشريعة فان بعضهم إلى
الآن لا يزالون يبرئون من معرفة هذه العوالم من سموات وأرضين
جهلاً منهم وغروراً ولكن هؤلاء أخذوا يقلون في هذا الزمان
وأما رجال الصوفية فان أكثرهم يكتبون بالأوراد والأذكار

وتقليد شيوخهم ويغمضون أعينهم عما حولهم من عجائب الأرض
والسماء وهؤلاء غافلون ومنهم قوم كاملون نافعون وقد أخذوا
يكثرون في هذا الزمان ومنهم من لهم قدم صدق في نفع الأمم
الاسلامية والحمد لله.

وأما المصيبة العظمى والداهية الكبرى فهم أولئك المتعلمون
تعلماً ناقصاً في ديار أوروبا أو في الشرق فهؤلاء يظهرون أنهم
أبرع من الأنبياء وأن الديانات خرافات فهؤلاء شر على الشرق
من القسمين السابقين.

يسندون كلامهم إلى فلاسفة أوروبا ويجهلون أراء أمثال
نيوتن وأمثال كانت الذي اسمعني ما نقلته عنه. أن دراسة كل العلوم
وكل العوالم هي الموصلة لمعرفة جمال الله وإن صغار علماء الدين
والجهال من شيوخ الصوفية يزهدوننا في العلوم والمتعلمين نصف
تعليم عصرى يزهدوننا في الدين.

ومن عجيب أني سمعت كثيراً من أهل العلم حينما كانوا
يسمعون أنك توضح أمر الحشرات وأمر الطيور وعجائب
الطبيعة في كتبك لا سيما في تفسير الجواهر يسخرون ويقولون

ماهى الحشرات وماهى الطبيعة. أهذا دين. فها أنا ذا قرت عيني
حينما سمعت كلام كانت فلم أتحسر على بلاد الاسلام ولا على
المسلمين لأن ما تكتبه وما يكتبه الكاتبون في زماننا سيكون له
أثر في بلاد الاسلام إن شاء الله تعالى فقلت الحمد لله رب العالمين .
ثم سكت قليلا وقال لقد ظهر الحق واستبان السبيل كنا نظن
هنا في الشرق إن أمثال ما نقلته أنت من كتاب القراءة الملكية
اليوم من إظهار حكمة الثلج ومنافعه للبذر والنبات وحكمة ابادة
الصقيع للحشرات وهكذا . رمية من غير رام . وما كنا نظن أن
ذلك مبنى على تعاليم حكائهم وانهم بهذا يستشعرون عظمة ربهم وهم
لا يزالون أطفالا حتى تبين اليوم في كلام كانت الألمانى الذى نقلت
عنه هذا المقال فبهذا علمنا أن القوم لهم تعاليم مبنية على وصايا
حكائهم وفلاسفتهم ومن ذا الذى كان يظن أن هذه العجائب
تدرس لمعرفة الله فى أوروبا التى يشيع عنها أنصاف المتعلمين
الشرقيين انه لا إله ولا دين هناك وإن الرقى تابع لانكار الله
والأنبياء .

يجب أن يستيقظ الشرقيون وليحترسوا من كل متعلم تعليما
ناقصا من الشرقيين

﴿ معجزات القرآن في العلم ومقال كانت الألمانى ﴾

ان محصل مقاله كانت ونقلنا ملخصه هنا يرجع إلى تفسير آيتين من القرآن وحديث سيأتى ذكرها

فهاهو ذا كانت يقول فيما تقدم ان لدينا ثلاثة أحوال للنفوس الانسانية ، حالان غريزيتان وحال صناعية ، أما الحالان الغريزيتان فهما أولاً البصيرة التى كمنت فى كل امرئ فهى تأمره وتنهاه وهى نور من الله فهذه إذا أغفلها الانسان فقد شقى شقاء لا حد له وهى ترجع إلى المعاملة والأخلاق

ثانياً البصيرة التى تظهر للخاصة الذين نظروا فى نظام الدنيا وجمالها فهو لاء وحدهم هم الذين يعرفون موجود هذا العالم إذن العامة تكفيهم البصيرة التى غرسها الله فيهم من نوره والخاصة عندهم هذه وقد اتصلوا بموجد هذا العالم لأنهم درسوا نظامه

فأما الحال الصناعية فهى أكثر الديانات فى الأرض فهذه إنما هى طقوس وزخارف وخرافات يقول فاذا لم يصحب هذه الظواهر تانك الغريزتان أو أولاهما على الأقل فان الانسان إذ ذاك يعيش فى جو من الخرافات والأباطيل ولا جرم ان هو هذا قوله

تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله - وهذه هي الغريزة الأولى - ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك لأن طقوس ديانات أكثر أهل الأرض تغطي هذه البصيرة

ولما كان الانسان قد يعتذر بظواهر الديانات والخرافات أوضحه في آية أخرى فقال (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) وهذه المعاذير هي ظواهر الديانات والطقوس وزخارف رؤساء الدين وظواهر الفتاوى ، وهذا كله يوضحه حديث كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وملخص هذا كله قوله تعالى في القرآن (بل هو آيات بينات وفي صدور الذين أوتوا العلم) وهذا حق لأن كانت الذي يقول هذه الحقائق قد استمدتها من النور الالهي وهو لا يعلم أن هذه المعاني في القرآن ، فإذا ساءك أيها الأخ بعض المتعلمين تعليماً عصبياً فاعلم أنهم لم يدرسوا من علم حكماء أوروبا إلا ذم الخرافات والطقوس في الديانات فظنوا أن كل دين مذموم فقالوا ان الاسلام أيضاً خرافات فنشروا الفكرة وهم لا يعلمون ونسوا أن القوم

لا يقفون عند ظواهر خرافات دياناتهم بل هاهم أولاء يقولون
لنا بصائر ترشدنا إلى فعل الخير مستمدة من ربنا ولنا عقول تدرس
نظام الطبيعة وجمالها فتعرف ربها فنحن ان كذبت ديانا تنا فلتصدق
عواطفنا ولتصدق عقولنا ، فبعض هؤلاء المتعلمين الشرقيين أراحوا
أنفسهم من كل دين ، ومن كل بصيرة ، ومن كل حكمة ، فهؤلاء
ينطبق عليهم قوله تعالى (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)
وقوله تعالى (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ان من
أعجب العجب أن يكون قول (كانت الألمانى) منطبقاً تمام الانطباق
على آراء علماء التوحيد يقولون ان معرفة الله لا تكون إلا بالعقل
وكل من نظر في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد
فهو يقول ان دياناتهم خرافية ويأمر بالرجوع إلى نظام الطبيعة ،
وهذا هو نفس ما عندا كبار علماء الاسلام ويقول أيضاً اننا
لا نجعل قلوب الصغار تهلع وتفزع من ربها وهذا هو قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم المذكورة في أول كل سورة وفي كل صلاة
وفي القرآن « ٧٥٠ » آية كلها في عجائب الحكمة الالهية وعجائب
الخليقة وهى الرحمة بعينها واحمد الله إذ وفقنى لشرح تلك العجائب

والرحمات شرحا كافيا في كتيبي لاسيما كتاب الجواهر في تفسير القرآن اهـ .

فلما قرأ هذه المقالة صاحبي قال حسن أمثال هذا المقال
وجميل أن من المسلمين من خطوا خطوات في هذه السبيل ولكن
أكثرهم يعلمونها أما على أنها خارجة عن الدين وإما أن يكون
المعلم غير متأثر ولا مقتنع بما يقوله للتلاميذ فتذهب المعاني أدراج
الرياح . أما قراءة الناس أمثال هذا المقال فانهم بذلك لا جرم
يسارعون إلى التأليف والتصنيف ونشر الكتب والثقافة بين
الصبيان في سائر البلاد والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
إن المحاورة بين الفتاة والطائر تعطى الأطفال درسين
درس الحرية ودرس معرفة الله ومن أعجب العجب أن بعض
الفرنجية يحجبون عن كثير من الشرقيين نعمة الحرية التي بها
يستمتعون ويصرفون قلوب أطفالنا عن معرفة الله وأهل الشرق
نائمون وقد استيقظوا اليوم وسيعملون .

هذا واني أراك قد أعطيت هذا المقام حقه بحسب ما يقتضيه
المقام فأرجو تفصيل الكلام على العنكبوت والنحل والنمل .

الفصل الثالث

فقلت أيها الأخ أليس ما مضى بكاف في وصف العنكبوت.
فقال كلا فليكن التفصيل أتم والكلام أعم حتى يقف الناس
على النموذج الذي سلكته في كتاب الجواهر في تفسير القرآن .
فقلت إذن نكتب جميع ما جاء على النمل في سورته وجميع
ما جاء على النحل في سورته وجميع ما جاء على العنكبوت في سورته
فقال لو أن هناك موضوعا واحدا للجميع لوجب أن يكون
أحق بالذكر في هذا المقام .

فقلت أن أول سورة الرحمن جمعت هذه العجائب كلها
بصورها الشمسية وفيها الكلام على هذه الحشرات وعلى الأحجار
الشمينة وعلى بهجات العلوم وغاية النظام تفسيراً لقوله تعالى ووضع
الميزان ألا تطفوا في الميزان والوزن هناك قسمان وزن إلهي في
الخليقة ووزن حيواني في السليقة وسأبين المقامين ولابدأ أولاً
بتفسير بعض آيات من سورة الرحمن ثم أقفى ببحث في الميزان
الرياضي وكيف كانت موازين الناس مستمدة من ميزان السموات
والأرض ثم أتبعه بميزان الخليقة ويتلوه ميزان الحيوان بالسليقة
فهذه أربعة مباحث .

﴿ المبحث الأول ﴾

(في تفسير بعض آيات في أول سورة الرحمن)

الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَكَاكِمَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبَائٍ
آلَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان) أى علم
محمدًا القرآن ومحمد علم أمته ، خلق جنس الإنسان وميزه عن
سائر الحيوان بالبيان ، وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما
أدركه ، وهذه الجمل الثلاث خلت من العاطف وجعلت أخبارا
مترادفة للرحمن على نهج تعداد الذم كما تقول زيد أغناك بعد فقر ،

أعزك بعد ذل ، كثر ك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعله أحد بأحد ،
فما تنكر من إحسانه ، كأن كل واحد من هذه المعدودات يصح
أن يكون كافيا في حفظ الجميل ، وانكاره وحده كاف في نعت
المنكر بكفران النعمة (الشمس والقمر) يجريان (بحسبان)
بحساب معلوم مقدر في بروجها ومنازلها ، وعلى مقتضى هذا
النسق تنتظم أمور المخلوقات السفلية والفصول والسنون وجداول
الحساب ، ولما كان النبات الذي ينجم من الأرض المسمى بالنجم ،
وهو مالا ساق له ، والشجر وهو الذي له ساق (فالأول كالحنطة
والثاني كالنخل) من جملة العوالم المرتبة على سير الشمس والقمر
وحسابهما ، وبذلك الحساب انتظم أمر سائر النبات بحيث يزرع
في فصل مخصوص ، ويحصد ويؤخذ ثمره في فصل مخصوص ،
وينمو على مقتضى حركات الشمس والقمر والنجوم أردفه الله
تعالى بذكر ذلك فقال (والنجم والشجر يسجدان) ينقادان لله
فيما يريد منهما طبعاً كما ينقاد المكلفون اختياراً ، وهذا الانقياد
ظاهر ، ألا ترى أن الشجر والزرع لا يخرجان عن نظام سير
الكواكب ولا يفتران عن نهج الشمس في مسيرها ، ثم انظر

أيضا كيف كان الشكل والهيئة واللون والمقدار والطعوم والروائح
جارية بقدر ، سائرة لغاية ، كل هذا سجد وطاعة للمسخر الذي
نظمها . واعلم أن ظاهر النظم يقتضى أن يقال « علمه البيان » ،
أجرى الشمس والقمر بحسبان ، أسجد النجم والشجر ، ورفع
السماء ، ووضع الميزان الخ ولكنه عدل عنه ليمتاز البيان عن
المبين (بالفتح) .

وإيضاحه أن النوع الانسانى عرف اللغات والفهم والافهام
وأودع في غريزته الاستعداد لكل العلوم ، فاللغات المختلفة في
الأرض التى أبلغها بعضهم إلى أربعة آلاف لغة كلها علمها الله
للانسان للبيان والفهم والافهام ، فكل قوم لهم لغة ، ولكل قوم
كتابة ، فماذا يكتبون وماذا يقرءون ، وما الذى عنه يعبرون ؟
فلذلك ذكر الشمس والقمر وما بعدهما تبيانا للمعبر عنه والمبين
بعد أن ذكر البيان ، هذا هو السبب في تغيير نظم العبارة ، وانما
بدأ بالشمس لأنها مبدأ الحياة على وجه الأرض وبدونها لا حياة
فيها كما تقدم شرحه (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة
(ووضع الميزان) العدل والنظام الذى مر شرحه في أغلب سور

القرآن بحيث كان حساب سير الكواكب ، وحساب أجزاء
النبات الداخلة في تركيبه ، وحساب الأحجار الساقطة المحسوبة
بالتربيع كما تقدم في (سورة آل عمران) وحساب الجسمين المتجاذبين
كالفيلين على سطح الماء المتقاربين بحساب التربيع أيضاً وحساب
البندولين المختلفين طولاً بحيث يكون الأقصر أسرع اضطراباً
من الأطول على نسبة عكسية تربيعية ، وهكذا مما شرحناه لك
في التفسير وهكذا نظريات (نيوتن) و (كلير) التي أبانت
المثلثات المساحية عند جرى الكواكب بحيث تكون متكافئة
في الأزمان المتساوية مع اختلاف الأقواس المقطوعة صيفاً وشتاءً ،
فيكون القوس الذي تقطعه الشمس في الشتاء وهي مسرعة أكبر
من القوس الذي تقطعه في الصيف وهي في الرأس مبطئة مع أنهما
متساويان مساحة كما تقدم أيضاً موضعاً مرسوماً فارجع إليه ،
كل هذا وكل علم الفلك ، وكل علوم الطبيعة ، وكل نظام
الموسيقى الذي تقدم في (سورة يوسف) وكل قواعد العلوم ،
وكل قواعد الشعر التي تجري على نسق واحد موسيقى كما في بحر
الطويل إذا لم تدخله العلل ولا الزخافات يكون ١٢ سبباً و ٨

أوتاد ، والمجموع ٤٨ حرفاً ، والسوا كن بالنسبة للمتحرركات هكذا
 ٥ - ٧ - ١٠ - ١٤ - ٢٠ - ٢٨ فتكون المتحرركات ٢٨
 والسوا كن ٢٠ ومعلوم أن حاصل ضرب الوسيطين يساوى حاصل
 ضرب الطرفين - كل ذلك داخل في الميزان ، إن الميزان هنا
 لا يفهمه إلا من درس جميع العلوم ، ومن قرأ هذا التفسير كله
 فقد عرف الميزان ، واذن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر
 وقوله (ألا تطفغوا في الميزان) أى لئلا تطفغوا فيه ^(١) ولا تعتدوا
 ولا تجاوزوا الانصاف ، فاذا نظمنا ملكنا بحيث جرى على تلك
 النسبة المنظمة فإن ذلك يدعوكم لنظام أعمالكم اقتداء بسنتنا وسعيًا
 في رقي نظامكم ، وتحسين أعمالكم وأخلاقكم (وأقيموا الوزن
 بالقسط ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى
 لأنه المقصود من وضعه ، وإنما كرره مبالغة في التوصية ، ولأن
 كل واحد من العدل في الميزان ومن النقص ومن الزيادة مرغوب
 ذكره للقيام به في الأول وللتنأى عنه في الأخيرين (والارض

(١) أن مسألة الميزان ونظام الحياة التابعة لنظام الافلاك تقدم في سورة
 يونس شرحها بأثر مما ستراه هنا . فهناك ترى رسم الهرم وشرحه فضلاً
 عن حسابه .

وضعها) خفضها مدحوة (للأنام) للخلق (فيها فاكهة) ضروب
لما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) أوعية الثمر التي يكون فيها
الثمر، لأن ثمر النخل يكون في غلافه وهو الطلع ما لم ينشق،
وكل شئ ستر شيئاً فهو كم، ولذلك قال بعضهم: الاكمام ما يكم
أى يغطى من ليف وسعف وكفرى، فكل ما يغطى وكل مغطى
به ينتفع الناس به كالجدع والجوار والثمرة، (والحب ذو العصف)
الحب كالحنطة والشعير والذرة والأرز، والعصف ورق النبات
إذا يبس والتبن (والريحان) هو إما الذى يشم، وأما الرزق من
قولهم خرجت أطلب ريحان الله أى الرزق (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) أيها الثقلان الإنس والجان، الآلاء جمع إلى وهو النعمة
وإنما خاطب الثقلين لدلالة الانام عليهما، والانام الخلق، وكل ذى
روح: أى فبأى نعم من هذه النعم المذكورة تكذبان أيها الثقلان؟
وهذه الآية كررت فى أحد وثلاثين موضعاً من السورة تقريراً
للنعمة وتأكيذاً للتذكير بها، فتراه عدد نعمه على الخلق، وفصل
بين كل نعمتين بما يذكّرهم بها ويقررهما، فاذا قال الرجل لمن أحسن
إليه بنعمة وهو يكفر: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟

ألم تكن عريانا فكسوتك ، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن خاملا فعرزتك
أفتنكر هذا ؟ وهذا كثير في كلام العرب شائع ؛
هكذا يقول الله هنا : ألم أخلق الانسان وأعلمه البيان :
وأنظم الشمس والقمر بحسبان ، وأنوع الشجر ، وأبدع الثمر ،
وأعمهما في البدو والحضر ، لمن آمن وكفر ، واسقيهما تارة بالمطر
وآونة بالجدول والنهر ؟ أفتنكرون أيها الناس والجان هذه النعم ؟
فبأيها أنتم مكذبون ؟

المبحث الثاني

في ميزان العوالم العام الرياضي

لأذكر نبذة مما جاء في كتاب الجواهر في تفسير القرآن
في أثناء محاوره بين المؤلف وبين صديق له وهذا نصها قال المؤلف
ج — إن الارض ليس يضبط محيطها كما يضبط محيط مدار
الشمس ، فلما كان العالم العلوي أضبط وأبقى جعله أولئك الفلاسفة
مقياساً لنا : أي جعلوا منه الرطل المصري والكيلو والفدان والقيراط
وما أشبه ذلك مصداقاً لقوله تعالى : « ألا تظفوا في الميزان »

أى أنا وزنا السماء وقدرناها وحسبناها وضبطناها في حركاتها
لئلا تزيدوا في موازينكم كالقناطير والأرطال ، ومكاييلكم
كالأردب والكيلىة ، ومقاييسكم كالقدان والقيراط ، إن هذه
كلها مبنية على نظام شمسنا ، ولو اختلف نظام مدارها لم يضبط
لكم كيل ولا ميزان كما لا تضبط أعمالكم إذا تقدم كوكب عن
أوانه ، أو طلعت الشمس أو القمر قبل إبانها

س - هذا قول عجيب لا أفهمه أوضحه لى ، فاذا عجبت من
جهل الناس فلا تعجب إذا عجب الناس من غموض قولك .

ج - حياك الله : مهلا . إن الفرنسيين الذين جعلوا وحدة
المقاييس ترجع إلى محيط الأرض إذ جعلوا المتر جزءاً من ٤٠ مليوناً
من محيط الدائرة الأرضية قد وقع الخطأ في عملهم ، فانهم رأوا بعد
ذلك أن محيط الأرض ليس ٤٠ مليوناً بل يختلف اختلافاً بينا ،
فاذا اختلف الناس في المتر فيما بعد فالأمر يرجعون ، أما قدماء
المصريين فانهم قاسوا مدار الشمس السنوى بالحساب العالى فبنوا
الهرم الأكبر على أن محيطه جزء من مليار جزء من محيط مدار
الشمس السنوى : أى جزء من ألف ألف ألف جزء من ذلك

المحيط ، وارتفاعه جزء من ألف ألف ألف جزء من البعد بين الشمس والأرض : أى مليار وضعف الارتفاع المذكور يساوى قطر محيط دائرة مساوية لمحيط الهرم ، فالارتفاع نفسه كما تقدم يساوى جزءا من مليار من البعد بين الشمس والأرض ومحيط الهرم يساوى جزءا من مليار من الدائرة التى تدور عليها الشمس التى ذلك البعد نصف قطرها .

وعليه يكون ضلع الهرم مساويا لجزء من ربع مليار من محيط الدائر الشمسية ، ومعلوم أن الضلع المذكور يساوى ٤٠٠ ذراع بلدى ، أو ٣٦٠ هنداسة ، فيكون الذراع البلدى واحداً من مائة مليار من محيط الدائرة الشمسية . أى جزء من مائة ألف ألف جزء من ذلك المحيط ، ثم أن ربع الذراع البلدى المكعب يسع ألف درهم من الماء المقطر ، وكل إثني عشر درهما أوقية ، وكل ١٢ أوقية رطل ، فالرطل ١٤٤ درهما ، والقنطار مائة رطل ، وعليه تكون المقاييس منها عشرى ومنها ذو الاثنى عشر ، والأردب ذراع بلدى مكعب ، فتعجب كيف كان الأردب ذراعا مكعبا منسوباً إلى ضلع الهرم ، فهو جزء من ٤٠٠ منه ، أو واحد

من مائة ألف ألف جزء، من محيط الدائرة الشمسية . ألا ترى
كيف قسنا ووزنا وكلنا على نسبة محيط الشمس

إن الفدان عبارة عن $100 \times 100 = 10000$ عشرة آلاف
هنداسة ، فطوله ١٠٠ وعرضه ١٠٠ وهو نسبة عشرية ، والهنداسة
جزء من ٣٦٠ جزءاً من ضلع الهرم المنسوب لربع محيط الدائرة
الشمسية فأصبح الفدان منسوباً بقياسه للدائرة الشمسية ، أليس
هذا بعينه قوله تعالى « ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان » فأمر بالاعتدال ، وألا ننقص وألا نزيد في
وزننا ، ولا في كيلنا ومساحتنا ، كل ذلك على حسب مدار الشمس
واعلم أن الذراع النيلى $\frac{1}{4}$ من الهنداسة فيكون ضلع الفدان
١٢٠ ذراعاً نيلياً ، والفدان ١٤٤٠٠ ذراعاً نيلياً ، ويكون القيراط
٦٠٠ والسهم ٢٥ والدانق ١٠٠ — فالذراع النيلى والهنداسة كلاهما
بمسحان الفدان $100 \times 144 = 14400$

هل يدري ذلك الفلاح الذى يبيع قطنه بالقنطار أن للقنطار
نسبة إلى مدار الشمس فى السماء ؟ هل يعلم أن القنطار المنقسم إلى

أرطال إلى دراهم ، أن تلك الدراهم منسوبة إلى الذراع البلدى الذى
إذا كعب رבעه وسع ألف درهم ، وإذا كعب هو وسع ٦٤ ألف
درهم ، وأن هذا الذراع البلدى جزء من أربعائة من ضلع قاعدة
الهرم ، وأن ضلع قاعدة الهرم جزء من ألف ألف ألف جزء من
ربع محيط دائرة الشمس حول الأرض ، وأن هذا المحيط أحد
المحيطات التى للشموس العظيمة التى لا يعلم عددها إلا الله ، وهل
الفلاح الذى يقيس أرضه بالقصبة يعلم أن هذا الفدان يساوى عشرة
آلاف هنداسة ، وأن الهنداسة جزء من ثلثمائة وستين جزء من
ذلك الضلع المنسوب لمحيط الشمس

﴿ المبحث الثالث فى ميزان الخليفة ﴾

وفى هذا الفصل (١) نظام الأحجار الثمينة (٢) الزمرد
(٣) الياقوت الأزرق البلورى (٤) والزمرد البلورى المركب (٥) وبرل
ذو الخطوط الطويلة (٦) وكوارتز البلورى ذو الخطوط العرضية
المقاطعة (٧) وتدرج السمك فى نموه مصوراً بالتصوير الشمسى .
جاء فى كتاب الجواهر فى تفسير القرآن بعد كلام طويل فى
الكلام على هذه الآيات مانصه :

(١) فأبتدىء بذكر حقائق الجماد بوصف بعض الأحجار
الشمينة .

(٢) ثم أقفى بالاشارة إلى نظام النبات .

(٣) ثم أذكر بعض الحيوان الذى يعيش فى البحر .

(٤) ثم أقفى على آثاره بعجائب خلق الحيوان الذى يعيش فى
البحر صغيراً ، وفى البر كبيراً ، وهو الضفادع التى يرى العاقل فى
نموها وتدرجها من العجائب ما تخر له العقلاء سجداً من تلك المادة
الهلامية التى تحيط بالبيض وتأخذ فى رفعه كلما زاد نموه حتى تصل
به إلى سطح الماء فيكون إذ ذاك قد فقس البيض ، فأما المادة
الهلامية فإنها تنحل بتدبير آخر وإبداع عجيب .

(٥) ثم أقفى بذكر بعض حيوان البر وأبتدىء بالغنكبوت ،
وأبين كيف يبتدىء فى نسجه وهيئة سيره فيه مما لم يتقدم له نظير
حتى تعلم أيها الصديق أن تلك العناية التى أحاطت بأجسام الحيوان
نفذت إلى إدراكه وغرائزه فأخذ ينظم أعماله كما نظمت هيئة جسمه
وكأنه تلميذ تربي فى معهد جسمه المنظم فأخذ ينسج على منواله .

(٦) ثم أتبعه بذكر عجائب النحل وابداعه في عمله مما لم يسبق له
نظير فيما مضى ، وكيف كان منه بناء ونساجون ونجارون وغيرهم
(٧) ثم أذكر ما يقرب منه وهو الزنبور ، وكيف يغلف عشه
بما يشبه الورق فيكون ذلك الغلاف سببا لدفع صغاره داخل
خلاياه التي بناها ونظمها.

(٨) ثم أختتم المقام بذكر النمل وعجائبه التي لم يسبق لها نظير
مثل النجارين منه والبنائين الذين يبنون أبراجا ستري بعضها قريبا
وإليك تفصيل ما أجملناه :

فأولا لا أقف عند ما في الجماد من إبداع واتقان ونظام مثل
(الزمرد) (أنظر شكل ٣) . ومثل الياقوت الأزرق البلورى
(أنظر شكل ٤) ومثل الزمرد البلورى المركب (أنظر شكل ٥).
ومثل أحد الأحجار الكريمة المخضر لونه المسمى بالفرنحية (برل)
(أنظر شكل ٦) . ومثل الحجر المسمى (كوارتز) (أنظر شكل ٧)
وهناك أشكالها في الصفحة الآتية :

فهذه الأنواع الخمسة من الأحجار الثمينة نراها ونرى غيرها
في الطبيعة على هيئة البلور مسدسة الأشكال منظمة الأوضاع ،



(شكل ٥)

زمرد بلورى مركب



(شكل ٤)



(شكل ٣)

الزمرد البلورى



(شكل ٧) كوارتز البلورى ذى

الخطوط العرضية المقاطعة



(شكل ٦) برل البلورى

ذى الخطوط الطويلة

بهجة الألوان ، زينة للدنيا ونوراً للعلماء المفكرين ، فهل أقف عند
هذه وحدها نموذجاً للميزان المنصوب فى الأوض والسما ؟ كلا .
بل أقفى بذكر الميزان فى النبات فأقول :

ثانياً : نرى الحكمة كما سرت فى الجماد ونظمته وأحكمته سرت
فيما هو أرقى منه وأبدع وهو النبات كما تقدم فى قوله تعالى فى
(سورة الحجر) : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا

فيها من كل شئ، موزون . وفي هذا التفسير من وزن النبات ما يذهل الأبواب ، فبأى مقام أذكرك أيها الذكى ؟ :

(أ) أبا المذكور في سورة (ق) .

(ب) أم بالمذكور في (سورة حم فصلت) .

(ج) أم بما قبل ذلك في (سورة يس) .

(د) أم بالمذكور قبلها في (سورة فاطر والسجدة) من تلك

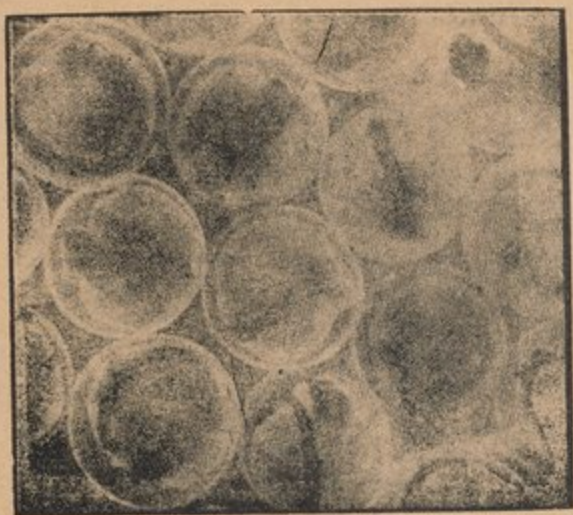
الصور البديعة العجيبة ، والأشجار الموثقة المبهجة الجميلة ، وأشكالها وتشريح سوق الأشجار وانتظام حلقاتها بعدد سننها من بدائع الحكم المودعة في النبات ، وكيف كان للأشجار طبقة فوق قشرتها تمنع الماء في داخلها أن يبخر ، وتحتها طبقة أخرى تمتد منها شعرات تمنع شدة ضوء الشمس من طغيانها على النبات ، وربما ملئت بسائل حريف أو مر أو نحو ذلك مما يمنع الحيوان عن تعاطي ذلك النبات ، وهناك عجائب الطبقات الخشبية التي جعلت ناقلة الغذاء من الساق إلى فروعه وأوراقه ، وعجائب اللحاء التي توصل العصارات التي اكتمل نضجها في الأوراق إلى بقية الأجزاء في النبات ، فلقد تقدم هذا هناك موضعاً بصورة العجيبة ، ودروسه المنتظمة ، فاقرأه على مكث .

(هـ) أم بما ذكرناه في (سورة الحجر) عند آية: «وأنبتنا فيها من كل شئ موزون» وهناك ترى شجرات مرسومات منتظمات الدوائر الحاصلات من منابت الأوراق، وفيها بدائع تذهل العقل، وتبهج النفس، فبينما نحن نأكل التفاح، وتفكر به، ونظن أن هذا هو المقصود منه في حياتنا ونفرح به ونقول الحمد لله، إذا نحن نرى حياة جديدة، نرى الأوراق التي لا نابها لها قد جعلت كل خمس منها مشكلات لدائرة تامة، بحيث يكون بين كل ورقتين ٧٢ درجة من ٣٦٠ درجة من الدائرة، وفي كل دائرة تامة شكلان حلزونيان، ومن عجب أن الورقة الأولى من الدائرة الأولى على خط مستقيم مع الورقة الأولى من الدائرة التي فوقها وهكذا الورقة الثانية فيكون هناك فوق نظام الدوائر التامة والأشكال الحلزونية أمر آخر وهو الخطوط المستقيمة المنتظمة فيما بين النظائر في الدوائر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أصبحت هناك نسبة بين تلك الأشكال الحلزونية ودوائرها مع كل الدوائر الأخرى في نباتات كثيرة وأشكالها الحلزونية، حتى أنك ترى هناك سلسلة حسائية منتظمة تسرى في كل نبات

وهذا قد تقدم فلا حاجة لإعادته هنا ، وكفى ما ذكرناه تشويقاً لمراجعته ، هذا هو الميزان في النبات وهو المقام الثاني .

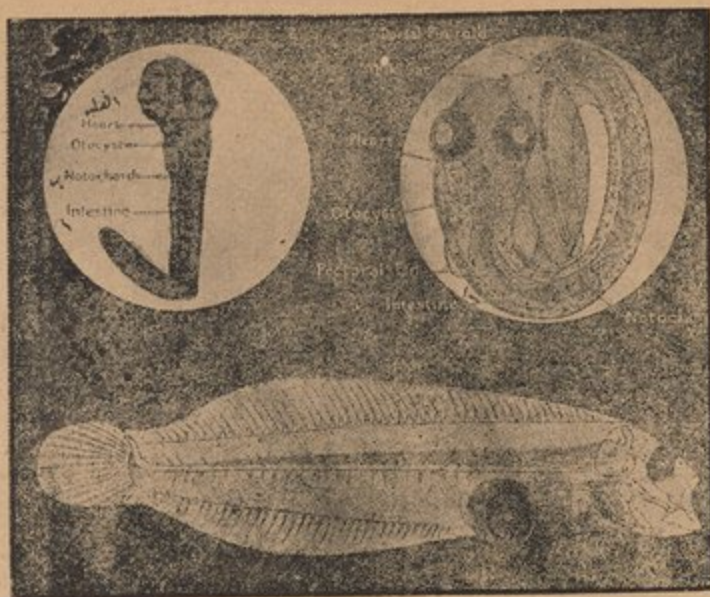
ثالثاً : فلا خط خطوة فوق ما تقدم إلى حيوان البحر لأنه مقدم على حيوان البر مكتفياً بذكر سمكة تسمى (بلاس) أو (بليس) بامالة اللام فأقول :

« إن هذا السمك الذي يشبه ما يسمى في بلادنا المصرية



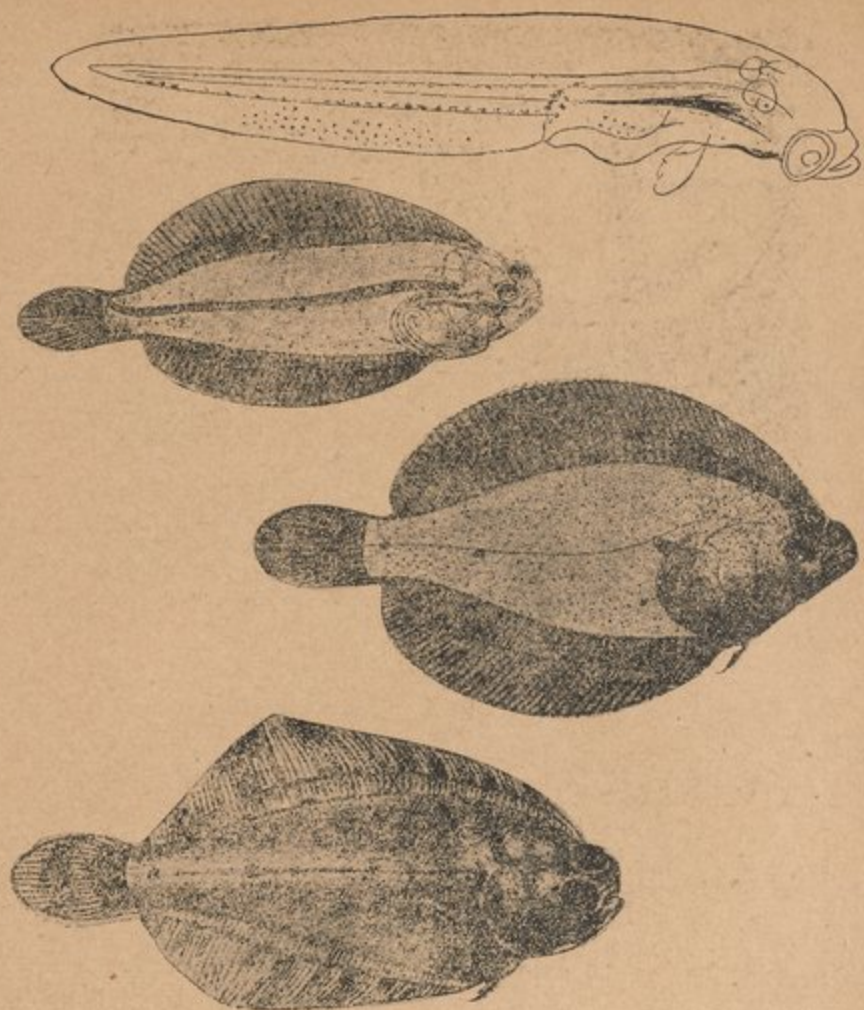
(شكل ٨ — نمو سمك بلاس)

(القنومة) والواحدة منه تضع نحو نصف مليون بيضة ، وكل بيضة يبلغ قطرها جزءاً من ١٢ من البوصة ، وهذا البيض يكون دائماً فوق سطح الماء ونمو الجنين في البيض يمكن ملاحظة



(شكل ٩ — نمو سمك بلاس)

- درجاته المختلفة في داخل البيض ، انظر شكل (٨ و ٩)
- (١) أن الصورة العليا اليسرى ترينا جنين السمكة في اليوم التاسع بعد الإلقاح ، والنقط الصغيرة عبارة عن حواصل ملونة والحجم الطبيعي أقل من جزء من ٢٣ من البوصة .
- (٢) والصورة العليا اليمنى ترينا الجنين مستعداً للخروج من البيض بعد ١٧ يوماً بعد الإلقاح . الخلايا الملونة بالسواد أخذت الآن تظهر .



(شكل ١٠)

(٣) والصورة السفلى ترى السمكة الصغيرة نحو ثلاثة أخماس البوصة، وهاهى ذه أخذت الآن تأكل (الملح) (صفار البيض) وقد التهمته جميعه . ثم انظر شكل ١٠

(١) هاهى ذه السمكة الصغيرة تامة مع التوازن المعهود فى السمك

(٢) ترينا تغيراً واضحاً بنجاح: فالجسم أصبح الآن مسطحاً من ناحية إلى الأخرى. والعين اليسرى صارت مدورة للجهة اليمنى مائلة نحو الجنب، وطولها الى الآن لا يصل إلى نصف البوصة (٣) سمكة «شابة» (وهو تعبير مجازي) وصلت الآن قاع النهر، هي تستريح مرة وتعووم أخرى على جنبها الأيسر وقد صار طولها بوصة.

(٤) سمكة شابة في قاع البحر وحويصلاتها الملونة قد أخذت تنحو نحو الجانب الأيمن وهي لا تظهر من الجهة اليسرى نحو الجانب الذي هو فضى اللون. أما العينان فانهما جنباً لجنب متجهان إلى أعلى نحو الجانب. انتهى المقام الثالث في السمك.

رابعاً: هل أقف عند السمك في الميزان؟ كلا. بل هناك ما هو أجل منه وهو عالم الحيوان الذي هو أرق منه، ولقد مر في سور كثيرة في البقرة والأنعام، وسورة المؤمنين، وسورة النور وسورة السجدة، وفاطر، وسورة حم فصلت وغيرها، وكنت أود أن أذكر هنا الحيوان الذي يعيش في البر وفي البحر كعالم الضفادع تنميماً للأقسام، ولكن يمنعني من ذلك أنه قد تقدم مفصلاً

وموضحا بالصور في سورة البقرة) في الطبعة الثانية فانه هناك
أوضح وأجل وأبدع مما كتبت عنها في (سورة طه)

ألا ترى رعاك الله أن فيه نوعي الضفادع وكيفية نمو أجنتها
وحسن إبداعها ، وإتقان صنعها ، وكيف يرى بيضها في الماء على
هيئة الخطوط المتوازية ، ولقد فاتني هناك أن أذكر أن الذي
حياني في شرحها أنني حينما نظرت ذلك الرسم خطر لي خاطر كان
يسنح لي وأنا تلميذ بدار العلوم ، ذلك أننا كنا نتعلم فن الرسم
وكنا نرسم خطوطا منتظمة ، فكنت في أثناء الرسم أتفكر في
(أمرين : أولهما) أنني في هذا العمل أعتبر نفسي في طاعة الله تعالى
وهذا كان شأني في جميع الأعمال (ثانيهما) اني كنت أثناء الرسم
أحس كأنني في عالم السموات الذي هو عالم منظم ، ورسم هذه
الخطوط يذكرني به .

هذا هو الذي كان يدور بخلي أيام الدراسة ، فلما رأيت
رسوم الخطوط لبيض الضفادع المتوازية أذكرني ذلك فرسمتها
وشرحتها . والحمد لله رب العالمين .

﴿ المبحث الرابع في ميزان الحيوان بالسليقة ﴾

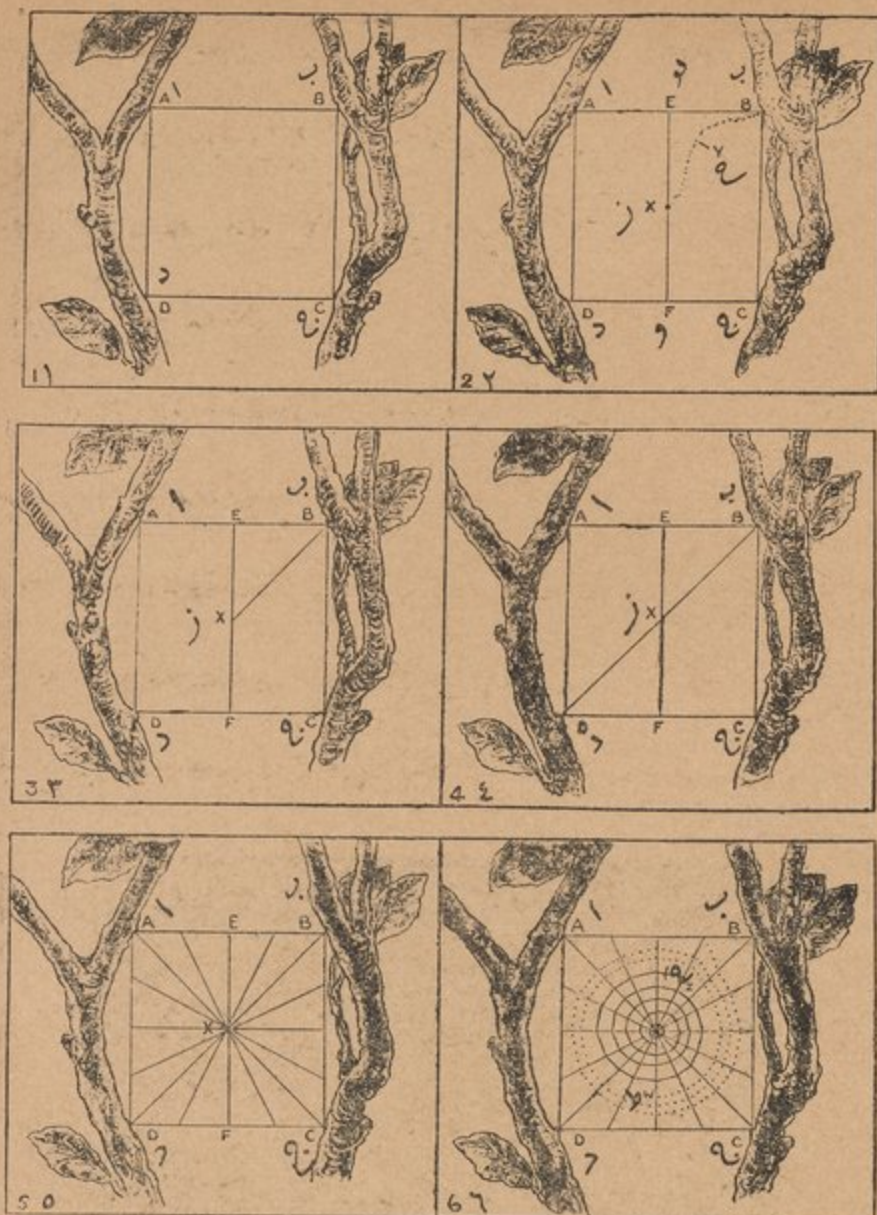
وفي هذا الفصل الكلام على (١) نسج العنكبوت وأحدث
صوره (٢) وعلى النحل (٣) وخلاياه المعتادة (٤) وعش النحل
الحجرى (٥) والنحل المستقل بنفسه — والنحل الثاقب للخشب
— وعلى النحل البناء — وعلى الزناير (٩) مثل زنبار الخشب
(١٠) وزنبار البرازيل في الشجر النجار (١١) الزنبور البناء —
(١٢) والنمل المعتاد (١٣) والنمل وبرج النمل الأبيض في شرق
أفريقيا.

جاء في نفس التفسير صفحة ٣٧ من المجلد الرابع والعشرين
ما نصه :

ولكنى لا أقف في الميزان عند حد الحيوانات البرية
والبحرية . كلا . فلا نتقل للكلام على العنكبوت وهى من الحيوانات
التي لا تعيش في غمرة الماء ، وبهذا نبداً الكلام على عجائب جديدة
لم تكن من قبل وبيان أن ما تقدم في الأحجار الثمينة والنبات
والسمك والضفادع ، إن كل ذلك إلا صنعة لم تر صانعها ؛ فأما
هذه الصنائع التي نريد دراستها المبدوءة بصناعة العنكبوت (التي

لم يسبق إيضاحها في سورته كما هنا) فان أمرها عجب ! نعم عجب
للحكيم ، أما الجهال فهم فريقان : فريق هم السواد الأعظم
لا يعرفون من العنكبوت ، ولا من النحل ، ولا من الزناير ،
ولا من النمل إلا ما عيس عواطفهم كراهة وحبا ، فيتبرمون من
العنكبوت ، ويفرحون بالنحل ، ويخشون الزناير والنمل .

هذه آراء أغلب نوع الإنسان في أرضنا ، ويلحق بهم أكثر
أولئك الذين يتعلمون في مدارس الشرق والغرب علم التاريخ
الطبيعي فهو لا يقرءون هذه العلوم وأكثرهم لا يدرسه إلا كما
يدرس علم النحو أو علم الزراعة كأن أرواحهم لا تعرف إلا الأمور
المحسوسة ، أما التفكير والتذكر بل السعادة الحقيقية فانها هاربة
منهم ، بعيدة عنهم ، رحلت من عقولهم ، فهم لا يعقلون ولا
يسعدون ، وفريق آخر وهم أقل هذا النوع إلا إنساني إذا درسوا
أمثال ما سئذ كره هنا فانهم يدهشون ويقولون نعم رأينا الأبداع
في الأحجار الثمينة البلورية وفي النبات وفي السمك وفي الضفادع
لأن الذي صنع هذا هو صانع العالم فلا غرابة في ذلك ، إنما الأمر
المدعش أن صانع نسيج العنكبوت هو نفس العنكبوت ، وصانع



(شكل ١١)

خلايا العسل هو النحل ، ويقرب منه الزنبور ، ونرى في النمل
والنحل بنائين ونجارين ، وضباطا وجيوشا ومرين .

فما هذا الحادث الجديد؟ فهو لا يرون أن هذه العوالم ماهي إلا كتلاميذ تربوا في بيت الحكيم وتحت رعايته فقلدوه ونحوا نحو عمله، وهل عمله إلا النظام المحكم؟ مثلاً شكل ١١ وهو رسم يياني لنسيج العنكبوت.

(١) أربع خطوط أصلية (٢) أول خط رأسي (هـ و). (ز) مركز (ح) كيفية صنع الخط الشعاعي، (٣): (ز ب) خط شعاعي (٤): (ز د) خط شعاعي آخر. (٥) خطوط شعاعية صنعت أولاً في جانب ثم صنعت بعد ذلك في جانب آخر، وليست هذه الخطوط كلها متساوية. فهنا أخذت العنكبوت تتم نسجها باتقان



(شكل ١٢ - نسيج عنكبوت الحقائق)



(شكل ١٣) نحل العسل حاملا كرات الطلع الصفراء
من هذا النبات المسمى « سم النمر »

(٦) الخط. الأسود الحزوني الأولى الملتف بعضه فوق بعض
ينتهي عند « ح » وأما الخط الحزوني المنقط . أعنى الخط. الثانوى
الحزونى فانه ينتهى عند « ط » .

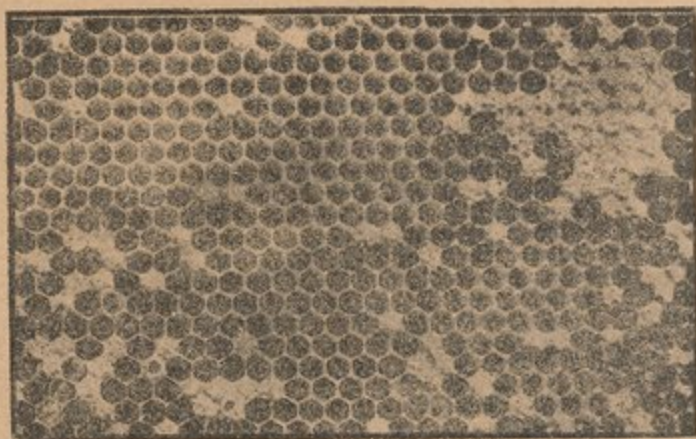
شكل ١٢ المتقدم صورة شمسية لنسيج عنكبوت الحقائق

(١٧)

ترينا الخط الأعلى الأساسى للنسيج وهو لزج ، وهذا النساج
جالس فى الوسط ، وربما غادرت العنكبوت ذلك المركز ،
وحينئذ يحمل معه خيطا بسيطا به يقدر أن يميز أى ذبذبة تعرض
فى النسيج فكأنها أشبه بآلة التلغراف « البرق » انتهى الكلام
على القسم الخامس .

سادسا . وهذا القسم ليس كافيا لمعرفة الميزان ، فهنا نبدأ فى
الكلام على النحل فنقول .

نبتدىء بذكر نبات يسمى « سم النمر » يشتر منه النحل
العسل « شكل ١٣ »



(شكل ١٤) قرص عريض ، قرص النحل مع خلايا
تحتوى دود عاملات النحل وهى التى تسمى عادة الشغالة

هاهو ذا نحل العسل شكل ١٣ حلاملا كرات الطلع الصفراء
من هذا النبات المسمى (سم النمر) بالفرنجية وهو بالعربية (عابد
الشمس)

إن بعض الأزهار يجمع منها النحل ما يصير في باطنه عسلا
وبعضها يجمع منه ما يصير غذاء للذرية الصغيرة ، وهى الذود فى
الخلايا، وهناك أزهار تصالح للحالين معاً ، ويوضح ذلك (شكل ١٣)
المذكور . ثم انظر شكل ١٤



(شكل ١٥)

قرص عسل النحل يشتمل على ذكور النحل وعاملاته والخلايا التى فيها العسل
إن الخلايا التى تربي فيها العاملات من النحل هى الصغيريات ،
أما التى ينمو فيها الذكور فانها أوسع ، وأما التى فيها الملكات فانها

أكثر اتساعاً ، وليس في قفير النحل ما يزيد على ست ملكات .
إن الخلايا الخازنات العسل تساوى في حجمها الخلايا التى تربي
فيها ذكور النحل ، هذه القطعة من قرص العسل موضوعة وضعاً
رأسياً عمودياً . ثم انظر شكل ١٦ .



(شكل ١٦) طائفة من النحل مزدحمة على شجر التفاح



(شكل ١٧) - عش النحل الحجري

في هذا العش قد نزع الغطاء الرقيق من فوقه ليظهر القرص
وخلاياه ، وقد كسرت خليتان من أعلاهما الدودات الصغيرات
السمينة البيضاء وهي ذرية النحل ، أن هذه النحل تعرف بنقطة
حمراء في انتهاء ذيل جسمها الاسود ، وهي لا تصنع عشها أبداً إلا
تحت الحجر. ثم انظر شكل ١٨ وهذه صورته :



(شكل ١٨) - هذا عسل للنحلة المنفردة وحدها في هيكل قوقعة الحداثق
 ترى في الشكل ١٨ نوع النحل الذي يعيش في عزلة
 منفرداً عن غيره ، ولن يعيش إلا في مكان مجوف والقوقعة
 الوسطى تريك نحلة حديثة الولادة قد خرجت حالا من شرنقتها ،
 والصورة اليمنى عبارة عن قوقعة قد كسرت فظهرت فيها الدودة
 الصغيرة التي تنقلب فيما بعد ذلك شرنقة ، وفي كل قوقعة دودتان
 دائماً إحداهما ذكر والثانية أنثى .



(شكل ١٩) وهو ثلاث قطع — القطعة الاولى

النحل المستقل بنفسه قطاع الورق الذي حجمه بقدر حجم
نحل القفير يقطع الورقة ليتخذ منها بهذا القطع خلية أنظر النحلة
تعمل، وترى في الجزء الأعلى الأيمن من الورقة فجوتين مقوستين
مرتبتين منظميتين، وقد قطع منهما أجزاء من الورقة. والنحلة
تراها في إحدى الفجوتين وقد خفيت تحت جسمها

القطعة الثانية



ههنا النحلة تحمل قطعة من ورقة الورد للخلية ثم الخلايا مركبات من قطع من الورق مقوسة على بعضها . والأغطية مصنوعة من القطع الصغيرة .

القطعة الثالثة



الخلايا تامة والأعشاش مصنوعة في التجايف والخلايا منظمة . آخر كل خلية متصل بآخر الأخرى يظهر من الشكل . إنها لمقبطة بما صنعت . إن كل خلية مملوءة إلى نصفها باللقاح وتحتوى على بيضة مفردة . ثم انظر شكل ٢٠ في الصفحة التالية .



(شكل ٢٠ — النحل الثاقب للخشب متعلقا بفكيه في حالة سكون)
هذا النحل ثاقب الخشب أو النحل النجار يمضي فصل
الشتاء في حالة حياة موقوفة لا عمل له اللهم إلا أنه عادة يبحث عن
زاوية ليتخذها مأوى . ثم انظر الشكل الآتي في الصفحة التالية .



(شكل ٢١ - خلايا النحل ثاقب الخشب)

هذه الخلايا العريضة التي صنعتها النحلة القوية المتينة مصنوعة
من قطع خشبية قد اتسقت وانتظمت بواسطة اللعاب الذي يفعل
فعل الغراء . ثم انظر شكل ٢٢ الآتي في الصفحة التالية .



(شكل ٢٢ - النحل الثاقب للخشب وهو خارج من خليته)
هذه الخلايا التي ينمو فيها جنين النحلة تكون عادة في أروقة
مسطوية بعريش أساسي مثقوب في الخشب ، وهذه التي ترى في
أسفل الصورة مفصولة من مركزها الطبيعي والنحل النجار
(كما يسمى عادة) أدكن اللون ذو شعر وهو معتزل مستقل له
قوة عضلية ، وهو بها قوى متين . ثم انظر شكل ٢٣ وهذه صورته



(شكل ٢٣ - النحل البناء)

هذا الشكل أبان خليتين ونحلتين ، النحل البناء المستقل المنفرد
قد صنع عشا في غاية المتانة والقوة من الأرض مخلوطا بسائل من
ريقه ، وهذا الريق يستعمل للصق الحصىات المصطفيات بحذق
ومهارة تامتين ، إن الخلايا حينئذ مملوءات إلى أنصافهن بنوعين
مما جنته النحلة وهما الطلع والعسل ، وبعد أن توضع البيضة تقفل
الخلية بمادة الأسمنت . انتهى الكلام على النحل .

الكلام على الزنا بئر



(شكل ٢٤ - عش زنبار الخشب)

إن عش هذا الزنبور المعتاد يبنى من أغصان الأشجار ، أو من الأخشاب ، وهذا قرص معلق على آخر بواسطة حامل عمودي ، والخلايا مغطاة بأغطية مصنوعة أشبه بورق الكتابة عند الانسان (وقد تقدم في سورة طه) أن الزنبور صنع الورق قبل الانسان ، وهذه الاغطية تمنع المطر أن يدخل الخلايا وتحفظ الحرارة في داخلها فتبقى دافئة ، ودرجة الحرارة في داخل الخلايا قد تكون أعلى منها في خارجها ٢٥ درجة يميزان فهرنهايت الخلايا تكون مفتوحة لأجل إدخال الطعام للدود الصغير وهو ذرية الزناير ، فاذا كبر الدود أخذ ينسج شرته ويقفل باب الخلية اقفاً من أعلاها إلى أسفلها . ثم انظر شكل ٢٥ وهذه صورته : (١)

(١) هذه الصور كلها وما شرحتها به قد ترجمته من مجلة « التاريخ الطبيعي الجديد » الباحثة في عجائب الارض المدهشة وعجائبها الطبيعية لصاحبها الاستاذ الابروفسور « ارثور ثومسون »



(شكل ٢٥ - قطعة من العش ، أقرص الزناير من بلاد البرازيل
متصلة بغصن من الشجرة)

إن الصورة الشمسية [الفوتوغرافية] ترينا طبقات بالعش
فتحفظه من الماء والهواء ، وفي داخل خلاياه المسدسة الأشكال ،
ينمو البيض فينقلب ما في داخله إلى دود والدود ينقلب شرانق
[فيالج] والفيالج تصير زناير كبيرة والدائرة البيضاء التي تراها
عند أسفل العش عبارة عن غصن مقطوع . ثم انظر شكل ٢٦
الآتى فى الصفحة التالية .



(شكل ٢٦ - عش الزنبور البناء)

الزنبور البناء يصنع عشه من الطين في شقوق الحيطان
ويكون العش غالبا بهيئة طينية خشنة بحيث ترى على وجهه لطخ
من رشاش الطين غير منتظمة وهذه تكون سببا لنجاة الزنبور
من أن يراه أعداؤه ومع ذلك نرى العش مبنيًا بمهارة فائقة حافظًا
لعناصر بنائه مثبتًا لها وترى دود الفراش (الذي لسعه الزنبور
فلقحه بسمه قد أصبح مشلولًا عديم الحركة) مخزونًا في الخلايا
ليكون قوتًا للذرية فيها ومتى خزن ذلك الدود المشلول في الخلايا
سدها الزنبور وهذه الصورة تظهر اثنتين مقفلتين على الذرية
وعلى قوتها فأما غيرهما فلم يكمل . وإلى هنا تم الكلام على الزنايب
والحمد لله رب العالمين .

الكلام على النمل

لقد تقدم الكلام على النحل والنمل والعنكبوت في سورهن
ولكن ما رسمناه هنا أو كتبناه لم يتقدم نظيره وهو هنا تفسير
للميزان العام



(شكل ٢٧ - عش نمل الخشب وهو ثلاثة أقدام ارتفاعا)
إن هذا العش النملى المعتاد المصنوع من الخشب مبنى من إبر
الصنوبر وقطع من العصي وهو غالبا فوق القدمين ارتفاعا والمحيط
(١٨)

الدائري أربعون قدماً وترى حجراً لاحصر لعددها وطرقا شتى
في القبة نفسها وفي الأرض من تحتها وطبعاً هناك الآلاف من
السكان والمداخل الكثيرة إلى القبة تقفل عند غروب الشمس
ولعل ذلك لتدفع الأعداء الصغيرة من الدخول فيها



(شكل ٢٨ - نمل تسوم ماشيتها ، وهي طائر صغير أخضر على غصن من
عشب ، وهناك أنواع من النمل تستعمل هذا الطائر الأخضر المسمى « أفيد »
كأنه قطعان ترعى تحت نظرها في هذا الشجر المسمى « جوز برى »)



شكل ٢٩ - النمل النجار في عمله

النملة التي في جهة اليسار الواقفة في مدخل العش المتخذ في
الخشب هاهي ذه تسلم قطعة من الخشب للعامل (العتال) جهة
اليمين الذي شرع يحملها ليلقيها بعيداً.



(شكل ٣٠)

هذا البرج الموحش الغريب الخلقة قد شيده النمل الابيض
في شرق افريقية ان النمل الابيض ليس من أنواع النمل الحقيقي كلا.

ولكنه يشبهه في أطواره ، فترى فيه أخلاق الملكة والذكور ،
والتمل القائم بالعمل ، والعسكر . أن البرج في هذه الصورة الشمسية
صنعها التمل من مواد الأرض يعد أن مضغها بفكيه وعجنها بريقه ،
انتهى ما أردت ذكره في آية « والسماء رفعها ووضع الميزان »
والحمد لله رب العالمين .

هذه صفحة من مناظر هذا العالم الذي نعيش فيه ، هذه
صفحة جميلة بهجة ، يا الله ما أجمل صنعك ، وأبدع اتقانك ، نظمت
الأحجار الثمينة الجامدة فجعلتها أشبه بالبلور في تسديس أشكالها ،
واتقان نظامها ، وجمال هيئاتها ، أريتنا في هذا الزمان بواطن
السمك فدرسنا أعضائه الباطنة مفصلة عضوا عضوا بما أعطيتنا
من نعمة التصوير الشمسي وفاء بوعدك : « سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم » وذلك لنعرف معنى الميزان

ومن أعجب العجب ، وأبدع الخلق ما زادني حيرة ، وأحدث
في نفسي نار الشوق العامى وهو أمر ذرية الضفادع (التي تقدم
صورها والكلام عليها في الجزء الأول من الطبعة الثانية من
التفسير) . ألا ترى رعاك الله النوع الأول الذي يتربى بيضه في كرات
هلامية تلازمه في قاع البرك والمستنقعات ، وهناك يكون الميزان ،

فكلما ازداد الماء ثقلا ازدادت الكرات الهلامية انتفاخا حتى تقاوم
ذلك الثقل فترتفع ، أليس من عجب أننا نرى رحما موضوعة في الماء
خارج الحيوان ، وهذه الرحم فيها قوة تجعلها مناسبة لما يحيط بها
فترفعه بقانون مسنون .

وأعجب من هذا أن نفس هذه الكرات الهلامية إن هي
إلا سجن سجنت فيه تلك الذرية ، فهي من جهة رحم لها وحفاظ ،
ومن جهة أخرى إذا طال عليها الأمد وفقس الحيوان كانت شرا
ويلا عليه وعذابا أليما ، وهلا كما حاضرا ، فماذا فعلت تلك الحكمة
بموازينها ؟ فعلت معها ما فعلته دول أوروبا بالنسبة لبلاد الاسلام ،
ذلك أن أوروبا في هذه السنين أرادت أن تستحوذ على بلاد الشرق
وخصوصا بلاد الاسلام ، وهل كان أعدى عدو لهذه الأمم إلا دولة
الروس التي بمناواتها لبلاد الصين من جهة وبلاد الترك العثمانيين
من جهة أخرى فتحت الباب لفرنسا وانكلترا فأوغلتا في بلاد
الاسلام إهلاكا وتدميرا وإذلالا ، فماذا فعل الله بأوروبا ؟ أخرج
لها أناسا من بلادها ، فأحدثوا الرأي الاشتراكي ثم البلشفي ،
وهذه البلشفية اليوم أخذت حقها في بلاد روسيا وهذه الدولة

الآن هي التي منعت عن بلاد الشرق والإسلام شرها ، وساعدت على استقلال بعض الأمم ، فصارت أوروبا أشبه بجسد قوى أخذ الداء يفتك فيه من نفسه في داخله ، وهذا هو نفس ما حصل في بيض الضفادع ، ذلك الذي أحاطت به كرات هلامية فرقتها بمقدار ، ولما انتهى عملها مزقت كل ممزق كما تمزق المشيمة عند ولادة الطفل ، وما الذي يمزقها ؟ هي تلك الحشائش الدقيقة التي لا نراها وما يلزمها من حيوانات ذرية ، فهذه كلها تفتك بتلك الكرات فيخرج الجنين سليما معافى من كل شيء يؤذيه .

الميزان واحد فهو في سياسة الأمم نظيره في سياسة الأفراد مزقت كرات أجنة الضفادع بمخلوقات نبئت في باطنها ، هكذا الأمم الظالمة يكون هلاكها بتفريق كلمتها : « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون »

مسامرة

ههنا حضر صاحب العلامة وقرأ هذا الموضوع فسرأيا سرور وأعجب بالصور الشمسية والتعليق عليها وقال هذه صفحة جميلة

أبانت لنا الضار كالزنبور ، والنافع كالنحل ، والأحجار الثمينة ،
والحيوانات الجميلة ، وأدركنا كيف تنسج العنكبوت مسكنها
وهو نفس شبكتها ؟ وكيف تكون لزجة جميلة ؟ وهذه الصورة
الشمسية الأولى من صورته ترينا أن عمله في بناء بيته يشبه أعمال
النساجين ، إذ يتدثون بالسدى ويقفون باللحام ، ثم كيف رأينا
الزناير يعوزها دود يكون بجانب ذريتها على شريطة أن يكون
في حال شلل ، فأحضر له الأبوان دوداً على هذه الشريطة وبقى
حتى فقس البيض وخرجت الذرية وعندها غذاؤها ، ولا علم
للأبوين بها ، أليس هذا هو الميزان والعجب العجيب ! وكيف كان
من تلك الحشرات بناء ، ونساج وثاقب خشب ، وقاطع ورق ،
ومتخذ من نحو الجبال بيوتاً ، ومن القواقع ، وكيف رأينا منه
ما يعيش وحده كالعرب في البادية ، ومنه ما يعيش جماعات ، هذا
عجب عجاب ! فقلت نعم لله درك ، إن الميزان يجمعها ، وبالميزان
كان الضر في الزنبور ، والنفع في النحل واجتماعهما في الأرض
عندنا واجتماع كل ضدين من خير وشر يكون استخراجاً لقوانا
وملكاتنا ، وتذكرة للعقلاء ، وتبصرة للحكماء ، إن غرائز الحيوان

وعجائبه جعلت في الأرض تبصرة وتذكيراً، إن الجسم الإنساني يعوزه ملبس ومسكن وغذاء ودواء وهواء وماء، فهذه كلها قوام جسمه هكذا قوام عقله يكون بدراسة هذه المخلوقات، فطواهرها جسمانه، وبواطنها لروحه، فاذا قصر في إحداهما فهو المسئول

بهجة العلم (خواطر للمؤلف)

في يوم الخميس ٢١ شوال سنة ١٣٥١ ١٦ فبراير سنة ١٩٣٣
استيقظت قبيل الفجر فلم أقم لعبادة وخيل إلى كأني في الجو بين
السماء والأرض وكان انساناً مصنوعاً من النور جالس بحذاءي
وأنا أسمعه يقول الحب الحب الحب يكرر هذه الكلمة فقلت في
نفسى ياليت شعري ما عساه يقول في أسباب الحب فما كدت
أفكر في هذا المعنى حتى سمعته يقول جمال وحكمة وعلم وبهجة
ونور ونظام

هذه سورة الرحمن وفيها آية ومن آياته الجوار في البحر
كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان، ان في البحر لآلاء والآلاء
لا إحصاء لعددها ولا نهاية لمداها

في هذه السماء نجوم ونجوم شمس وشموس وسيارات ،
 هناك هناك من الشموس ما يعد بمئات الملايين مما يسميها الناس
 نجوما ثابت وما هي بثوابت ان هي إلا شمس تجري حول
 شمس أكبر منها ، ومنها ما حولها سيارات كثيرة كما في هذه
 الشمس ، ومن تلك الشموس ما تجري أميالا وأميالا في الثانية
 الواحدة وكلهن في الجري سرعات وقد تباعدت في أقطارها حتى
 ان أضواء بعضها لا يصل إلى هذه الأرض الا بعد مئات الملايين
 من السنين وسرعة الضوء في الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كيلو متر
 أو نحو ١٨٥ ألف ميل فهذه الملايين من الشموس المتباعدات الأقطار
 السريعات الجري اللاتي لا استقرار لهن وحينما خلقن في تلك الأقطار
 لوحظ في تكوينهن ان يكن علامات لربان السفن الجاريات في
 بحار هذه الأرض

ثم بعد أن قال هذا القول رأيت أن هيئته أخذت تزداد نورا
 وجمالا واشراقا وأخذ يقول : حكمة لا حد لها وجمال لا نهاية له ،
 أهل الأرض غافلون يقرءون علم الفلك وعلم سير السفن وهم عن
 الجمال محجوبون هم قوم محبوسون ، ماهذه الحكمة والدقة والنظام

أرض منبوذة نبذ النواة. أرض تجري حول شمس صغيرة وهذه
الأرض لو أنها صغرت فصارت جوهر افردا لكان العالم المعروف
للناس الآن لو صغر على مقتضاها لبلغ ألف مليون أرض بحجمها
أرض لا حساب لها بالنسبة لمجموع العالم كله هي بالنسبة للعوالم
كلها أقل من جزء من مئات من قلامة ظفر انسان واحد بالنسبة
لهيئة جسمه . هذه التي هذا وصفها يحسب عند وضع جميع النجوم
والشموس حساب قوم يظهر ون عليها في زماننا ويسرعون في بناء
السفن ويسیرون في البحار ويلهمون فيعرفون ما دبر لهم منذ
ملايين السنين من تلك الشموس وأوضاعها المتباعدات الأقطار
اللاتی تظهر بهیئة ثابتة لشدة بعدها فيحفظ الربان سفينته بملاحظتها
من العطب ويقال في الكتاب (وبالنجم هم يهتدون)

فليحارب أهل الأرض بعضهم بعضاً وليتحاسدوا وليتباغصوا
ما شاءوا وشاء لهم الهوى والجهل والغفلة . انهم عن جمال العلم
لمعزولون . انهم في لجة الجهالة غارقون . أكثرهم صم بكم عمى فهم
لا يعقلون

هذه الحكم البديعية والابداع الشريف العالي يبعث في قلوب

الأبرار حبا . الحب تابع الجمال ولا جمال الا حيث تكون بهجة
الأوضاع ونظام الاصباغ وحسن الابداع . أنامس على سفن في بحار
هذه الأرض ياهمون أن يدرسوا علوم الثوابت وعلوم السيارات
حتى أن كل دولة من الدول العظيمة تخصص لها ديوانا لدراسة
هذه السيارات ونحوها وذلك لتكون دلائل للربان في سير
سفن البحار . شمس تجري وحولها سيارات جاريات يلاحظ فيها
جري السفن حول أرضنا الصغيرة . هذه تدهش اللب وتحير العقل
ان نتائج هذا الابداع انما هو الحب

ان العقول الكبيرة في الأرض هي التي تحب ويدهشها
ذلك الجمال ، أما العقول الصغيرة وهي عقول أكثر أهل هذه
الأرض فانها تحجب بالجزئيات عن الكلّيات وبالعرض عن
الجوهر وبالجزء عن الكلّ

كل له غرض يسعى ليدركه والحري جعل ادراك العلا غرضا
والأرواح الكبيرة في هذه الأرض تطير الى العلا وتفارق
الملا وتتحد بالروح الكبيرة التي سخرها مبدع العالم لتنظيمه ،
وخصها بتدبيره حين يدهشها ذلك التدبير

ويشير ما كمن من حبها ذلك الابداع وذاك التقدير الذي هو
السبب في العشق الجسمي الجزئي الذي هو أشبه بمضرب مثل
للعشق الاعلى الكلى وقد قيل :

أعانقها والنفس بعد مشوقة

اليها وهل بعد العناق تدانى

وأثم فلها كي تزول حرارتي

فيزداد ما ألقى من الهيمان

كأن فؤادي ليس يشفى غليله

سوى أن يرى الروحان يتحدان

كل ذلك من قوله تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام

فبأي آلاء ربكما تكذبان. فما كاد ينطق بهذه الآية حتى غاب عن

عياني وقد كنت أظن من قبل اني أراه ولا يراني. فاعترتني دهشة

وحيرة ثم أفقت من غشيتي وكتبت ذلك لساعتي والحمد لله

رب العالمين .

الفصل الرابع

(في الإجابة على ما سألني عنه صاحبي)

من أمر تفسير القرآن بعد نشر التاج المرصع اذ قلت :
أيها الاخ اني بعد ان نشرت كتاب التاج المرصع أخذت
أنشر في الجرائد والمجلات تفسير آيات العلوم المستخرجة من القرآن
ولما عرف الناس ذلك خاطبني المرحوم الشيخ مصطفى البابی
الحلبی فی تألیف تفسیر للقرآن کله منذ عشر سنين فأجبتة لذلك
وقد انتشر الآن فی بلاد الاسلام وهاهو ذا يطبع منه آخر مجلد
عند كتابة هذا الموضوع ليلة الخميس من أيام ذی القعدة سنة ١٣٥١
١٦ مارس سنة ١٩٣٣ وهو الذی یتدیء بسورة النبأ وینتهی
بآخر القرآن والمجلدات کلها ٢٥ وهذا آخرها. هذا جواب سؤالک
أيها الاخ فقال الحمد لله رب العالمين وبهذا انتهى الفصل الرابع
* خاتمة * فی ذکر ماورد علی المؤلف من خطاب أئمة الدين
والعلماء فی بلاد الفرس وجواب المؤلف لهم وما دبحه يراع المفضل
الأستاذ محمود عرفان الصحفي الهندي تقریظا للكتاب متضمنا

أمرين. الأمر الأول ملخص ما في الترجمتين الهندية والتركية لهذا الكتاب الواردتين في أول هذه الطبعة بالتصوير الشمسي. الأمر الثاني انه يعبر فيه عما يشعر به هو ومواطنوه من الهند نحو المؤلف

وهذه هي صورة الخطاب المرسل للمؤلف من علماء الفرس :
سيدنا الأستاذ العلامة فيلسوف الاسلام الشيخ طنطاوى
الجوهري متع الله المسلمين ببقائه تحية وسلاماً نشكركم جزيل
الشكر على ما تقومون به من الواجبات الدينية بنشر الحقائق
الاسلامية وإظهارها بمظهر ملائم للعلوم العصرية فقد كانت الأمة
الاسلامية في الأُمس وقبل الأُمس في أُمس الحاجة إلى تفسير
يناسب روح العصر ويكشف الستار عن أسرار القرآن ويميط
اللباس عن محياه ويفسر غوامض الكون بتفسير الذكر الحكيم
فقد كانت حقائق القرآن رغم ما كتب له في التفاسير لا تزال
تحتجب تحت الستار وكانت التفاسير التي تحوم حول حقائق القرآن
إلى التصورات الباطنية أقرب منها إلى الحقائق الاجتماعية والعلمية
وقد انقضى ذلك العهد . فإن بيان كل عصر وزمان نتيجة عوامل

تناسب تلك الظروف والأحوال . والمسلمون بحاجة إلى تفسير
يحلل قواعده وحقائقه العلمية إذاً فلا غرو إذا كان الاقبال على
تفسيركم الشريف عظيماً . فانكم أنتم المقر والعلم في العلوم الإسلامية
والكونية . وقد أخذ هذا التفسير مأخذاً عظيماً من الأهمية في إيران
ولاسيما الجامعة الدينية العامة التي أسست بقم التي نوهنا عنها
في بعض الصحف العربية سابقاً

وقد كانت العلماء والخطباء لا يزالون يشيرون إلى بتقديم
وافر تحياننا وتحياتهم إلى حضرتكم تقديرًا لخدمتكم فضعنا صوتنا
إلى صوتهم إقامة بتلك الوظيفة مبتهلين إلى الله عز وجل أن يديم
على أرحابكم ظل عنايته وألطافه ودمتم موفقين لخدمة العلم والدين
وفي الختام نرجو إخباركم لنا بأسهل طريق يمكننا من طلب هذا
الكتاب في مصر من حضرتكم أو من المكتبات أو من الناشر
وكيفية إيصال الثمن فنحن بأسرع حاجة إليه فالأمل الوطيد
الاسراع في إرسال الجواب في أول زمان يمكننا من دون تأخير
كي نفتخر بمكتوبكم الشريف ويسهل لنا السبيل لمطالبة الكتاب

مصحوباً بقيمته وتسعيرها بالنقود الايرانية الحالية ودمتم

المخلص

عبد الحسين زين الدين القمي

الأستاذ بالجامعة العلمية بقم

قم ايران المدرسة الناصرية

وهذه صورة جواب المؤلف على الخطاب السابق :

حضرة العلامة صاحب الفضيلة عبد الحسين القمي بالجامعة

العالمية بقم

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فقد ورد قيل أيام

العيد الأصغر خطابكم الكريم المؤرخ ١١ شعبان المعظم سنة ١٣٥١

تعربون فيه عما يكنه قلبكم وقلوب أجلة السادة العلماء الايرانيين

إجابة للتمسهم ذلك منكم وتقديراً لما نشر من كتي لا سيما

(الجواهر) في تفسير القرآن الكريم - وتودون لو تعرفون

أي الطرق أسهل في أن يصل إلى بلادكم - وأقول ليس بيدع

أن يصدر هذا الصوت من ناحية أبناء الأمة الفارسية العظيمة

العريقة المجد الشريفة المحتد - وفي المأثور عن أوائلنا (وإنا
يعرف الفضل من الناس ذووه) - وأي شرف بعد ماورد في
الحديث النبوي « لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس »

نعم كان ذلك فهم الذين وطفوا أساس الحكمة في أمم الاسلام
ورفعوا منارها وشادوا صرحها وبنوا مجدها على قرار مكين

وأمة هذا تاريخها جديرة أن يحذو الأبناء فيها حذو آبائهم
ويجددوا شبابها ويحيوا ما اندرس منها كما كان عليه آباؤهم الأولون
ويشيدوا بذكر عمل قليل قام به أخ لهم مصري مغترف من معين
نبح آبائهم مغترف بفضل حكمائهم عليه وعلى أمة الاسلام

هذا ثم إني سألت ناشر الكتاب بمصر حضرة الفاضل
جمال الدين أفندي الحلبي مدير مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر
عن أمر إصدار الكتاب إلى بلادكم فأجابني قائلاً إن الأزمة قد
عطلت إصداره منذ بضع سنين لعقبات يعسر اجتيازها فلم يسعني
إذ ذاك إلا أن أتوجه لمقابلة صاحب السعادة مرزا جواد بك خان
الوزير المفوض لدولة إيران العظيمة . بمصر مع الأستاذ الفاضل

محي الدين الكردي

ولقد تركت مقابلة سعادته في نفسي أحسن أثر لاسيما إذ
رأيت أن له بهذا الكتاب وصاحبه خبراً يشارك فيه السادة العلماء
ببلاده وقال لي سأقوم برفع كل عقبة تقف في طريق إيصاله إلى
بلادنا فله مني الشكر العظيم بل قال لي حضرة وكيل سعادته إنه
(أى الوكيل) أرسل منه بضعة عشر مجلدا لصديق له إجابة للتمسه
في إيران وتجردون في خطاب حضرة الفاضل جمال الدين أفندي
الحاجي المرسل لكم مع هذا تفصيل إيضاح الطريق لتوصيل
الكتاب إلى إيران

أنا لا يسعني تلقاء بث هذه البذور لازدياد التقرب العالمى
بين الأمتين الأمة العربية التى مصر أحد فروعها والفارسية التى
أنتم أبناؤها البررة الكرام إلا أن أتوقع مستقبلا زاهراً يزيد
في اجتماع شمل الأمتين

وإذا رأيت من الهلال غوه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا
وهذه صورة ما دبحه المفضل الأستاذ محمود أفندي عرفان
الصحفي الهندي :

الشخصية البارزة العلامة طنطاوى جوهرى

الاستاذ العلامة طنطاوى جوهرى هو أول رجل فى اعتقادى وقف حياته فى عصرنا لتطبيق العلوم العصرية على الروح الاسلامية وقام لاثبات أن القرآن الكريم هو مصدر لكل علم وفن - وحقق هذا العمل كبير من قبل العلامة لأنه فتح لنا هذا الباب - خصوصاً فى وقت عصيب شديد الابتلاء ففضله ظاهر من وجهين :

أولاً - بسبب معارضة العلماء وغلقهم باب التدبر والاجتهاد فى القرآن .

ثانياً - إبراز العلوم العصرية إلى عالم الوجود بعد اختفائها وحيرة العقول منها ودهشتها كيف يكون الأمر . ان من قل علمهم منا يعتقدون انها تخالف الدين وقد بدءوا يشكون فى أسرار الدين وقام أعداء الاسلام بهجمة عنيفة بادعاء التناقض الظاهرى فعلاً - وهم يستنتجون منه مخالفة الاسلام للحقائق العلمية . فى مثل هذا الوقت العصيب قام هذا العظيم وأخرج لنا هذه الآلىء المكنونة من درر البحار العلمية العميقة - وأثبت لنا أن

العلوم الحديثة والعلوم الدينية ليستا إلا فرعين لأصل واحد ولا خلاف بينهما - والقرآن هو كتاب وحيد يبين لنا الأسرار الكونية - ويأمرنا بتدبر ما في الكون - ولكن الانسان كان ناقصاً في علومه فلم ينتبه إلا اليوم .

هكذا قام الاستاذ العلامة في أبحاثه الخطيرة - وفتح لنا باباً جديداً في معارف الاسلام وأتقذ المتشككين من وهدة الارتداد وحوّلهم من ظلمة الكفر الى نور الاسلام - على ضوء القرآن بتطابق العلوم مع الدين . قام الاستاذ العلامة بهذه الخدمة الجليلة وصرف حياته لهذا المقصد العظيم وألف كتباً قيمة . وأجاد في أسلوبه الأنيق اللطيف وبطريقه الفلسفي - فهو أعطانا من مجهوده مصباحاً منيراً . وسلاحاً قوياً فيمكننا أن نخرج بواسطته من ظلمة الشك إلى نور اليقين ونهجم على أعداء الاسلام بأدلة علمية نقليّة من الدين .

كان له أسلوب خاص في تأليف كتبه - حتى أن أوروبا اعترفت بعظمته على لسان فلاسفتها واعترف الشرق له إذ ترجم كتبه الى الألسنة الشرقية ، وفي مقدمة الأمم في ذلك الأمة التركية - إذ ترجم التاج المرصع الى لغتها الأديب ذا كر أفندي القادرى .

والهند من جملة البلاد الشرقية التي تعترف بفضله فقام بعض
العلماء هناك بترجمة كتيبه مثل التاج المرصع الذي كان موضع إعجاب
جداً وترجم في أوائل سنة ١٩٠٨م هناك بقلم الاستاذ محمد عبد الحليم
أنصارى ردولوي - وطبعت في مطبعة وطن على نفقة الاستاذ
محمد انشاء الله خان صاحب الجريدة وطن بمدينة لاهور عاصمة
بنجاب - وكثيراً ما قرأت في الجرائد الهندية إذ يذكر الاستاذ
العلامة بكل أدب واحترام كما ذكر الاستاذ محمد عبد الحليم في
مقدمة الكتاب

كتبت هذه السطور اعترافاً له وخدمة للحق - وشكراً
للاستاذ العلامة عني وعن إخواني الهنود المعترفين بفضله في العلم
وبخدمته للدين لأنه أنقذ الكثير من وهدة الضلال ومن هاوية
الكفر الى نور الاسلام ببيان العظمة الاسلامية مع الأدلة
والبراهين وله شكر جزيل منا - ودعاء له بطول حياته وازدياد
علومه ومعارفه وبث الخير والسعادة في آله وأولاده آمين

محمود اصمحر عرفانه الصحافي الرهنري

نزيل مصر

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
١٠١	٦	لم يكتشفه	لم يكشفه
١٠٦	٥	وَرَبَّ	وَرَبُّ
١٠٦	٦	رَسُولُكُمْ	رَسُولَكُمْ
١٠٦	٦	رَبِّ	رَبُّ
١٠٨	٥	لا ليس	لا لبس
١٠٩	٦	والاقربين	والاقربين
١١٢	١٢	وَأَجَعَلْنَا	وَأَجَعَلْنَا
١١٦	٩	جاء	جاءت
١١٧	٧	الناس في	الناس في كل
١١٨	١٦	بقسطة	بقسطه
١١٩	٥	ابنُ	ابنَ
١٢٠	٧	قوما	قرنا
١٢٠	١٦	بما أيدي الناس وليذيقهم	بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم
١٤٠	٧	فاذا	فاذا
١٤٢	١٣	تعويد النفس	تعويدا للنفس
١٥٢	١٦	الحزن	الحزن
١٥٥	٩	وجيت	وجبت
١٥٦	٨	فسلط	فساطه

ص	س	خطا	صواب
١٦٥	١٤	إلا ياتباعهم	باتباعهم
١٦٨	٦	مباد	مبادىء
١٧١	١	النظر	والنظر
١٧٢	٤	وثلاثة	وثلاث
١٧٢	٨	سقطت	أسقطت
١٧٣	٢	نحن	نحن أولاء
١٧٧	١٠	والبخر	والبخر
١٨٥	٥	لأقاتلهم	لأقاتلهم
١٨٨	١١	وتبخر	وبخر
١٨٩	٩	فأصبح	أصبح
١٩٠	٥	هو	هوذا
١٩٧	٧	نتجمل	المجمل
٢٠١	٣	جابه	إجابة
٢٠٢	٧	ن	إن
٢٠٢	١٦	ن	إن
٢٠٤	٣	ما العمل	ما العمل
٢١٥	١	ينقل السطر الذى فى أول ص ٢١٦ الى أول ص ٢١٥	
٢٢٩	١٥	نظر	قلد
٢٤٣	٦	وهو	وهى
٢٥١	٩	متجهان	متجهتان

فهرس

ص	مقدمة كتاب التاج المرصع — للطبعة الثانية
٣	المقدمة التي صدر بها الكتاب باللغة القازانية
١٥	» » » » الأوردية
١٦	مقدمة الطبعة الأولى
١٧	الجوهرة الأولى — مبدأ نظري في العالم
٢٠	الجوهرة الثانية — مقارنة الأديان
٢٢	» الثالثة — العالم والصانع
٢٣	» الرابعة — تعليم التوحيد
٢٣	» الخامسة — النظر في القرآن الشريف
٢٤	» السادسة — حالي عند النظر في القرآن
٢٧	» السابعة — الشوق إلى العلوم
٣٠	» الثامنة — هل العالم منظم (ايضاح لما مضى)
٣١	» التاسعة — المباحث المناسبة لنظام العالم
٣٥	» العاشرة — النظر في كتب علماء الانجليز
٤١	» الحادية عشرة — مقارنة بين علماء المشرق والمغرب
٤٨	» الثانية — القرآن والمسلمون ومتأخرو الأفرنج
٥٩	» الثالثة — نتيجة المباحث السابقة
٦٣	» الرابعة — تربية الوجدان في الاسلام
٦٦	

ص

الجوهرة الخامسة عشر — الأحزاب في أوروبا ومسألة الانسان

٦٨

والحيوان

» السادسة » — فصل ليس مذهب داروين جديداً ٧١

٧٤

» السابعة » — فصل

٧٩

» الثامنة »

» التاسعة عشرة — الأصل الثالث وهو الفرع الثاني ٨٢

» العشرون — منزلة العلوم من القرآن وكتاب العرب والافرنج ٨٨

٩١

» الحادية والعشرون — مباحث الاسلام ست

٩٣

» الثانية » — مدح العقل من الاحياء

٩٦

» الثالثة » — الاقسام مفاتيح العلوم

١٠١

الكلام على معارف الدين الاسلامي

الجوهرة الرابعة والعشرون — القسم الاول اجمال معارف القرآن ١٠٢

» الخامسة » — القسم الثاني نبذ ما يضر العقل ويخالف العقيدة ١٠٥

١٠٩

القسم الثالث

» السادسة » — القسم الرابع العمران والسياسة في القرآن ١١٧

١٢٩

» السابعة » — فصل

١٣٦

الركن الخامس العبارات

١٣٧

إقامة الصلاة والحج

١٣٩

الجوهرة الثامنة والعشرون — الوجه الثاني في الصلاة والحج

ص

- ١٤١ الجوهرة التاسعة والعشرون — في الزكاة
- ١٤٢ » الثلاثون — الصيام
- » الاحدى والثلاثون — القسم السادس المعاملات
- ١٤٣ والاحكام والحدود والتعازير
- ١٤٦ » الثانية والثلاثون — الشرع ميزان
- » الثالثة والثلاثون — مقصود الشرع درجات الامم
- ١٤٧ في العلم
- ١٤٨ » الرابعة والثلاثون — العقل والشرع
- ١٥٤ تفصيل مقامات العلوم — القسم الاول العلوم
- ١٥٤ الجوهرة الخامسة والثلاثون — الاول الدين والعقل
- ١٥٧ » السادسة — الثاني الدين والطبع
- » السابعة — الثالث خوارق العادات مع الدين ١٥٨
- » الثامنة — الرابع من أخذ العلوم من الدين
- ١٦٣ بدون فكر
- ١٦٥ » التاسعة — الخامس الغلو في الدين
- » الاربعون — السادس والسابع وجوب العلوم
- ١٦٦ العقلية على الامة والصناعات
- ١٧٠ » الحادية والاربعون — الثامن عناية الدين بالعلوم
- ١٧٣ » الثانية — سورة الفاتحة

ص

الجوهرة الثالثة والأربعون — في سورة البقرة أربع عشرة آية ١٧٦

١٧٧ » الرابعة »

١٨٠ » الخامسة »

١٨١ » السادسة »

١٨٢ » السابعة »

١٨٥ » الثامنة »

١٨٦ » التاسعة »

١٨٦ » الخمسون »

١٨٦ » الحادية والخمسون »

١٩٥ » الثانية والخمسون »

١٩٦ ملحق كتاب التاج المرصع في الطبعة الثانية

١٩٨ الفصل الأول

ايضاح ما كان مجملا في هذا الكتاب لفصل الكلام على كتاب

١٩٩ القراءة الملكية

٢٠١ الفصل الثاني فيما جاء فيه من الكلام على العنكبوت

٢١٦ المطالب الأول

٢١٧ » الثاني »

٢١٨ » الثالث »

ص	
٢٢٠	المطلب الرابع - في ظواهر العبارات
٢٢٢	» الخامس - في تعليم الدين للأطفال
٢٢٧	معجزات القرآن في العلم ومقال كانت الألمانى
٢٣١	الفصل الثالث
٢٣٢	المبحث الأول - في تفسير بعض آيات في أول سورة الرحمن
٢٣٨	» الثانى - في ميزان العوالم العام الرياضى
٢٤٢	» الثالث - في ميزان الخلقية
٢٥٣	» الرابع - في ميزان الحيوان بالسليقة
٢٦٩	الكلام على الزناير
٢٧٣	الكلام على النمل
٢٧٩	مسامرة
٢٨١	بهجة العلم (خواطر للمؤلف)
٢٨٦	الفصل الرابع - في الاجابة على ماسألتى عنه صاحبى
	خطاب من أجلة علماء الفرس للمؤلف شكرآله على ترقيته
٢٨٧	للدين الاسلامى
٢٨٩	جواب المؤلف على الخطاب السابق
٢٩٢	تقريظ الأستاذ محمود افندى عرفان الصحفى الهندى للتاج الموضع
٢٩٥	الخطأ والصواب

الجر

ملحق

الفصل

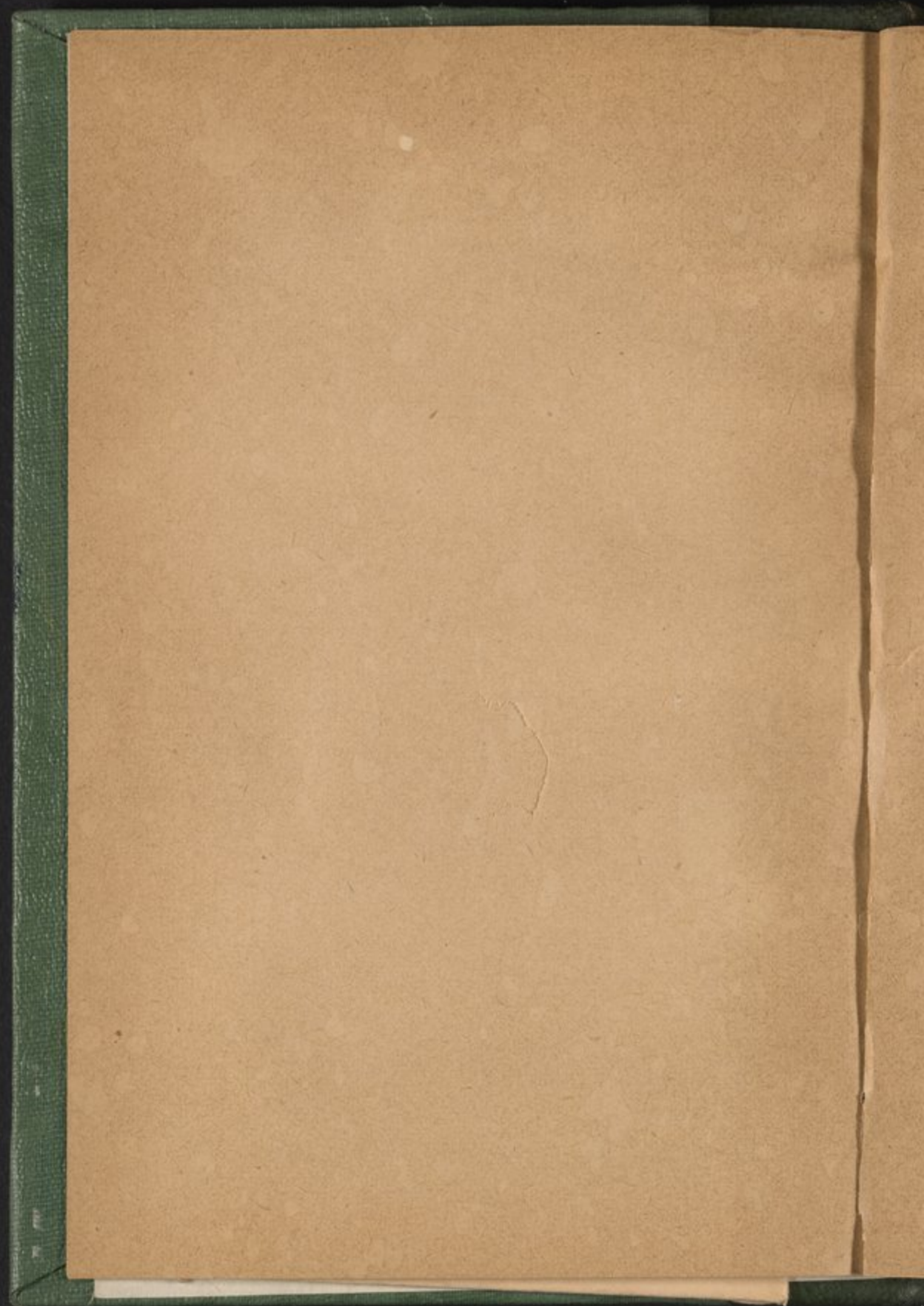
ايضا

الفصل

المطلب

»

»



ملح

الف

ايضا

الف

المطل

»

»





B 1231903X
i 13643964



1 0 0 0 0 0 5 9 8 0 3

BP
190.5
S3
J382x
1933

27 SEP 1987

